الطبعة الأولى
١٤٢٢ هـ / ١٤٢٣هـ
٢٠٠٢م

دار الأعلام
الأردن - عمّان - العبدلي - مركز جوهرة القدس - الطابق ٢ مكتب ٦٠٥
هاتف ٤٦٥٧٤٦٨ فاكس ٤٦٥٧٤٦٩ خلوي ٦٥٢٨٠٤ - ٧٩ - ٠٠٩٦٢
ص .ب ٩٢٧٥٦٣ عمّان ١١١٩٠ الأردن E-MAIL: AL_AALAM@YAHOO.COM

المُفيدُ
في
مُهِمَّاتِ التوحيد

المُفِيدُ
فِي
مُهِمَّاتِ التَّوحِيدِ

تأليف
الدكتور عبد القادر بن محمد عطا صوفي
الأستاذ المساعد بكلية المعلمين في أبها

دار الأعلام

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمدَ لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا. من يهده اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلِلْ فلا هاديَ له. وأشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمَّداً ﷺ عبدُه ورسولُه. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران : ١٠٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء :١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب ٧٠-٧١].

"أمَّــا بعدُ : فإنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمَّد ﷺ، وشرَّ الأمور مُحدَثاتُها ، وكلّ بدعة ضلالة"[1] ، "وكلّ ضلالة في النَّار"[2] .

ثمَّ أمَّــا بعد: فإنَّ الله ﷻ بعثَ نبيَّنا محمَّداً ﷺ بالهدى ودين الحقِّ بين يدي الساعة بشيراً ونذيــراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً مُنيراً . أرسله ربُّه ﷻ على حين فترةٍ من الرُّسل ، ودروسٍ من الكتب ، وقلَّةٍ من العلم ؛ حين حُرِّف الكَلِمُ ، وبُدِّلَت الشرائعُ ، واستندَ كلُّ قــومٍ إلى أهوائهـــم وآرائهم ، ليُخرجَ النَّاس من الظلمات إلى النُّور . فأشرقت الأرضُ برسالته ﷺ بعد ظُلمتها ، وتألَّفت بها القلوبُ بعد شتاتها وتفرُّقها، وفتحَ الله بها أعيناً عُمْياً، وآذاناً صُمًّا، وقُلوباً غُلْفاً، وفُرِّق بين الحقِّ والباطل، والهدى والضلال، والرشاد والغيِّ ، والصدق والكذب ، والمعروف والمنكر، وطريق أولياء الله السعداء ، وأعداء الله الأشقياء .

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة .

(٢) هذه الزيادة أخرجها البيهقي في السنن الكبرى ٣/٢١٤ .

و لم يمت رسولنا ﷺ حتَّى بيَّنَ للنَّاس جميعَ ما يحتاجون إليه ، فتركهم على مثلِ البيضاء ليلُها كنهارِها ، لا يزيغُ بعدَه عنها إلاَّ هالكٌ .

وقد اعتصم أصحابه من بعده بكتاب ربِّهم ﷻ ، وسنَّة نبيِّهم ﷺ ، ودعوا النَّاس إليهما بالحكمة والموعظة الحسنة . ومن بعدهم قام علماء أمَّته ﷺ بمهمَّة الدعوة إلى الله ﷻ خيرَ قيام ؛ فوضَّحوا للنَّاس أمورَ دينهم، وكان من أجلِّ ما وضَّحوه العقيدة، التي أولوها قدراً كبيراً من جهودهم، وجهادهم، وتعليمهم، وتأليفهم . ورغبة منِّي في التشبُّه بهم -رغم قصر الباع ، وقلَّة البضاعة- كتبتُ هذه الورقات المقتبَسة من كتبهم[1] ، سائلاً الله ﷻ أن يجعلها خالصةً لوجهه الكريم ، وفي ميزان حسناتي يوم الدين ، وصلَّى الله على محمَّد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أبها في ١٤٢٢/٩/٢٩هـ

(١) أصل هذا الكتاب : محاضرات ألقيتُها على طلبة كليَّة المعلمين ، في مادَّة العقيدة الإسلاميَّة (١٠١س) "الإعداد العام" .

تمهيد

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف ببعض المصطلحات .

المبحث الثاني : مصادر العقيدة الإسلاميَّة .

المبحث الثالث : ذكر بعض خصائص العقيدة الإسلاميَّة .

المبحث الأوّل

تعريف ببعض المصطلحات

وفيه ثلاث مسائل :

المسألة الأولى : في بيان معنى العقيدة .

المسألة الثانية : في بيان بعض المسمَّيات التي أُطلقت على العقيدة الإسلاميَّة .

المسألة الثالثة : في بيان بعض المسمَّيات التي أُطلقت على حَمَلَةِ العقيدة الإسلاميَّة .

المسألة الأولى

في بيان معنى العقيدة في اللغة والاصطلاح

قبل الحديث عن مصادر العقيدة ، وذكر بعض خصائصها ، لا بُدَّ من وقفتين :

الوقفة الأولى : في معنى العقيدة لغةً :

مادة "عَقَدَ" تدور بين عدَّة معان، منها: الربط والشدّ، والعهد، والملازمة، والتأكيد[١].

١- الربطُ والشدُّ بقوّةٍ . يُقال : عَقَدَ الحبلَ ، يَعْقِدُهُ عَقْداً ، إذا ربطه وشدَّه بقوة .

٢- العهد . يُقال : بين هذه القبيلةِ وتلكَ عَقْدٌ : أي عهدٌ . وجمعه عُقُود. ومنه قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ [المائدة: من الآية١] ؛ أي أوفوا بالعهود التي أكّدتموها .

٣- الملازمة . يُقال: عَقَدَ قلبَه على الشيءِ، أو عَقَدَ قلبُه الشيءَ، إذا لزمه. ومن هذا الباب قولـه ﷺ : "الخَيْلُ مَعْقُودٌ في نَوَاصِيها الخيرُ إلى يوم القيامة"[٢]؛ فمعقودٌ في نواصيها : أي ملازمٌ لها، حتى لكأنَّه عُقِدَ عليها .

٤- التأكيد . يُقال : عَقَدَ البيعَ ، إذا أكَّدَه . ومنه العقد المكتوب في البيع ؛ إذ هو لم يُكتب إلاَّ بعد إيقاع البيع وتأكيده .

الوقفة الثانية : في بيان معنى العقيدة اصطلاحاً :

بعد أن عرفنا بعض معاني العقيدة في اللغة ، لنا أن نتساءل : ما هو معنى العقيدة الذي تعـــارف عليه أهل العلم ؛ إذ من المعلوم أنَّ لكلِّ علمٍ مصطلحاته الخاصَّة به ، والتي تُعدّ جزءاً من منهجيَّته ؟ .

---

(١) انظر من كتب اللغة : الصحاح للجوهري ٢/٥١٠ . والقاموس المحيط للفيروزآبادي ص ٣٨٣. وأســاس البلاغة للزمخشري ٢/١٣١-١٣٢ . والكشــاف له ١/٤٦٦ . ولسان العرب لابن منظور ٣/٢٩٥-٣٠٠ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب إثم مانع الزكاة .

فنُجيب : العقيدة اصطلاحاً هي :

١- التصـــديق الجازم فيما يجب لله ﷻ من الوحدانيَّة، والربوبيَّة، والإفراد بالعبادة، والإيمان بأسمائه الحسنى ، وصفاته العليا[1] .

٢- تصميم القلب ، والاعتقاد الجازم الذي لا يُخالطه شكّ في المطالب الإلهيَّة ، والنبوَّات ، وأمور المعاد ، وغيرها ممَّا يجب الإيمان به[2] . والمطالب الإلهيَّة : الإيمان بالله في ربوبيّته، وألوهيّته، وأسمائه وصفاته .

٣- ما عَقَدَ الإنسانُ قلبَه عليه ، ودانَ لله ﷻ به[3] .

س : ما هو الرابط بين المعنى اللغوي ، والمعنى الاصطلاحيّ ؟

ج : الارتباط بينهما ظاهرٌ ؛ لأنَّ هذا الذي جـــزم بالشيء ، وصمَّم عليه ، قد ألزَمه قلبَه ، وربطه عليه ، وشدَّه بقوة ، بحيث لا يتفلّت منه أبداً .

المسألة الثانية

في بيان بعض المسمَّيات التي أُطلقت على العقيدة الإسلاميَّة

الملاحظُ أنَّ العقيدة لم تَرِدْ بلفظها في الكتاب والسنَّة، وإن كانت قد وردَتْ مادّتها، كما في قـــول الله ﷻ: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ﴾ [المائدة: من الآية٨٩]؛ أي يُؤاخذكم إذا حنثتم في الأيمان التي وثّقتُموها وأكّدتموها .

وكما في قوله ﷺ : "الخيلُ معقودٌ في نواصيها الخيرُ إلى يومِ القيامةِ"[4] ؛ أي ملازمٌ لها إلى يوم القيامة .

---

(١) انظر الأسئلة والأجوبة في العقيدة للشيخ صالح الأطرم ص ٧ .

(٢) انظر العقيدة الإسلاميَّة وتاريخها للدكتور محمد أمان الجامي ص ٥ .

(٣) انظر الأسئلة والأجوبة الأصوليَّة للسلمان ص ٢٣ .

(٤) تقدَّم تخريجه ص ٨ .

كذلك، لم يستخدم علماء الأمَّة في القرون المفضَّلة مصطلح "عقيدة"، وإنَّما استخدموا مصطلحات أخرى . وأوَّل من استخدم هذا المصطلح -فيما أعلم- هو الإمام أبو حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ) في كتابه الذي وسمه بـ"أصل السنة واعتقاد الدين"، وتلاه الإمام أبو بكر الإسماعيليّ (ت ٣٧١هـ) الذي وسم كتابه بـ"اعتقاد أئمّة الحديث"، وتبعه الأئمَّة؛ كـأبي القاسم اللالكائي (ت ٤١٨هـ) في كتابه "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة"، وأبي عثمان الصابوني (ت ٤٤٩هـ) في كتابه "عقيدة السلف أصحاب الحديث" ، وأبي بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ) في كتابه "الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة" ، وقوام السنة الأصبهاني (ت ٥٣٥هـ) في كتابه "الحجة في بيان المحجّة وشرح عقيدة أهل السنة" ، وغيرهم .

ولنا وقفات مع المصطلحات الأخرى التي استخدمها العلماء بدلاً من مصطلح "العقيدة"، "ومن ثمرة الوقوف على أسماء هذا العلم : معرفة مصادره الأصيلة"[١] .

الوقفة الأولى : مع مسمَّى "التوحيد" :

من مسمّيات هذا العلم : التوحيد .

تعريف التوحيد لغة واصطلاحاً :

هو في اللغة مصدر من: وحَّد يُوَحِّد توحيداً ؛ إذا أفرده وجعله واحداً[٢] . وهذا لا يتحقَّق إلا بنفيٍ وإثبات؛ نفي الحكم عمَّا سوى الموحَّد، وإثباته له . فنقول مثلاً في توحيد الألوهيَّة : لا يتمّ للإنسان التوحيد ، حتّى يشهد أن لا إله إلا الله ، فينفي الألوهيَّة عمَّا سوى الله ، ويُثبتها لله وحده[٣] .

---

(١) أصول الدين عند الأئمة الأربعة للدكتور ناصر القفاري ص ١٤ .

(٢) انظر لسان العرب لابن منظور ٤٤٨/٣ .

(٣) انظر المجموع الثمين من فتاوى فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ٧/٢ .

فعلى هذا: يُطلق الواحد على المنفرد بخصائصه عمَّا سواه. يقول ابن فارس : (وَحَّدَ : الـــواو والحاء والدال : أصلٌ واحدٌ يدلّ على الانفراد . من ذلك : الوحدة، وهو واحدُ قبيلته: إذا لم يكن فيهم مثله . قال الشاعر :

يا واحدَ العُرْبِ الذي ما في الأنام له نظير

ولقيتُ القومَ مَوْحَدَ مَوْحَدَ، ولقيتُ الرجلَ وحدَه. ولا يُضاف إلا في قوله: نسيجُ وَحْدِهِ)[1] .

والتوحيد في الاصطلاح : إفراد الله بما تفرَّد به ، وبما أمر أن يُفردَ به ؛ فنُفرده في ملكه وأفعاله فلا ربَّ سواه ولا شريك له، ونُفرده في ألوهيّته فلا يستحقّ العبادة إلاّ هو، ونُفرده في أسمائه وصفاته فلا مثيل له في كماله ولا نظير له[2] .

مدى المطابقة بين التوحيد والعقيدة :

حـــين المقارنة بين "العقيـــدة" ، و"التوحيـــد" كمصطلحين ، نجد أنَّ العقيدة ليست مقصـــورة على توحيـــد الله تعالى فحســـب ، بل هي تشمل التوحيد وزيادة ، فيدخل فيها مباحث شتّى ؛ كالرسل ورسالاتهم، والملائكة وأعمالهم ، والكتب السماويَّة ، واليوم الآخـــر وما فيه ، والقضاء والقدر وما يتعلّق به، والإمامة ، والصحابة . بل يدخل فيها أيضاً : موقف المسلمين من الفرق الضالَّة ، وغير ذلك .

فهذا العلم الواسع بما يتضمَّنه من مباحث ، وما يحويه من جُزئيَّات يُسمَّى "التوحيد" أيضاً، كما ســـمَّاه بذلك علماء المسلمين . ولو تأمَّلنا مدى المطابقة بين كلمة "توحيد" ، وبـــين مفردات العقيدة ، لوجدناها جُزئيَّة . وهذا يُثير تساؤلاً مفاده : إذا كانت المطابقة بـــين كلمة "توحيد" ومصطلح "عقيدة" بما يحويه من مباحث جُزئيَّة ، فلماذا سُمِّي علم العقيدة بـــ"التوحيد" ؟ ولِمَ أطلق العلمـــاء في القرون الماضية على ما صنّفوه من كتب في علم العقيدة اسم "التوحيد" ؟

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٦/٩٠-٩١ .

(٢) انظر : الدين الخالص لصديق حسن خان ١/٥٦ . والأسئلة والأجوبة الأصوليَّة للسلمان ص ٤١ .

والجـــواب : إنَّ تسمية العقيدة بالتوحيد من باب تسمية الشيء بأشرف أجزائه ؛ لأنَّ توحيد الله ﷻ هو أشرف مباحث علم العقيدة. أمَّا المباحث الأخرى؛ من إيمان بالملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر، والقضاء والقدر، ومباحث الإمامة، والصحابة، وغيرها، فهي تعتمد عليه ، وتستند إليه ؛ إذ هو أساسها وجوهرها ، فهي تدخل فيه بالاستلزام .

الفرق بين العقيدة والتوحيد :

والآن ، وقد فرغنا من بيان معنى العقيدة والتوحيد ، نتساءل : ما الفرق بين المعنيَيْن ؟

فنقول : العقيدة أعمُّ من جهة موضوعها؛ إذ هي تشمل التوحيدَ، وغيره من المباحث ؛ فيدخل فيها أركان الإيمان الستة، ويدخل فيها ردود علماء الإسلام على الديانات الأخرى، والفرق، والتيارات المعاصرة، وغيرها . بخلاف التوحيد الذي يقتصر على توحيد الله ﷻ، وهو أشرف أجزاء العقيدة . ويُلاحظ أيضاً أنَّ مباحث الإيمان بالكتب ، والرسل ، واليوم الآخر ، والقضـــاء والقدر يدخل في إطار العقيدة بالمطابقـــة . أمَّا في التوحيد فيدخل فيه بالاستلزام ؛ إذ يلزم من إيمانك بالله ﷻ أن تؤمنَ بملائكته، وكتبه، ورسله، والمغيَّبات التي أخبر الله عنها، وأخبرت عنها رسله، وبالقدر الذي يُجريه الله في عباده وفق إرادته ومشيئته.

مؤلَّفات في العقيدة تحت مسمَّى التوحيد :

١- اســـتخدم الإمام البخاري ؛ محمَّد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ) هذا المصطلح، حين سمَّى الكتاب الذي خرَّج فيه أحاديث العقيدة –في الجامع الصحيح- بـ"كتاب التوحيد" .

٢- وأبو العبَّاس أحمد بن عمر بن سُريج البغدادي (ت ٣٠٦هـ) سمَّى الكتاب الذي صنَّفه في العقيدة بـ"كتاب التوحيد" .

٣- وأبـو بكر محمَّد بن إسحاق بن خُزَيمة النيسابوري (ت ٣١١هـ) ألَّف كتاباً في العقيدة وَسَمَه بـ"كتاب التوحيد وإثبات صفات الربِّ ﷻ" .

٤- وأبو عبد الله محمَّد بن إسحاق بن منده (ت ٣٩٥هـ) ألَّف كتابه الموسوم بـ"كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله ﷻ وصفاته على الاتفاق والتفرُّد" .

ثمَّ تتابعت الكتب المؤلَّفة تحت هذا الاســـم .

الوقفة الثانية : مع مسمّى "أصول الدين" :

من مسمَّيات هذا العلم : أصول الدين .

المراد بأصول الدين :

نُلاحظ أنَّ مصطلح "أصول الدين" مركَّب من مضافٍ ، ومضافٍ إليه . فهو إذاً مركَّب إضافيّ .

ولا يُمكن التوصُّل إلى معنى المركَّب إلاّ بتحليل أجزائه المركَّب منها، وهي "أصول" ، و"دين" .

أمَّا الأصول: فمفردها أصل. ومعناه لغةً: أساس الشيء[١]. أو ما يُبتنى عليه غيره ؛ كأساس المنزل ، وأصل الشجرة ، ونحو ذلك[٢] . والأصل اصطلاحاً : ما له فرعٌ ؛ لأنَّ الفرعَ لا ينشأ إلا عن أصلٍ[٣] .

والدين في اللغة : الذلّ والخضوع . والمراد به دين الإسلام، وطاعة الله، وعبادته وتوحيده ، وامتثال المأمور ، واجتناب المحظور ، وكلّ ما يُتَعَبَّدُ الله ﷻ به[٤] .

فتكون أصول الدين –على هذا-: القواعد والأسس التي تصحّ بها العبادة، وتتحقّق بها طاعة الله ورسوله بامتثال المأمور، واجتناب المحظور؛ لأنَّ الاعتقاد هو الأصل الذي ينبني عليه قبول الأعمال وصحّتها .

فأصول الدين : هي ما يقوم وينبني عليه الدين . والدين الإسلاميّ يقوم على عقيدة التوحيد . ومن هنا سُمّي علم التوحيد أو علم العقيدة بـ"علم أصول الدين" .

---

(١) انظر : معجم مقاييس اللغة لابن فارس ١٠٩/١ . والمعجم الوسيط لمجموعة من المؤلفين ص ٢٠ .

(٢) انظر كشّاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ١٢٢/١-١٢٣ .

(٣) انظر شرح الكوكب المنير لابن النجار ٣٨/١ .

(٤) انظر القاموس المحيط للفيروزآبادي ص ١٥٤٦ .

الحقيقة الشرعيّة لأصول الدين :

المفهـــوم الحقّ لمصطلح أصول الدين، هو أصول الإيمان الستة المذكورة في قوله ﷻ : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ [البقرة: من الآية١٧٧]، وفي قوله ﷻ : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمـــر:٤٩]، وهي التي أجابَ بها رسولُ الله ﷺ جبريلَ حين سأله عن الإيمان ، فقـــال : "الإيمانُ أن تؤمنَ بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليومِ الآخرِ ، وتؤمنَ بالقدر خيره وشرِّه"(١) . فهذه الأصول الستة هي التي يقوم عليها إيمان العبد ، وتصحّ بها عبادته .

مؤلّفات في العقيدة تحت مسمّى "أصول الدين" :

لعـــلّ أوّل مـــن استخدم هذا المصطلح لعلم العقيدة -وإن لم يشـــتهر وقتها- ، هو الإمـــام الشـــافعي رحمه الله (ت ٢٠٤هـ) ؛ حيث قال في مفتتح كتابه "الفقه الأكبر" : "هذا كتابٌ ذكرنا فيه ظواهر المسائل في أصول الدين ، التي لا بُدَّ للمكلّف من معرفتها ، والوقوف عليها .

١- وهـــذه التسمية استخدمها أيضاً الإمام أبو الحسن الأشعريّ (ت ٣٢٩هـ)، حين وسم كتابه الذي أبان فيه عن عقيدة أهل السنة والجماعة بـــ"الإبانة عن أصول الديانة" .

٢- وكذا استخدمها أبوحاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ) في كتابه "أصل السنة والاعتقاد الدين" .

٣- ومن بعدهما عبيد الله بن محمَّد بن بطّة العُكبري (ت ٣٨٧هـ) في كتابه: "الشرح والإبانة عن أصول الديانة" ، وهو الكتاب الذي يُعرف بـــ"الإبانة الصغرى" .

٤- وعبد القاهر البغدادي (ت ٤٢٩هـ) في كتابه "أصول الدين" . وغيرهم ...

ملاحظة : يُلاحظ أنَّ العقيدة -هاهنا- سُمِّيت بـــ"أصول الدين" تميـــيـــزاً لها عن الفروع.

وينبغـــي أن لا يَرِد على بالك أنَّ الأصول هي التي تؤخذ ويُعمل بها فحســـب ، ويُمكن الاستغناء عن الفروع . فهذا الفهم خطأ؛ لأنَّ الدين كُلٌّ لا يتجزّأ . وقد عاب الله

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان .

على أهل الكتاب أنّهم يؤمنون ببعض الكتاب، ويكفرون ببعضه الآخر، فقال: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة:من الآية٨٥].

الوقفــة الثالثــة : مع مســمّى "السُّــنّة" :

من مسمّيات العقيدة : السنّة .

تعريف السنّة لغة واصطلاحاً :

الســنّة لغةً من سَنَّ يَسِنُّ ويَسُنُّ سنًّا ، فهو مسنون . وسنَّ الأمر : بيَّنه . وهي تأتي لعدّة معان[1] ، منها :

١- الطــريقة المســلوكة ، سواء أكانت محمودة أم مذمومة . ومنه قوله ﷺ : "من سَنَّ في الإسلام سُنَّةً حسنةً فله أجرُها وأجرُ من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء . ومن سنَّ في الإسلام سنَّة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء"[2] .

٢- الســيرة ، وسنَّة رسول الله ﷺ : سيرتُه التي كان يتحرَّاها . فما ثبت عنه من قولٍ ، أو فعلٍ ، أو وصفٍ، أو تقريرٍ، قيل له سنّة. يقول ابن الأثير : "وقد تكرَّر في الحديث ذكرُ السنَّة وما تصرَّف منها. والأصل منها : السيرة والطريقة"[3].

---

(١) انظر من كتب اللغــة : الصحــاح للجوهري ٥/١٢٣٨-١٢٤٠ . ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس ٣/٦٠-٦١ . ولسان العرب لابن منظور١٣/٢٢٠-٢٢٨. والتعريفات للجرجاني ص١٦١. ومختار الصحاح للرازي ص٣١٧.

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب الحثّ على الصدقة .

(٣) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢/٤٠٩ .

٣- العادة. ومنه قوله ﷻ: ﴿سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلًا﴾ [الاسراء:٧٧]؛ أي هكذا عادتنا في الذين كفروا برسلنا وآذوهم ، بخروج الرسول من بين أظهرهم ، يأتيهم العذاب(١) .

أمّا السنَّة عند الأصوليِّين : فهي ما قاله رسول الله ﷺ ، أو فعله ، أو قرَّر عليه(٢) .

المناسبة بين مسمَّى السنَّة ، ومسمَّى العقيدة :

لأهميَّة وخطورة مسائل الاعتقاد التي هي أصل الدين ، وعليها يُبنى غيرها من أعمال الإسلام ، أطلق العلماء لفظ "السنَّة" على ما وافق الكتاب والسنَّة من قضايا الاعتقاد .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : "ولفظ السنَّة في كلام السلف يتناول السنَّة في العبادات ، وفي الاعتقادات. وإن كان كثيرٌ ممّن صنّف في السنَّة يقصدون الكلام في الاعتقادات"(٣) .

ولمّا كانت السنَّة مصدراً من مصادر العقيدة -كما سيأتي-، وطريقة من طرق إثبات العقيدة الصحيحة ، اعتبر العلماء معنى السنَّة : اتّباع العقيدة الصحيحة ، وأطلقوا على عقيدة السلف الصالح اسمَ السنَّة، بسبب اتباعهم لطريقة رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ في ذلك .

يقول ابن رجب الحنبلي رحمه الله : "السنَّة: طريقة النبيّ ﷺ التي كان عليها هو وأصحابه، السالمة من الشبهات والشهوات . ثمّ صارت في عرف كثيرٍ من العلماء من أهل الحديث وغيرهم ، السنَّة : عبارة عمّا سلم من الشبهات في الاعتقادات ، خاصَّة في مسائل الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر. وكذلك مسائل القدر، وفضائل الصحابة. وصنّفوا في هذا العلم تصانيف، وسمّوها كتب السنَّة"(٤) .

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٥٤/٣ .

(٢) انظر مذكرة في أصول الفقه للشيخ الشنقيطي ص ٩٥ .

(٣) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية ص ٧٧ .

(٤) كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة ص ١١-١٢. وانظر السنَّة لابن أبي عاصم ٦٤٥/٢-٦٤٧.

فإطلاق اسم السـنَّة على مباحث الاعتقاد، يُشعر بأهميَّة العقيدة؛ إذ هي أصل الدين، والمخالف فيها على خطرٍ عظيم[١] .

مؤلّفات في العقيدة تحت مسمّى "السنّة" :

ساد اصطلاح السنَّة في القرن الثالث الهجري، في عصر إمام أهل السنَّة أحمد بن حنبل، حـين ظهرت الفرق ، وراجت عقائد المبتدعة . فأخذ العلماء يُطلقون على أصول الدين ومسـائل العقيدة اسم "السنَّة" تمييزاً لها عن مقولات الفـرق . وأذكر فيما يلي بعضاً من المصنَّفات التي كتبوها تحت مسمَّى السنَّة :

١- السنَّة لابن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ) .

٢- السنَّة لأحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) .

٣- السنَّة للأثرم ؛ أبي بكر أحمد بن محمد بن هانئ البغدادي (ت ٢٧٣هـ) .

٤- السنَّة لأبي عليّ حنبل بن إسحاق بن حنبل بن هلال (ت ٢٧٣هـ) .

٥- السنَّة لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ) .

الوقفـة الرابعـة : مع مسـمَّى "الفقـه الأكبـر" :

من المسمّيات التي أُطلقت على العقيدة : الفقه الأكبر .

تعريف الفقه لغة واصطلاحاً :

الفقـه في اللغة : الفهم . يقول ابن فارس : "فَقِهَ : الفاء والقاف والهاء أصلٌ واحدٌ صـحيحٌ ، يدلّ على إدراك الشيء والعلم به . تقول : فَقِهْتُ الحديثَ أَفْقَهُهُ . وكلّ علمٍ بشيءٍ فهو فقهٌ. ثمّ اختصّ بذلك علم الشريعة، فقيل لكلّ عالمٍ بالحلال والحرام: فقيه .."[٢] .

---

(١) انظر : جامع العلوم والحكم لابن رجب ص ٢٤٩ . والوصيَّة الكبرى لابن تيمية ص ٦٠ .

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس٤/٢٤٢ . وانظر : لسان العرب لابن منظور١٣/٥٢٢ . والمفردات للراغب الأصفهاني ٣٨٤ .

ولقد كان الفقه يُطلق في القرون الأولى على العلم بأحكام الشريعة كلّها. ومنه قوله ﷺ : "مَنْ يُرِدِ اللهُ به خيراً يُفَقِّهْهُ في الدِّين"[١] . وكذا دعاؤه ﷺ لابن عمّه ابن عبَّاس –رضي الله عنهما– كان عامًّا في الدين كلّه ، لا في مسائل الحلال والحرام فحسب، في قوله :"اللهمّ فقّهْهُ في الدِّين وعلّمْهُ التأويل"[٢] .

والملاحظ أنّ المتأخّرين خصّوا اسم "الفقه" بمعرفة مسائل الحلال والحرام ، وغيرها .

سبب تسمية العقيدة بالفقه الأكبر :

سمَّى العلماء العقيدة بالفقه الأكبر مقارنة بفقه الفروع . فقولنا "الفقه الأكبر" يُشعر بأنّ هناك فقهاً آخر ليس بأكبر ، وهو فقه ما أُطلق عليه اسم الفروع .

مؤلّفات في العقيدة تحت مسمّى "الفقه الأكبر" :

أوّل من استخدم مصطلح "الفقه الأكبر" هو الإمام أبو حنيفة ؛ النعمان بن ثابت (ت ١٥٠هـ) ؛ فقد رُوي عنه كتابٌ بهذا الاسم ، وهو مشهورٌ عند أصحابه[٣]، بحث فيه رحمه الله بعض مسائل الاعتقاد .

وكذلك يُنسب للإمام الشافعيّ؛ محمَّد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ) كتاب باسم "الفقه الأكبر"، عرض فيه مسائل الاعتقاد بالتفصيل[٤] .

ملاحظة : يَرِد على هذه التسمية ما ورد على تسمية "أصول الدين"؛ فقد يظنّ البعض أنّ تسمية العقيدة بالفقه الأكبر، يعني إهمال الفقه الآخر –مسائل الأحكام، والحلال والحرام– ؛ لأنّه أصغر مقارنة بالأكبر . وهذا الفهم غير صحيح ؛ لأنّ تسمية العقيدة بالفقه الأكبر يعني الاهتمام بها ، والبدء بتصحيحها قبل القيام بأداء الأعمال، ولا يعني –بحال– إهمال أداء الأعمال، ومعرفة أدلّتها التفصيليّة؛ لأنّ دين الإسلام كلّ لا يتجزّأ، ولا يُمكن الاستغناء عن بعضه ، والاكتفاء بالبعض الآخر .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب من يُرد الله به خيراً يُفقه في الدين .

(٢) ذكره ابن حجر في الإصابة ٣٣١/٢ ، وعزاه إلى معجم البغوي .

(٣) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤٦/٥ .

(٤) انظر كشف الظنون لحاجي خليفة ١٢٨٧/٢ .

المسألة الثالثة

في بيان بعض المسمَّيات التي أُطلقت على حملة العقيدة الإسلاميَّة

عرفنا بعض المسمّيات التي أُطلقت على علم العقيدة الإسلاميَّة .

وثمّة مسمّيات أُطلقت على أهل العقيدة الصحيحة وحملتها. سأذكر بعضها في الوقفات التالية :

الوقفة الأولى : أهل السنَّة والجماعة :

من المسمّيات التي أُطلقت على حملة العقيدة الصحيحة : أهل السنَّة والجماعة .

التعريف بأهل السنة والجماعة :

هذا المسمَّى يجمع وصفين اثنين لأصحابه ، وهما : السنَّة ، والجماعة .

والسنة قد تقدَّم معناها اللغويّ، وذكرنا أنّ العلماء يُعرِّفونها اصطلاحاً بأنَّها: ما نُقِل عن رسول الله ﷺ من قولٍ أو فعلٍ أو وصفٍ أو تقرير[1] .

والسنَّة قد تُطلق على ما يُقابل البدعة ، كقولهم : طلاق السنَّة كذا ، وطلاق البدعة كذا ، وفلانٌ على سنَّة –إذا وافق التنزيل والأثر في القول والفعل- ، وفلانٌ على بدعة – إذا عمل خلاف ذلك-[2] . وهاتان الكلمتان –السنّة والبدعة- تُستعملان دائماً ككلمتين متضادّتين ؛ لأنّ السنَّة هي الطريق التي كان عليها رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ ، والبدعة هي ترك تلك الطريق والانحراف عنها .

وقد ورد في الأثر ذكرُ السنَّة مقابل البدعة؛ من ذلك ما قاله رسول الله ﷺ : "ما أحدثَ قومٌ بدعةً، إلا رُفِعَ مثلها من السنَّة"[3] . وما قاله ابن عبَّاس –رضي الله عنهما- :

---

(١) انظر ص ١٥ ، ١٦ .

(٢) انظر مفهوم أهل السنة والجماعة عند أهل السنة والجماعة للدكتور ناصر العقل ص ٢٩ .

(٣) مسند أحمد ١٠٥/٤ ، وحسَّنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٢٥٣/١٣ .

"مـــا يأتي على النَّاس من عام إلا أحدثوا فيه بدعةً ، وأماتوا فيه سنَّةً ، حتى تحيى البدعُ ، وتموت السنن"[١] .

فالســـنَّة بهذا المعنى ، تشمل ما كان عليه رسول الله ﷺ ، وخلفاؤه الراشدون ﷺ ، وصحابته الكرام ﷺ من الاعتقادات ، والأعمال ، والأقوال .

أمَّـــا الجماعة في اللغة : فهي مأخوذة من الجمع ؛ وهو ضمّ الشيء بتقريب بعضه من بعض ؛ يُقال : جَمَعْتُهُ فاجْتَمَعَ . قال ابن فارس : "الجيم والميم والعين أصلٌ واحدٌ ، يدلّ على تضامّ الشيء ...."[٢] . والجماعة : العدد الكثير من النَّاس، أو القوم المجتمعون على أمرٍ ما، أو طائفة يجمعهم غرضٌ واحدٌ[٣].

والجماعة شرعاً هم : الرسول ﷺ ، وأصحابه ﷺ، والتابعون، وتابعوهم بإحسان[٤] .

وأهل الشيء هم : أخصّ النَّاس به. يقول أهل اللغة : أهلُ الرجل : أخصّ النَّاس به، وأهل البيت : سُكَّانه ، وأهل الإسلام : من يدين به ، وأهل المذهب : من يدين به[٥] .

وبإمكاننا بعدما علمنا معنى أهل ، والسنَّة ، والجماعة، أن نُعرِّف أهل السنة والجماعة بأنَّهم المتّبعون لمنهج الرسول ﷺ وأصحابه في الأصول والفروع[٦] .

وقيل: هم مَنْ كان على مثلِ ما كان عليه النبيّ ﷺ وأصحابه اعتقاداً وقولاً وفعلاً؛ لأنّ رســـول الله ﷺ سُـــئل عن الفرقة الناجية، فأجاب مرّة بأنَّها ما كان عليه هو وأصحابه، وأخرى قال : هي الجماعة[٧] .

---

(١) أخرجه ابن وضَّاح القرطبي في كتابه : البدع والنهي عنها ص ٤٥ .

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٤٧٩/١ .

(٣) انظر لسان العرب لابن منظور ٥٣/٨-٦٠ .

(٤) انظر مفهوم أهل السنة والجماعة للعقل ص ٥٤ .

(٥) انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس ١٥٠/١ .

(٦) انظر : الاعتصام للشاطبي ٢٨/١ . وشرح العقيدة الواسطيَّة للهرّاس ص ١٦-١٧ .

(٧) الحديث أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب شرح السنَّة. وابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب افتراق الأمم. وابن أبي عاصم في السنة ٣٢/١-٣٣، تحت الأرقام ٦٣، ٦٤، ٦٥. وقال الألباني في تعليقه على الحديث : "والحديث صحيح قطعاً ؛ لأنّ له ستّ طرق أخرى عن أنس ، وشواهد عن جمع من الصحابة" (٤٢/١) .

وقيـــل : "هم الذين اجتمعوا على الأخذ بسنّة النبيّ ﷺ ، والعمل بها ظاهراً وباطناً في القول والعمل والاعتقاد"[١] .

ملاحظة : لا يقصد بالجماعة هنا مجموع النّاس وعامّتهم، ولا أغلبهم ، ولا سوادهم ، ما لم يجتمعوا على الحقّ؛ لأنّ الجماعة هي التمسُّك بالكتاب والسنَّة، ولو كنتَ وحدك، كما قال عبد الله بن مسعود ﷺ : "إنّما الجماعة ما وافق طاعة الله ، وإن كنتَ وحدَك"[٢] .

يقول عبدالرحمن بن إسماعيل ، المعروف بأبي شامة (ت ٦٦٥هـ): "وحيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحقّ واتباعه، وإن كان المتمسّك به قليلاً، والمخالف كثيراً ؛ لأنّ الحقّ الذي كانت عليه الجماعة الأولى من النبيّ ﷺ وأصحابه ﷺ ، ولا تنظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم"[٣] .

الوقفـــة الثانيـــة : السَّـــلَف :

من المسمّيات التي أُطلقت على حملة العقيدة الصحيحة : السلف .

التعريف بهم :

السَّلَف في اللغة : جمع سَالِف ، والسالف: المتقدِّم . والسلف: الجماعة المتقدِّمون[٤] .

قال ابن فارس : "سَلَفَ : السين واللام والفاء أصلٌ يدلّ على تقدّم وسَبْقٍ. من ذلك : السلف الذين مضوا ، والقوم السُّلاَّف : المتقدِّمون .."[٥] .

فالسَّلف –إذاً– من سَلَف يَسْلِفُ سَلَفاً وسُلوفاً : أي تقدَّم[٦] .

---

(١) انظر : رسائل في العقيدة ص ٥٣ ، والمجموع الثمين ٣/٣ ، وكلاهما لفضيلة الشيخ ابن عثيمين .

(٢) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ١٠٩/١ .

(٣) الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة ص ٣٤ .

(٤) انظر لسان العرب لابن منظور ١٥٨/٩ .

(٥) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٩٥/٣ .

(٦) انظر : المفردات للراغب الأصفهاني ص ٢٣٩ . والوجوه والنظائر لألفاظ القرآن للدامغاني ص ٢٤٣ .

وسَلَف كلّ إنسان: مَنْ تقدَّمه من آبائه وذوي قرابته الذين هم فوقه في السنّ والفضل، وأحدهم سالف[١]. وقيل: من تقدَّمه بالموت من آبائه وذوي قرابته. ولهذا سُمِّي الصدر الأول من التابعين بالسلف الصالح[٢] . هذا عن السلف في اللغة .

أمَّا السلف في الاصطلاح : فقد اختلف العلماء في تحديد المراد هم، نتيجة اختلافهم في تحديد الزمن الذي يُنسبون إليه ، إلى عدّة أقوال :

١- القول الأول : أنّهم الصحابة ﷺ فقط. وهو قول عددٍ من شُرَّاح الرسالة لابن أبي زيد القيرواني[٣].

٢- القول الثاني : أنّهم الصحابة والتابعون. وممّن ذهب إلى هذا أبو حامد الغزالي، حين قال: "اعلم أنَّ الحقّ الصريح الذي لا مراء فيه عند أهل البصائر، هو مذهب السلف؛ أعني مذهب الصحابة والتابعين"[٤] .

٣- القول الثالث : أنّهم الصحابة، والتابعون، وتابعوا التابعين؛ أي القرون الثلاثة التي أثبت لها رسول الله ﷺ الخيريَّة بقوله : "خير النَّاس قرني ، ثمّ الذين يلوهم ، ثمّ الذين يلوهم"[٥] . وإلى هذا القول ذهب عددٌ كبيرٌ من أهل العلم؛ كالإمام الشوكاني ، والإمام السفاريني ، وغيرهما[٥] .

ملاحظة :

يُلاحظ على هذه الأقوال جميعها أنّها تُدخل من كان في القرون الأولى في مسمَّى السلف . ولكن ليس كلّ من كان في ذلك الزمن يُسمَّى سلفيًّا، إذ المعروف أنّ الفرق ظهرت

---

(١) انظر معالم التنـزيل للبغوي ١٤٢/٤ .

(٢) انظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٣٩٠/٢ .

(٣) انظر وسطية أهل السنة بين الفرق للدكتور محمد باكريم ص ٩٧ ، ٩٨ .

(٤) إلجام العوام عن علم الكلام للغزالي ص ٥٣ .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب فضائل أصحاب النبيّ ﷺ ، باب فضائل أصحاب النبيّ ﷺ .

في القرون الأولى ، فـ"ليس السبق الزمنيّ كافياً في تعيين السلف ، بل لا بُدّ أن يُضاف إلى هـذا السبق الزمنيّ موافقة الرأي للكتاب والسنَّة نصًّا وروحاً . فمن خالف رأيُه الكتابَ والسنَّةَ ، فليس بسلفيّ ، وإن عاش بين ظهرانيّ الصحابة والتابعين"[١] .

ويصحّ أن يُضاف إلى أهل القرون المفضَّلة الموافقين للكتاب والسنَّة ، مَنْ وافق الكتاب والسنَّة ، ونهج نهج أولئك الكرام ، واتَّبع آثارهم ومرويّاتهم الصحيحة التي أبانوا بها الحقّ . فلا شكّ أنَّه داخلٌ في مفهوم هذه الكلمة "السلف" . ولقد وُفِّق الإمام السفارينيّ رحمه الله حين حدّد مذهب السلف بأنَّه "ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ، وأعيان التابعين لهم بإحسان ، وأتباعهم ، وأئمَّة الدين ممَّن شُهِد له بالإمامة ، وعُرِف عِظَم شأنه في الدين ، وتلقّى النَّاس كلامهم خلفاً عن سلف ، دون مَنْ رُمِيَ ببدعة، أو شُهِرَ بلقبٍ غيرِ مرضيّ ؛ مثل : الخوارج، والروافض ، والقدريَّة ، والمرجئة ، والجبريَّة ، والجهميَّة ، والمعتزلة ، والكراميَّة ، ونحو هؤلاء..."[٢] .

إذاً : ليس المراد بالسلف أهل القرون المفضَّلة فحسب ، بل يدخل فيهم كلّ من وافق الكتاب والسنَّة ، ونهج منهج الصحابة ﷺ .

مفهوم الخلف عند علماء السَّلف :

الخلف في اللغة هو من جاء خَلْف المتقدّم ، سواء أكان تأخُّرُه في الزمن ، أو في الرتبة[٣] .

وإذا أُطلقت كلمة "الخلف" في مقابل كلمة "السلف" يُراد بها : "مَنْ رُمِي ببدعةٍ ، أو شُهِر بلقبٍ غير مرضيّ"[١] ، كما تقدَّمت عبارة الإمام السفاريني في ذلك . فمن انحرف عن الكتاب والسنَّة ، ومال عن طريقة الصحابة ﷺ، فلم يتخذها منهجاً له ، فهو خلفيّ ، وإن عاش بين ظهراني الصحابة .

---

(١) بتصرُّف من كتاب : الإمام ابن تيمية وقضيَّة التأويل للدكتور الجليند ص ٥٢ .

(٢) لوامع الأنوار للسفاريني ١/٢٠ .

(٣) انظر القاموس المحيط للفيروزآبادي ص ١٠٤٢-١٠٤٣ .

الوقفـة الثالثـة : أهـل الحـديث :

من المسمّيات التي أُطلقت على حملة العقيدة الصحيحة : أهل الحديث .

التعريف بهم :

الحديث في اللغة : ضدّ القديم . ويُستعمل في كثير الكلام وقليله[١] .

وهو في الاصطلاح : ما أُثِرَ عن النبيّ ﷺ من قولٍ ، أو فعلٍ ، أو تقريرٍ ، أو صفة[٢] .

وأهل الحديث: هم المنسوبون إليه بسبب اتّباعهم له ؛ فهم كلّ من جعل كلامَ رسولِ الله ﷺ مصدراً من مصادر التلقّي، يستفيدون منه عقائد الإسلام الصحيحة، ويبْنُون عليه، سواء أكانوا علماء حديث ، أو فقه ، أو أصول ، أو سوى ذلك .

يقـول الإمام الصابونيّ (ت ٤٤٩هـ) : "إنَّ أصحاب الحديث المتمسّكين بالكتاب والسنَّة ، حفظ الله أحياءهم ، ورحم أمواتهم .."[٣] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) : "ونحن لا نعني بأهل الحديث المقتصرين علـى سماعـه، أو كتابته، أو روايته، بل نعني بهم : كلّ من كان أحقّ بحفظه، ومعرفته، وفهمه ظاهراً وباطناً، واتباعه باطناً وظاهراً . وكذلك أهل القرآن"[٤] .

فأهل الحديث هم الذين اتبعوا آثار الصحابة ﷺ ، والتابعين لهم بإحسان، وكان لهم عـناية خاصَّة بأحاديث رسول الله ﷺ : جمعاً ، وحفظاً ، ورواية ، وفهماً ، وعملاً في الظاهر والباطـن .

---

(١) انظر المصدر نفسه ص ٢١٤ .

(٢) انظر الحديث النبويّ للدكتور محمد الصبّاغ ص ١٤٠ .

(٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابونيّ ص ٣-٤ .

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤/٩٥ .

المبحث الثاني
مصادر العقيدة الإسلاميّة

العقيـدة الإسلاميَّة لها مصـدران فقط ، هما : كتاب الله ﷻ ، وما صحَّ من سـنَّة رسول الله ﷺ .

وليـس للعقيدة مصدرٌ ثالث ؛ لأنّ إجماع السلف الصالح لا يكون إلا على الكتاب والسنّة[١] .

يقـول الإمام البيهقيّ (ت ٤٥٨هـ) : "فأمَّا أهل السنَّة ، فمعوّلهم فيما يعتقـدون : الكتاب والسنَّة"[٢] .

ويقول العلامة صديق حسن خان رحمه الله : "للإسلام أصلان فقط ؛ القرآن ، والسنَّة الصحيحة"[٣] . ويُعقِّب على ذلك بقوله : "وإنَّما حصرنا الأصول في كتاب الله تعالى ، وسنَّة الرسول ﷺ ؛ لأنّ الأمَّة مأمورةٌ بهما"[٣] .

وما على الأمَّة إلا الاعتصام بما أُمِرَت بالاعتصام به؛ كتاب ربِّها، وسنَّة نبيِّها ﷺ؛ إذ الاعتصام بهما سببٌ للعصمة من الوقوع في الخطـأ والانحراف والزلل، وسببٌ للعصمة من الوقوع في الاضطراب في فهم العقيـدة ، ولأنّه يُجمِّع الأمَّة ولا يُفرِّقها . يقول الله ﷻ :

﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ [طـه من آية ١٢٣].

ولا ريب أنّ الاعتصام بالكتاب والسنَّة من أعظم ما منَّ الله به على هذه الأمَّة ، كما قـال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معرض حديثه عن السلف الصالح : "وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم : اعتصامهم بالكتاب والسنَّة"[٤] .

---

(١) انظر الاعتصام للشاطبيّ ٢/٢٥٢ .

(٢) مناقب الإمام الشافعيّ للبيهقي ص ٤٦٢ .

(٣) الدين الخالص لصديق حسن خان ٣/٣٦ .

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ١٣/٢٨ .

منزلة العقل ومجالاته في الإسلام :

الله ﷻ امتنَّ على الإنسان بنعمة العقل الذي ميَّزه به عن سائر الحيوانات . وهذه النعمة هي التي ترفع صاحبها إلى مستوى التكاليف الشرعيَّة الإلهيَّة ، وتؤهِّله لإدراكها وفهمها[١] .

وليس ثمَّة عقيدة تقوم على احترام العقل الإنسانيّ ، وتكريمه ، والاعتماد عليه في فهم النصوص كالعقيدة الإسلاميَّة ، ويبدو هذا واضحاً في آيات كثيرة من كتاب الله ، مَدَحَ الله ﷻ فيها العقل ، ورفع من شأنه ، من خلال توجيهه إلى النظر ، والتفكُّر، والتدبُّر ، والتأمُّل[٢] .

ولكن لـمَّا كان للعقول في إدراكها حدّ تنتهي إليه لا تتعدَّاه ، لم يجعل الله لها سبيلاً إلى الإدراك في كلّ مطلوب[٣]؛ فلم يجعل لها سبيلاً لإدراك أغلب مسائل الاعتقاد؛ إذ لا يُمكن للعقول أن تستقلّ بمعرفتها لولا مجيء الوحي بها وبأدلتها العقليَّة . وما على العقول إلاّ فهمُها وتدبُّرها .

وأيضاً ، فإنّ كثيراً من مسائل الاعتقاد لا تُدرك العقول حقيقتها وكيفيّاتها ، ولو فهمت أدلّتها وتدبّرتها ؛ كالروح التي في أجسادنا : عَسُرَ على النّاس التعبير عن حقيقتها لـمَّا لم يشهدوا لها نظيراً[٤] . وكذا صفات ربّنا ﷻ ، رغم أنّنا فهمنا معانيها بعقولنا من اعتبار الغائب بالشاهد، إلاّ أنّ حقيقتها وكيفيّاتها لا تُدركه عقولنا؛ لأنّ العلم بكيفيّة الصفة يستلزم العلم بكيفيّة الموصوف . والموصوف ﷻ ليس كمثله شيء؛ فهو متّصفٌ بصفات الكمال التي لا يُماثله فيها شيء[٥] . وكذا ما أخبر الله ﷻ عنه من أمور الآخرة ؛ كالجنَّة ونعيمها ، والنّار وجحيمها ، وغير ذلك من المغيّبات ، ليست من مدارك العقل ، ولا في متناوله ، مع أنّ العقل يُقرّ بها ، ولا يُحيلها[٦] .

---

(١) انظر الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ١٥٠/١ .

(٢) انظر النبوات لابن تيمية ص ١٨٩ .

(٣) انظر الاعتصام للشاطبي ٣١٨/٢ .

(٤) انظر تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية ص ٢٠٢ .

(٥) انظر الرسالة التدمريّة لابن تيمية ص ٤٤-٤٥ .

(٦) انظر المصدر نفسه ص ٤٦ .

وإذا كان كذلك، فالعقل مُطالَبٌ بالتسليم للنصوص الشرعيَّة الصريحة، ولو لم يفهمها، أو يُـدرك الحكمـة التي فيها ؛ فالأمر ورد بقبولها والإيمان بها . فإذا سمعنا شيئاً من أمور الديـن، وعقلـناه ، وفهمناه ، فمن الله التوفيق ، وله الحمد والشكر على ذلك . وما لم نُدركه أو نفهمه ، آمنَّا به وصدَّقناه[١] .

درء تعارض العقل الصحيح والنقل الصريح :

بقـي أن نتساءل : هل يتعارض العقل الصحيح -السليم من الشبهات والأهواء- مع النص الصحيح الصريح ؟ والجواب : تعارض النصّ الصريح من الكتاب والسنَّة مع العقل الصحيح غير متصوّر أصلاً، بل هو مستحيل . فإذا تُوهِّم التعارض بسبب عدم فهمٍ للنقل، أو فسـادٍ في العقل ، فإنّ الوحي مقدَّم ومحكَّم . يقول شـيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "فيـأخـذ المسلمون جميعَ دينهم -من الاعتقادات والعبادات وغير ذلك- من كتاب الله ، وسنَّة رسوله ، وما اتّفق عليه سلف الأمّة وأئمّتها . وليس ذلك مخالفاً للعقل الصريح ؛ فإنّ ما خالف العقل الصريح فهو باطل . وليس في الكتاب والسنّة والإجماع باطل . ولكن فيه ألفاظ قد لا يفهمها بعضُ النّاس، أو يفهمون منها معنى باطلاً، فالآفة منهم ، لا من الكتاب والسنَّة"[٢] .

---

(١) انظر صون المنطق والكلام للسيوطي ص ١٨٢ .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١١/٤٩٠ .

المبحث الثالث
من خصائص العقيدة الإسلاميّة

التعريف بـ"خصائص" :

الخصائص جمع خِصِّيصة . يُقال : خصَّهُ بالشيء خَصًّا وخُصُوصاً وخَصُوصِيَّة ، وخِصِّيصى . واختصَّه بكذا ؛ أي خصَّه به ، فاختصَّ ، وتَخَصَّص ، أي تفرَّد[١] .

والخِصِّيصة : هي الصفة البارزة المميِّزة . فإذا قلنا : خصائص العقيدة ، فمرادنا : صفاتها البارزة التي تنفرد بها ، وتُميِّزها عن بقية العقائد .

وللعقيدة الإسلامية سمات بارزة تميّزها عن بقية العقائد ، سأقتصر على ذكر بعضها .

ولبيان هذه الخصائص ، قسَّمتُ هذا المبحث إلى أربع مسائل :

المسألة الأولى : أنَّها توقيفيَّة .

المسألة الثانية : أنَّها غيبيَّة .

المسألة الثالثة : التكامل والشمول .

المسألة الرابعة : أنَّها وسطيَّة .

المسألة الأولى
من خصائص العقيدة الإسلاميَّة : أنَّها توقيفيَّة

معنى التوقيف في اللغة :

التوقيف لغةً مأخوذة من الوَقْف . يُقال : وَقَفَ الدار ، إذا حَبَسَها . والتوقيف في الحَجِّ : وقوف النَّاس في المواقف . ومَوْقِف الرجل : وقوفه في أيِّ مكانٍ حيث كان[٢] .

---

(١) انظر : الصحاح للجوهري ١٠٣٧/٣ . والقاموس المحيط للفيروزآبادي ص ٧٩٦ .

(٢) انظر المصدران السابقان ١٤٤٥/٤ ، ص ١١١٢-١١١٣ .

المراد من كون العقيدة الإسلاميّة توقيفيّة :

المراد من كون العقيدة توقيفيَّة : أنَّ رسول الله ﷺ قد أوقف أُمَّته على مباحث العقيدة، فلم يترك لهم شيئاً إلا بيَّنه[١]. فيجب على الأمَّة أن تقف عند الحدود التي حدَّها وبيَّنها[٢].

ما الذي يلزم من كون العقيدة توقيفيّة :

لقد بيَّن رسول الله ﷺ العقيدة بالقرآن والسنَّة ، فما ترك منها شيئاً إلا بيَّنه . ويلزم من هذا :

١- أن نُحدِّد مصادر العقيدة ، بأنَّها الكتاب والسنَّة فقط .

٢- أن نلتزم بما جاء في الكتاب والسنَّة فقط. فليس لأحد أن يُحدِثَ أمراً من أمور الدين، زاعماً أنَّ هذا الأمر يجب التزامه أو اعتقاده ؛ فإنَّ الله ﷻ أكمل الدين ، وانقطع الوحي، وخُتِمَتِ النبوّة، يقول تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة : من الآية٣] ، ويقول ﷺ : "مَنْ أحدَثَ في أمرِنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ"[٣] . وهذا الحديث قاعدة من قواعد الدين، وأصلٌ من أصول العقيدة[٤] .

٣- أن نلتزم بألفاظ العقيدة الواردة في الكتاب والسنَّة ، ونتجنَّب الألفاظ المحدَثة التي أحدثها المبتدعة ؛ إذ العقيدة توقيفيَّة ، فهي مما لا يعلمه إلا الله[٥] .

---

(١) انظر : مباحث في عقيدة أهل السنة للعقل ص ٣٨ . والمدخل لدراسة العقيدة للبريكان ص ٦٢ .

(٢) انظر مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية لعثمان جمعة ضميريَّة ص ٣٨٣ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الصلح ، باب إذا اصطلحوا على صلح جور ، فالصلح مردود .

(٤) انظر مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة للعقل ص ٣٩ .

(٥) انظر المرجع نفسه .

المسألة الثانية

من خصائص العقيدة الإسلاميّة : أنّها غيبيّة

معنى الغيب في اللغة :

الغيبُ لغةً : من غابَ غَيْباً ، وغَيْبَةً ، وغَيْبُوبَةً ، وغِياباً ، خلاف شَهِدَ وَحَضَرَ. يُقال : غـــابتِ الشمسُ ، إذا غَرَبَت واسْتَتَرَت عن العين . والغَيْبُ : كلُّ ما غاب عنك ، وهو خلاف الشهادة[1] .

المراد من كون العقيدة الإسلاميّة غيبيّة[2] :

١- أنّها تبحث في قضايا غيبيَّة لا مجال للعقل في إدراكها ، ومبناها على التسليم والتصديق المطلق بما جاء عن الله ﷻ، وعن رسوله ﷺ ظاهراً وباطناً. (بعض قضايا العقيدة غيب) .

٢- أنَّ أهلها يقفون في أمرها على ما جاء عن الله، وعن رسوله ﷺ، فهم يؤمنون بالغيب. وقد وصفهم الله ﷻ بذلك في قوله: ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة:١-٣] .

ما الذي يلزم من كون العقيدة الإسلاميّة غيبيّة :

لَمّا كانت أغلب قضايا العقيدة غيبٌ بالنسبة لنا ، لَزِمنا كمؤمنين بالغيب :

١- أن نُسَلِّم لله ﷻ ، ولرسوله ﷺ . والتسليم لله ولرسوله يتمثّل في التسليم بما في الكتاب والسنَّة .

٢- أن لا نخوض ولا نُجادل في العقيدة ونصوصها -لأنّها غيبٌ- إلا بقدر البيان ، وإقامة الحجَّة، مع التزام منهج السلف في ذلك[3] .

٣- أن لا نُؤوِّل نصـــوص العقيدة ، ولا نصرفها عن ظاهرها بغير دليلٍ شرعيّ ثابت عن المعصوم ﷺ .

---

(١) انظر : القاموس المحيط للفيروزآبادي ص ١٥٥ . والمعجم الوسيط لجماعة من المؤلّفين ص ١٦٧ .

(٢) انظر مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة للعقل ص ٣٠ ، ٣٩ .

(٣) انظر : الشرح والإبانة لابن بطة العكبري ص ١٢٣-١٢٧ . والشريعة للآجريّ ص ٥٤-٦٧ .

المسألة الثالثة

من خصائص العقيدة الإسلاميّة : أنّها شموليّة

معنى الشمول في اللغة :

يُقال : شَمِلَ الأمرُ القومَ شَمْلاً، إذا شَمَلَهُم . واشتَمَلَ بالثوبِ ، إذا أداره على جسده كلّه ، حتّى لا تخرج منه يده . واشتَمَلَ على كذا ، أي احتواه وتضمّنه[1] .

المراد من كون العقيدة شموليّة :

أنّها لم تترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتت بإيضاحها، ووضعت لها نظاماً بأروع إحكام ، وأتقن بيان؛ فقد أحاطت وهيمنت على الأعمال، والأقوال، والسلوك، وكلّ أمور الحياة .

ولا يتمّ إيمان العبد إلا عندما يُخضع كلّ أمور حياته لهذا الدين .

مظاهر شموليّة العقيدة[2] :

لم تُغفل العقيدة الإسلاميّة أمراً من أمور الدين والدنيا إلا أتت عليه بالبيان والإيضاح التامّين ؛ فالله ﷻ ما فرّط في الكتاب من شيء، ورسوله ﷺ بيّن لأمّته جميع ما يحتاجون إليه . ومن مظاهر هذه الشموليّة :

١- أنّها أعطت الإنسان تصوّراً كاملاً عن الكون الذي يحيا فيه .

٢- أنّها تناولت كلّ القضايا التي بها تستقيم حياة الإنسان .

٣- أنّها أحاطت بالإنسان كلّه من حين ولادته، حتى وفاته . بل قبل ولادته، وبعد وفاته؛ قبل أن يتزوّج أبوه أمّه ، وحتى يستقر في الجنّة ، أو يدخل النّار –عياذاً بالله– .

---

(١) انظر : القاموس المحيط للفيروزآبادي ص ١٣١٩ . والمعجم الوسيط لجماعة من المؤلفين ص ٤٩٤-٤٩٥ .

(٢) انظر تفصيل ذلك في كتاب: المدخل لدراسة العقيدة الإسلاميّة للدكتور إبراهيم البريكان ص ٦٩-٧٢.

المسألة الرابعة

من خصائص العقيدة الإسلاميّة : أنّها وسطيّة

معنى الوسط في اللغة :

يأتي الوسط لغةً لعدّة معان :

١- ما كان بين طرفَي الشيء، وهو منه . كقولك : كسرتُ وَسط الرّمح ، جلستُ وسط الدّار ، جئتُ وسط النّهار[1] . ومنه قول سَوَّار بن المضَرَّب :

إنّي كأنّي أرى مَنْ لا حياءَ له ولا أمانةَ وَسْطَ النّاس عُرْيانا

٢- يأتي صفة ، بمعنى خيار، وأفضل، وأجود. فأوسط الشيء : أفضله وخياره . والفردوس أفضل الجنّة ، وهو أعلاها ، ووسطها . ومرعى وسط : أي خيار . ومنه قالت العرب : "وسط المرعى خيرٌ من طرفيه" . وواسطة القلادة : هي الجوهرة التي تكون في وسطها ، وهي أجودها[2] .

٣- ويأتي وسط بمعنى عَدْل . فالوسط من كلّ شيء : أعدله[3] .

والملاحظ على الوسط أنّه في كلّ معانيه اللغوية لا يخرج عن العدل، والفضل، والخيريّة .

المراد من كون العقيدة وسطيّة :

يُراد من قولنا عن العقيدة : إنّها وسطيّة : أنّها :

١- أفضل العقائد ، وخيارها .

٢- أعدل العقائد .

٣- لا إفراط ولا تفريط فيها .

---

(١) انظر : بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي ٢١٠/٥ . ولسان العرب لابن منظور ٤٢٦/٧-٤٢٨ .

(٢) انظر الصحاح للجوهري ١١٦٧/٣ .

(٣) انظر : بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي ٢٠٩/٥ . وتاج العروس للزبيدي ٢٣٨/٥ .

من مظاهر وسطيَّة العقيدة الإسلاميَّة :

لا يستطيع الإنسان أن يتحدَّث في صفحات محدودة ، بل ولا مجلّدات عن مظاهر وسطيَّة العقيدة الإسلاميَّة ؛ لأنَّ ذلك أكثر من أن يُحصر ؛ فالأمَّة الإسلاميَّة هي خير أمَّة أُخرجت للنَّاس ، ورسولها ﷺ أفضل رسول ، وكتابها القرآن الكريم أفضل الكتب ، وآخرها ، والمهيمن عليها . فهي خيارٌ في خيار .

ولي وقفتان ، أتحدَّث من خلالهما عن مظاهر وسطيَّة عقيدة هذه الأمَّة الوسط .

الوقفة الأولى : وسطيَّة أُمَّة الإسلام بين الأمم الأخرى :

بدت وسطيَّة أمَّة الإسلام بين الأمم الأخرى في الأمور التالية :

١- في توحيد الله ﷻ ، وصفاته : فهي وسطٌ بين اليهود والنصارى ؛

بين اليهود الذين وصفوا الربَّ ﷻ بصفات النقص التي يختصّ بها المخلوق، وشبَّهوه به؛ فقالوا : إنَّه بخيلٌ ، وفقيرٌ ، وأنَّه يتعب فيستريح ، وأنَّه يتمثَّل في صورة البشر ، وغير ذلك[1] .

وبين النصارى الذين وصفوا المخلوق بصفات الخالق ﷻ؛ فشبّهوه به، وقالوا : إنَّ الله هو المسيح بن مريم ، وإنَّ المسيح ابن الله ، وإنَّه يخلق ، ويرزق ، ويغفر، ويرحم، ويُثيب ، ويُعاقب، .. إلخ[2] .

وبينهما ظهرت وسطيَّة المسلمين الذين وحّدوا الله ﷻ ، فوصفوه بصفات الكمال ، ونزّهوه عن جميع صفات النقص ، وعن مماثلته لشيء من المخلوقات في شيء من الصفات ، وقالوا : إنَّ الله ليس كمثله شيء في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله[3] .

---

(١) انظر تفصيل ذلك في كتاب : وسطية أهل السنَّة للدكتور محمد باكريم ص ٢٣٨ ، ٢٤٤-٢٤٩ .

(٢) انظر المرجع نفسه ص ٢٣٨ ، ٢٤٩-٢٥٧ .

(٣) انظر منهاج السنة النبوية لابن تيمية ١٦٨/٥-١٦٩ .

٢- في أنبياء الله ﷺ ، ورسله : فهي وسطٌ أيضاً بين اليهود والنصارى ؛

بين اليهود الذين قتلوا الأنبياء ، ورمَوهم بكلّ شين ونقيصة ، وجفوهم ، واستكبروا عن اتباعهم .

وبين النصارى الذين غَلَوا في بعضهم ، فاتخذوهم أرباباً من دون الله ، واتخذوا المسيح عليه السلام إلهاً[1] .

وبينهما ظهرت وسطيّة المسلمين الذين أنزلوا الأنبياء منازلهم ، وعزّروهم، ووقّروهم ، وصدّقوهم ، وأحبّوهم، وأطاعوهم ، وآمنوا بهم جميعاً عبيداً لله ﷺ ، ورسلاً مبشّرين ومنذرين . و لم يعبدوهم ، أو يتخذوهم أرباباً من دون الله ؛ فهم لا يملكون ضرًّا ولا نفعاً ، ولا يعلمون الغيب[2] .

٣- في الشرائع : فهي وسطٌ أيضاً بين اليهود والنصارى ؛

فـاليهود منعوا أن يبعث الخالق ﷺ رسولاً بغير شريعة موسى عليه السلام ، وقالوا : لا يجوز أن ينسخ الله ما شرعه ، أو يمحو ما يشاء ، أو يُثبت ما يشاء .

والنصـارى جـوَّزوا لأحبـارهم ورهبانهم أن يُغيِّروا دين الله؛ فيحلّوا ما حرّم ﷺ، ويُحرِّموا ما أحلّ[3] .

أمّا المسلمون، فقالوا: لله الخلق والأمر؛ يمحو ما يشاء، ويُثبتُ ما يشاء، والنسخ جائزٌ في حياتـه ﷺ ، أمّـا بعد وفاته ﷺ فليس لمخلوقٍ أن يُبدِّل أمر الخالق ﷺ مهما بلغت منـزلته ، أو عَظُم قدره .

٤- في أمر الحلال والحرام ، فهي وسطٌ أيضاً بين اليهود والنّصارى ؛

فاليهود حُرِّم عليهم كثيرٌ من الطيِّبات ، منها[4] :

---

(١) انظر تفصيل ذلك في كتاب : وسطية أهل السنّة للدكتور محمد باكريم ص ٢٣٨ ، ٢٦٠-٢٧٧ .

(٢) انظر المرجع نفسه ص٢٣٨، ٢٧٧-٢٨٤. وانظر في معنى التعزير: الصارم المسلول لابن تيمية ص٤٢٢ .

(٣) انظر المرجع السابق ص ٢٣٩ .

(٤) انظر وسطية أهل السنّة للدكتور محمد باكريم ص ٢٤٠ .

أ- ما حرَّمه إسرائيل؛ يعقوب عليه السلام على نفسه، كما حكى تعالى ذلك عنه بقوله : ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ ﴾ [آل عمران: من الآية٩٣] .

ب- ما حرَّمه الله عز وجل عليهم جزاء بغيهم وظلمهم ، كما قال تعالى : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ [النساء: ١٦٠] .

والنصارى أسرفوا في إباحة المحرَّمات ؛ فأحلُّوا ما نصَّت التوراة على تحريمه ، ولم يأت المسيح عليه السلام بإباحته ؛ فاستحلُّوا الخبائث ، وجميع المحرَّمات ؛ كالميتة ، والدم ، ولحم الخنزير[١] .

أمَّا المسلمون : فقد أحلُّوا ما أحلَّ الله لهم في كتابه ، أو على لسان رسوله ﷺ من الطيِّبات ، وحرَّموا ما حُرِّم عليهم من الخبائث ؛ كما قال الله عنهم: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ [الأعراف آية١٥٧]

٥- في العبادة ، فهي وسطٌ بين اليهود والنصارى أيضاً ؛

فاليهود علموا ، ولم يعملوا ، فهم المغضوب عليهم ؛ أعرضوا عن العبادات ، واستكبروا عن طاعة الله ، واتبعوا الشهوات ، وعبَّدوا أنفسهم للمادة ، فاشتغلوا بدنياهم عن دينهم وآخرتهم[٢] .

والنصارى لم يعلموا ، وعبدوا الله على جهالة ، فهم الضالُّون ؛ غلوا في الرهبنة ، وتعبَّدوا ببدعٍ ما أنزل الله بها من سلطان ؛ فاعتزلوا النَّاس في الصوامع ، وانقطع رهبانهم للعبادة في الأديرة ، وألزموا أنفسهم بما لم يُلزمهم به الله ، ممَّا يشقّ على النفس والجسد ، ويُغالب الفطرة البشريَّة ويُضادّها ، فلم يستطيعوا الوفاء بذلك، كما حكى الله عنهم : ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ [الحديد: من الآية٢٧] .

---

(١) انظر كتاب الصفديَّة لابن تيمية ٣١٣/٢ .

(٢) انظر وسطية أهل السنَّة للدكتور محمد باكريم ص ٢٤٠ .

أمَّا الأمَّة الوسط: فقد علموا، وعملوا، فهم الذين أنعم الله عليهم؛ عبدوا الله وحده بما شرع ، لم يعبدوه بالأهواء والبدع[١] ، و لم ينسوا نصيبهم وحظوظهم في الدنيا[٢] ، وقدوتهم في ذلك رسولهم ﷺ .

الوقفة الثانية : وسطيَّة أهل السنَّة والجماعة بين الفرق الضالَّة :

تقدَّم الحديث عن جوانب من وسطيَّة أمَّة الإسلام بين الأمم .

ولقد كان أسعد هذه الأمَّة بهذه الخيريَّة ، أسعدها باتباع الكتاب والسنَّة ، وأحرصها على هديهما قولاً وعملاً واعتقاداً ، وهم أصحاب رسول الله ﷺ، ثمّ تابعوهم ، ثمّ التابعون لهم بإحسان من القرون الثلاثة المفضَّلة التي شهد لها رسول الله ﷺ بالخيريَّة في قوله : "خيرُ النَّاس قرني ، ثمّ الذين يلونهم ، ثمّ الذين يلونهم"[٣] . فهؤلاء هم خيار الأمَّة ، ثمّ يلحق بهم من كان على مثل ما كانوا عليه من الهدى والتمسُّك بالكتاب والسنَّة في كلّ زمان ومكان، ممّن أخبر عنهم الرسول ﷺ في حديث الافتراق بأنَّهم الفرقة الناجية، وأنَّهم الجماعة[٤]. وهؤلاء -أعني المتمسكين بالكتاب والسنَّة ، والمتبعين لمنهج الصحابة وسلف الأمَّة- أصبحوا في هذه الأمَّة كهذه الأمم بالنسبة للأمم ؛ فهم وسطٌ بين فرق هذه الأمَّة، كما كانت هذه الأمَّة وسطاً بين سائر الأمم . وكلُّ دارسٍ متفحِّص لأقوال الفرق في مسائل العقيدة وأصول الدين ، يُدرك أنَّ أهل السنَّة والجماعة وسطٌ بين الفرق في ذلك .

ومن مظاهر هذه الوسطيَّة :

---

(١) انظر الوسطية في الإسلام -تعريفٌ وتطبيقٌ- للدكتور زيد الزيد ص ٤٦-٥١ .

(٢) فصاموا وأفطروا، وقاموا بالليل وناموا، وتزوَّجوا النساء، وقدوتهم في ذلك رسولهم ﷺ. (انظر صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح. وصحيح مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح) .

(٣) تقدَّم تخريجه في ص ٢٢ .

(٤) انظر ص ٢٠ ، حاشية (٤) من هذا الكتاب .

١ – في أسماء الله وصفاته، فهم وسطٌ بين أهل النفي والتعطيل، وأهل التشبيه والتمثيل؛

فأهل السنَّة والجماعة يُؤمنون بكلّ ما وصف الله به نفسه، أو وصفه رسوله ﷺ، وبجميع أسمائه الحسنى من غير تحريفٍ لمعناها ، ولا نفيٍ لها أو تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل . فهم يُثبتون جميع الأسماء والصفات مع تحقيقها لله ﷻ ، وتنـزيهه سبحانه عن مماثلة مخلوقاته، تصديقاً بخبره عن نفسه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[الشورى من آية١١].

وهم وسطٌ في ذلك بين أهل التعطيل وأهل التشبيه والتمثيل .

فأهل التعطيل الذين أنكروا ما يجب لله من الأسماء والصفات ، أو أنكروا بعضه ، فهم نوعان ؛ أهل التعطيل الكلّي ؛ كالجهميَّة والمعتزلة ؛ وأهل التعطيل الجزئيّ ؛ كالأشعريَّة والماتريديَّة[١] .

وأهل التشبيه الذين شبّهوا الله بخلقه، وجعلوا صفاته من جنس صفات مخلوقاته ؛ كما فعل الكرَّاميَّة ، والهشاميَّة -أتباع هشام بن سالم الجواليقي- ، وكصنيع داود الجواربي ، ومن نحا نحوه[٢] .

٢– في باب القدر ، فهم وسطٌ بين الجبريَّة والقدريَّة ؛

فأهل السنَّة والجماعة يُؤمنون بأنَّ الله قدَّر الأشياء في الأزل، وعَلِمَ أنَّها ستقع في أوقاتٍ معلومةٍ عنده، وعلى صفاتٍ مخصوصة، فهي تقع وفق ما قدَّره الله ﷻ[٣] . وهم بذلك يُؤمنون بركنٍ من أركان الإيمان، أشار إليه الصادق المصدوق ﷺ بقوله : "وتؤمن بالقدر خيره وشرِّه"[٤] .

---

(١) انظر : فتح ربّ البرية بتلخيص الحموية للشيخ ابن عثيمين ص ١٨-١٩. والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للدكتور صالح الفوزان ص ١٥٧ .

(٢) انظر الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للدكتور صالح الفوزان ص ١٥٦-١٥٧ .

(٣) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ١/١٥٤ .

(٤) انظر تخريج هذا الحديث في ص ١٤ من هذا الكتاب .

ولا يُعدُّ المرء مؤمناً بالقدر حتّى يؤمن بمراتبه الأربع التي هي بمثابة الأركان فيه ، وهي : علم الله بالأشياء قبل كونها ، وكتابة كلّ ما هو كائن قبل أن يكون ، ومشيئة الله للأشياء قبل وقوعها، وخلقه للأشياء وإيجادها . فهذه أركان أربعة تشهد لها نصوص الكتاب والسنّة[١] .

أمّا المنحرفون عن الكتاب والسنّة في هذا الباب ، فقد أفرطوا وفرّطوا ؛

فالقدريّة -ويُمثّلهم المعتزلة- جفوا في إثبات القدر ؛ فنفوا قدرة الله ﷻ وخلقه لأفعال عباده، وقالوا : إنّ الله لا يقدر على عين مفعول العباد . وعليه فأفعال العباد -عندهم- ليست مخلوقة لله، وإنّما العبد هو الذي يخلق فعله[٢] ، فأنكروا خلق الله لأفعال عباده، وهي المرتبة الرابعة من مراتب الإيمان بالقدر .

والجبريّة -ومنهم الجهميّة- غَلَوا في إثبات القدر ، ونفَوا مسؤوليّة العبد عن أفعاله ؛ فهو لا يُريد فعلها ولا عدمه ، ولا يقدر عليه ، وقالوا : "لا فعلَ لأحدٍ في الحقيقة إلاّ لله وحده ، وأنّه هو الفاعل ، وأنّ النّاس إنّما تُنسب إليهم أفعالهم على المجاز ؛ كما يُقال : تحرّكت الشجرة ، ودار الفلك ، وزالت الشمس . وإنّما فعل ذلك بالشجرة والفلك والشمس الله سبحانه"[٣] ، وهو الذي يخلق الأفعال في الإنسان، على حسب ما يخلق في سائر الجمادات[٤]. فأنكروا فعل العبد لأفعاله، ونسبوا ذلك إلى الله. فالقدرية نفوا القدر وقالوا: الخلق خلق العبد، والجبريّة غلوا في إثبات القدرحتّى قالوا: الفعل فعل الربّ. وبرزت وسطيّة أهل السنّة في هذا الباب حين أثبتوا للعبد مسؤوليّة عن أفعاله، وإرادة

---

(١) من الكتب التي فصّلت في ذلك : أعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ الحكمي ص ١٢٤-١٤١ . ووسطيّة أهل السنة بين الفرق لمحمد باكريم ص٣٦٣-٣٦٦. والثمرات الزكيّة في العقائد السلفيّة لأحمد فريد ص٢٢٢-٢٥٠ .

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار الهمذاني ص٣٢٣. والمغني في أبواب العدل والتوحيد له ٣/٨ .

(٣) مقالات الإسلاميّين واختلاف المصلّين لأبي الحسن الأشعري ٣٣٨/١ .

(٤) انظر شفاء العليل لابن القيم ص ٥١ .

تُرجِّح له الفعل ، ومشيئة واختياراً ، وقدرة على الأفعال ؛ كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الاسراء من الآية٣٦] . والذي قام بالعبد هو فعله، وكسبه، وحركاته، وسكناته؛ فهو المصلّي ، القائم ، القاعد حقيقةً . والذي قام بالله ﷻ هو علمه، وقدرته، ومشيئته، وخلقه؛ كما أخبر ﷻ عن نفسه: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات:٩٦] ؛ فالله كما خلق العباد، يخلق أفعالهم، والعبد فاعل لفعله حقيقةً، وقادرٌ عليه بإقدار الله له، والخلق خلق الله ؛ لأنَّ العبادَ خَلْقٌ له، وأفعال المخلوقين مخلوقة، ولأنَّ الله خالق كلّ شيء ، ولا يكون في ملكه إلاّ ما يُريد كوناً وقدراً(١) .

وأهل السنَّة بوسطيّتهم هذه يجمعون بين النصوص ، ويؤلّفون بينها(٢) .

٣- في نصوص الوعد والوعيد ، فهم وسطٌ بين الوعيديَّة والمرجئة :

"جاء في كتاب الله ﷻ وسنَّة رسوله ﷺ كثيرٌ من الآيات والأحاديث التي تدلّ على وعد الله ﷻ للمؤمنين والمطيعين بالثواب الجزيل ، وأنّه أعدَّ لهم جنّات تجري من تحتها الأنهار ، ووعدهم بألوان من الأجر والجزاء، ومغفرة الذنوب فيما دون الشرك، وتكفير السيّئات، وإبدالها حسنات، ونحو ذلك"(٣). ومن هذه النصوص: قوله ﷻ: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر:٥٣]، وقوله ﷺ لأبي ذرّ الغفاري ﷺ : "ما مِنْ عَبْدٍ قال : لا إله إلا الله ، ثمّ مات على ذلك إلاّ دخل الجنّة"(٤) . وهذه يُقال لها : **نصوص الوعد** .

---

(١) انظر : عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني ص ٧٥ . وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٥٣٤/٣ . ومنهاج السنة النبوية لابن تيمية ٤٥٩/١-٤٦٠ ، ٢٩٨/٢ . وشفاء العليل لابن القيم ص ٤٩٣ .

(٢) انظر وسطيّة أهل السنّة بين الفرق للدكتور با كريم ص ٣٨١-٣٨٣ .

(٣) وسطيّة أهل السنّة والجماعة بين الفرق للدكتور محمد با كريم ص ٣٥٣ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب من مات لا يُشرك بالله شيئاً دخل الجنّة .

وجاء كذلك في الكتاب والسنَّة "آيات وأحاديث كثيرة، تتضمَّن الوعيد الشديد بالعذاب الألـــيم ، والخلود في النَّار لأهل الفسق والمعاصي وأصحاب الكبائر ، ووصفهم بالكفر والفســق والضــلال ونحو ذلك"[1] . ومن هذه النصوص: قوله ﷻ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾ [النساء:٩٣] ، وقوله ﷺ : "سِبَابُ المسلمِ فُسوقٌ، وقتاله كُفرٌ"[2]. وهذه تُسمَّى **نصوص الوعيد** .

والنَّاس قد افترقوا في هذه النصوص إلى طرفين ، ووسط .

فالمرجئـــة أخذوا بنصوص الوعد ، وتركوا نصوص الوعيد ، وقالوا : كلّ ذنبٍ سوى الشـــرك فهو مغفور ؛ فالإيمان لا تضرّ معه معصية ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة[3] .

وإنَّما ضلُّوا في هذا الباب بسبب عبادتهم الله بالرجاء وحده ، وإهمال جانب الخوف .

والوعيديَّـــة –مـــن الخوارج والمعتزلة– أخذوا بنصوص الوعد والوعيد ، وغَلَوا في نصوص الوعيـــد، وقالوا : لا بُدَّ أن يُنجز الله وعده ووعيده، ولا يصحّ أن يُخلف أيًّا منهما[4].

وسبب ضلالهم في هذا الباب : عبادتهم الله بالخوف وحده ، وإهمال جانب الرجاء .

وأهـــل الســـنة في هذا الباب وسطٌ بين غلاة المرجئة، وبين الوعيـــديَّة –مـــن الخوارج والمعتزلة–، وهم يأخذون بنصوص الوعد والوعيـــد؛ **فيجمعون بين الخوف والرجاء** ، ولا يُفرِّطون في نصوص الوعيد كالمرجئة الخالصة الذين قالوا: لا يضرّ مع الإيمان ذنب ، ولا يغـــلون غُلُوّ الخوارج والمعتزلة في نصوص الوعيد ، ويقولون في الوعيد : يجوز أن يعفوَ الله عن المذنب ، وأن يُخرِجَ أهل الكبائر من النَّار ، فلا يُخلِّد فيها أحداً من أهل

---

(١) وسطيَّة أهل السنَّة والجماعة للدكتور محمد با كريم ص ٣٥٤ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب خوف المؤمن أن يحبط عمله .

(٣) انظر وسطية أهل السنة بين الفرق للدكتور با كريم ص ٣٥٥ .

(٤) انظر : شرح الأصول الخمسة لعبدالجبار المعتزلي ص ١٣٥-١٣٦. والموجز لعبدالكافي الأباضي –من الخوارج– ضمن كتاب آراء الخوارج الكلاميَّة ، للدكتور عمار طالبي ١٠٥/٢ . .

التوحيد[١]، ويقولون في الوعد : إنَّ الله لا يُخلف وعـــده، فـــ"إذا وعد عباده بشيء ، كان وقوعه واجباً بحكم وعده ؛ فإنَّ الصادق في خبره ، الذي لا يُخلف الميعاد"[٢] .

الرجاء والخوف عند أهل السنَّة والجماعة :

الـــرجاء والخوف عند أهل السنَّة والجماعة من أركان العبادة[٣]، وهما متلازمان، كما قال الشيخ محمَّد الأمين الشـــنقيطي عنهما : "فاعلم أنَّهما متلازمان ؛ فمن كان يرجو ما عند الله من الخير ، فهو يخاف ما لديه من الشرّ ، كالعكس"[٤] ، وعلى تلازمهما دلَّت النصوص الشرعيَّة .

والرجاء والخوف عند العبد كجناحي طائر، قد يميل بأحد جناحيه لمصلحة، شريطة أن لا يفقد التوازن ، وعلماء أهل السنَّة والجماعة يقولون: "ينبغي للإنسان وهو في أيام صحته أن يُغـــلِّب الخوف دائماً على الرجاء ، وأن يكون خوفه أغلب من رجائه . فإذا حضره الموت غلَّب الرجاء في ذلك ليطغى على الخوف ، فلا ينبغي للمؤمن أن يموت إلا وهو يُحسن الظنّ بالله جلّ وعلا"[٥] .

ولكـــن ليس المراد أن ينفرد أحدهما في نفس العبد ؛ فإنَّ ذلك يكون ســـبباً في اختلال التوازن في حياته .

٤- في باب الأسماء والأحكام ، فهم وسطٌ بين الوعيديَّة والمرجئة :

المراد بالأسماء : أسماء الدين ، وهي تلك الألفاظ التي رتَّب الله ﷻ عليها وعداً ووعيداً ؛ مـــثل : مؤمـــن، ومسلم ، وكافر ، وفاسق . والمراد بالأحكام : أحكام أصحاب هذه الأسماء في الدنيا والآخرة[٦] .

---

(١) انظر منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٤٦٦/١-٤٦٧ .

(٢) المصدر نفسه ٤٤٨/١ .

(٣) سيأتي الحديث عنها لاحقاً .

(٤) أضواء البيان للشنقيطي ٢٠٠/٤ .

(٥) مدارج السالكين لابن القيم ٥١/٢ . وانظر فتاوى العقيدة للشيخ ابن عثيمين ص ٣٠١-٣٠٢ .

(٦) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٨/١٣ .

والنَّاس في أحكام عصاة المسلمين وأسمائهم، قد انقسموا إلى طرفين –وعيديَّة ومرجئة– ، ووسط –أهل السنة والجماعة– ؛

أولاً : انقسامهم في أسماء مرتكبي الكبائر :

الوعيديَّة : سلبوا اسم الإيمان عن العاصي في الدنيا ، وسمُّوه : إمَّا كافراً كالخوارج(١) ، أو في منـــزلة بين الإيمان والكفر ؛ فلا هو مؤمن ولا كافر ، كالمعتزلة(٢) .

والمرجئة والجهميَّة : زعموا أنَّ العاصي مؤمن كامل الإيمان ؛ لأنَّ الإيمان عندهم مجرَّد ما في القـــلب ، أو المعرفة القلبيَّة . وهم الذين قالوا : "لا تضرّ مع الإيمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة"(٣) .

أمَّا أهل الســـنَّة والجماعة : فقد أطلقوا على مرتكب الكبيرة اسم : "مؤمن عاص ، أو مؤمـــن فاسق ، أو مؤمن بإيمانه فاســـقٌ بكبيرته" ، فلا يزيلون عنه اسم الإيمان بالكليَّة بذهـــاب بعضه ، ولا يُعطونه اسم الإيمان المطلق(٤)، والله ﷻ قد سمَّى المُقْتَتلين مؤمنينَ ؛ فقال: ﴿ وَإِنْ طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾، إلى أن قال : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات : ٩–١٠] .

ثانياً : انقسامهم في أحكام مرتكبي الكبائر في الآخرة :

الوعيديَّـــة حكموا بخلود أصحاب الكبائر في النَّار في الآخرة؛ فالخوارج قالوا : إنَّ أهل الكـــبائر خالدون مخلَّدون في النَّار ، لا يخرجون منها أبداً(٥) ؛ والمعتزلة قالوا : يدخلون

---

(١) انظر مقالات الإسلاميِّين لأبي الحسن الأشعري ١/١٦٨.

(٢) انظر شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار المعتزلي ص ٦٩٧ .

(٣) انظر وسطية أهل السنة بين الفرق للدكتور محمد با كريم ص ٣٣٥-٣٣٦ .

(٤) انظر المرجع نفسه ص ٣٤٦ .

(٥) انظر مقالات الإسلاميِّين لأبي الحسن الأشعريّ ١/١٦٨ .

النَّار، ويُخلَّدون فيها أبد الآبدين، ودهر الداهرين[١] . ويظهر من أقوال الفرقتين تشابه موقفهم في حكم مرتكب الكبيرة في الآخرة .

أمَّـــا أهل السنَّة والجماعة فقالوا : إنَّ حكم مرتكب الكبيرة في الآخرة أنَّه يُخاف عليه العقاب، ويُرجى له الرحمة؛ فـــمَنْ لَقِيَ الله "مُصِرًّا غيرَ تائبٍ من الذنوب التي استوجبَ بها العقوبة ، فأمره إلى الله ﷻ ؛ إن شاء عذَّبه ، وإن شاء غَفَرَ له .." [٢] ؛ فإن غَفَرَ له ، وأدخلـــه الجنَّة دون عذاب ولا عقاب ، فبفضله . وإن أدخله النَّار وعذَّبه بقدر ذنوبه ، فبعدله . ثمَّ إنَّه لا يُخلَّد في النَّار كالكفَّار . وهم في ذلك ينطلقون من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء : من الآية٤٨] .

٥- في أصحاب رسول الله ﷺ ، فهم وسطٌ بين الغالي والجافي :

الصحابي هو : مَنْ لَقِيَ النبيَّ ﷺ مؤمناً به ، ومات على الإسلام[٣] .

وأهل السنَّة والجماعة وسطٌ في صحابة رسول الله ﷺ بين الغلاة والجفاة ؛

الغـــــلاة الذين يقولون بألوهيَّة أمير المؤمنين وأبي السبطين عليّ بن أبي طالب ﷺ ، أو يقولون بعصمته ، أو يُفضِّلونه على أبي بكر وعمر ﷺ أجمعين[٤] .

والجفـــــاة الذين جفوا الصحابة حتى كفَّروهم، ولعنوهم، ورموهم بالعظائم ؛ كفعل الخوارج في حقِّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ، وبعض الصحابة[٥] ؛ وكفعل المعتزلة

---

(١) انظر شرح الأصول الخمسة لعبدالجبار المعتزلي ص ٦٦٦ . وانظر أيضاً فتح الباري لابن حجر ٧٣/١ .

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنَّة والجماعة للالكائي١٦٢/١. وانظر الشرح والإبانة لابن بطة العكبري ص٢٦٥ .

(٣) انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٧/١ .

(٤) انظر الفرقان بين الحقّ والباطل لابن تيمية ص ٢١-٢٢ .

(٥) انظر المصدر نفسه ص ١٩ .

في تفسيقهم لطوائف من الصحابة ، وردّهم لشهادتهم[١] ؛ وكفعل الرافضة في سبّ وتكفير الصحابة ، سيّما الشيخين ﷺ[٢] .

وتوسّط أهل السنة بين هؤلاء وهؤلاء ؛ فأحبُّوا الصحابة ﷺ، وترضوا عنهم ، واعتقدوا عدالتهم، وأنّهم أفضل هذه الأمَّة بعد نبيِّها ﷺ ، وأنَّ الله قد حفظ بهم دينه ، وأقام بهم عقيدة الإيمان صافية نقيَّة[٣] .

والأدلَّة من الكتاب والسنَّة على فضلهم أكثر من أن يجمعها مكان . منها : قوله ﷻ : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح:٢٩] .

ومنها قوله ﷺ : "لا تسبُّوا أصحابي ، فلو أنَّ أحدَكم أنفقَ مثلَ أُحُدٍ ذَهَباً ما بَلَغَ مُدَّ أحدِهم ولا نَصيفه"[٤] .

---

(١) انظر : تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٧٨/١٢ . وميزان الاعتدال للذهبي ٣٢٩/٤ .

(٢) انظر : الفرقان بين الحق والباطل لابن تيمية ص ٢٣ . ووسطية أهل السنة بين الفرق لباكريم ص ٤٠٦-٤١١ .

(٣) انظر : عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني ص ٨٦ ، ٩٠ ، ٩٣ . وأعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ الحكمي ص ١٧٧-١٧٩ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل أبي بكر بعد النبيّ ﷺ . وصحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب تحريم سبّ الصحابة ﷺ .

الباب الأوّل

ويشتمل على تمهيد ، وفصلين :

الفصل الأول : بيان أنواع التوحيد . وأقسامه بإيجاز .

الفصل الثاني : دراسة بعض التفصيلات عن توحيد العبادة "الإلهيَّة" .

تمهيد

وفيه مسألتان :

المسألة الأولى : تعريف التوحيد .

المسألة الثانية : التوحيد هو الأصل في البشر تاريخاً ، وفطرة ، والشركُ طارئٌ .

المسألة الأولى

تعريف التوحيد

سبق تعريف التوحيد لغةً واصطلاحاً[1] .

وقلـــنا في تعريفه اصطلاحاً : إفراد الله بما تفرَّد به ، وبما أمر أن يُفردَ به ؛ فنُفرده في ملكه وأفعاله فلا ربّ سواه ولا شريك له، ونُفرده في أُلوهيَّته فلا يستحقّ العبادة إلا هو ، ونُفرده في أسمائه وصفاته فلا مثيل له في كماله ولا نظير له .

المسألة الثانية

التوحيد هو الأصل في البشر تاريخاً وفطرةً والشرك طارئ

وفيه ثلاثة فروع :

الفرع الأول : التوحيد هو الأصل في البشر تاريخاً .

الفرع الثاني : التوحيد هو الأصل في البشر فطرةً .

الفرع الثالث : الشرك طارئ .

---

(١) انظر ص ١٠-١١ من هذا الكتاب .

الفرع الأول

التوحيد هو الأصل في البشر تاريخاً

ثمّة شبهة أُثيرت، مفادها أنّ الأصل في الإنسان أنّه مشركٌ ، وأنّ التوحيد طارئٌ عليه .

وقد زعم أصحاب هذه المقولة أنّ الإنسان عَرَفَ الشركَ وتعدّد الآلهة أولاً، ولم يعرف عقيدة التوحيد إلاّ بعد أن تطوّرت ومرّت بعدّة مراحل .

ويُردّ عليهم بأنّ التوحيد هو الأصل في البشر تاريخاً للأدلة التالية :

١- إنّ الغاية من خلق آدم ﷺ وذريّته هي عبادة الله وحده، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذريات:٥٦] .

٢- آدم ﷺ أبو البشر ، وحوّاء أمّهم كانا على التوحيد ، وحين أكلا من الشجرة ، علما أنّ لهما ربًّا يقبل التوبة عن عباده ، ويعفو عن السيئات ، فتضرّعا إليه قائلَيْن : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف: من الآية٢٣] .

٣- إنّ الله اصطفى آدم ﷺ، وشرّفه بذلك، قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران:٣٣] ، ولا يكون الاصطفاء لمشـرك . وقد أمر ملائكته بالسـجود له ، يقول ﷻ :﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة:٣٤] .

٤- إنّ الله ﷻ قـد أخذ العهد والميثاق على بني آدم، وهم في صُلْب أبيهم آدم ﷺ أنّه ربُّهم ، وأشهدهم على أنفسـهم ، كما قال مولانا ﷻ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [الأعراف:١٧٢-١٧٣] .

٥- إنَّ ذريَّـــة آدم ﷺ من بعده كانوا يدينون بالتوحيد الخالص طيلة عشرة قرون ؛ حتَّى حدث الشرك في قوم نوحٍ ﷺ ، كما ســيأتي(١) ؛ فبعث الله تعالى إليهم نوحــاً ﷺ يدعوهم إلى عبادة الله وحده ؛ يقول تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف:٥٩] .

٦- كلَّما انحرفت البشريَّة عن التوحيد، أرسل الله الرسل تدعو إلى عبادته وحده، ونبذ ما يُعبد من دونـــه ، كما قال تعالى مخاطباً رسوله ﷺ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الانبياء : ٢٥] .

الفرع الثاني

التوحيد هو الأصل في البشر فطرةً

الفطْـــرَة على وزن فِعْلَة ، وهي مشتقّة من فَطَرَ . يُقال : انفطر الشيء ، إذا انشقّ . وفَطَرَ الأمرَ ، إذا ابتدأه واخترعه وأنشأه . وفَطَرَ اللهُ العالَمَ ، أوجده ابتداءً . وفطر الخلقَ ، خلقهم وبَرَأهم(٢) .

والمراد بها هاهنا : أصل الخلقة ، وهي ما أوجد الله عليه النَّاس ابتداءً من الإيمان به ﷻ وتوحيده .

وكما كان التوحيد هو الأصل في البشر تاريخاً، فهو الأصلُ في البشر فطرةً، للأدلة التالية :

١- إنَّ الله ﷻ منذ أوجد البشر فَطَرَهم على التوحيد والإيمان به ﷻ خالقاً ومعبوداً ، وأخذ عليهم العهد والميثاق منذ كانوا في أصلاب آبائهم(٣) . يقول تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٢-١٧٣] .

---

(١) في الفرع الثالث : الشرك طارئ ، ص ٥٢ من هذا الكتاب .

(٢) انظر : القاموس المحيط للفيروزآبادي ص ٥٨٧ ، والمعجم الوسيط لجماعة من المؤلفين ص ٦٩٤ .

(٣) انظر مدخل لدراسة العقيدة الإسلاميَّة لعثمان جمعة ضميريَّة ص ١٦ .

٢- إنَّ الله ﷻ قد أمر رسوله ﷺ -وأُمَّته داخلة في الخطاب- أن يُقيموا وجوههم ، ويُخلصوا دينهم لـــه ؛ لأنَّ ذلك هو مقتضى الفطرة التي فطرهم عليها، قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم:٣٠] .

٣- قد أخبر مولانا ﷻ أنَّه خلق عباده حنفاءَ كلَّهم ، موحِّدين، مسلمين، مستقيمين، منيبين لقبول الحقِّ ؛ لأنَّ ذلك هو مقتضى الفطرة التي فطرهم عليها ، حين أخذ عليهم العهد في الذرّ[١] . يقول الله ﷻ في الحديث القدسيّ : "وإنِّي خَلَقْتُ عبادي حُنَفَاءَ كُلَّهم ، وإنَّهم أَتَتْهُمُ الشـــياطين فَاجْتَالَتْهُمْ عن دينهم ، وحرَّمَتْ عليهم ما أَحْلَلْتُ لهم ، وأَمَرَتْهُمْ أن يُشْرِكُوا بي ما لم أُنَزِّلْ به سُلْطَاناً"[٢] ؛ فالعبادُ كلُّهم مفطورون على الإسلام ، والإيمان الصـــحيح ، ولكنْ للشياطين دورٌ في مسخ الفطرة ، وتشويهها ، وجعلها تنحرف عن المسار السويّ . فإذا طرأ على الفطرة ما يصرفها عن الصواب والحقّ ، فإنَّها تحتاج إلى ما يُصحِّح لها مسارها، ويردّها عن الانحراف، وهذه مهمَّة الرسل عليهم الصلاة والسلام .

٤- أخبر الرسول ﷺ "أنَّ كلَّ مولودٍ يُولَدُ مُهيَّئاً للإسلام"[٣]، في قوله: "مَا مِنْ مولود إلا يُولَدُ على الفطْرة. فأبواه يُهَوِّدانه ويُنَصِّرانه ويُمَجِّسانه.كما تُنْتَجُ البَهِيْمَةُ بَهيمَةً جَمْعَاءَ . هَلْ تُحِسُّونَ فيها مِنْ جَدْعَاءَ؟". ثمّ يقول أبو هريرة ﷺ راوي الحديث : واقرؤوا إن شـــئتم : ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم:٣٠][٤] . والفطرة التي يُولد الإنسان عليها كما

---

(١) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ١٩٧/١٧ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الجنَّة وصفة نعيمها وأهلها ، باب الصفات التي يُعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النَّار .

(٣) قاله النووي في شرحه على صحيح مسلم ٢٠٨/١٦ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب القدر ، باب معنى : كل مولودٍ يُولد على الفطرة .

قـال الإمام المازريّ : "هي ما أُخِذَ عليهم في أصلاب آبائهم ، وأنّ الولادة تقع عليها ، حتى يحصل التغيير بالأبوين"[١] ؛ فالإنسان لو تُرِكَ على أصل خِلْقَتِهِ التي خلقه الله عليها؛ "الفطرة"، دون أن تتدخَّل المؤثّرات الأخرى ، لكان من المؤمنين المسلمين[٢] .
والتحوُّل عن الفطرة أساساً ، إنَّما هو من فعل الشيطان ، ووسوسته ، وإغوائه .

٥- إنَّ كلَّ مولودٍ في العالم يُقرُّ بأنَّ الله خالقُه وربُّه ، ولو عَبَدَ غيرَه ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [العنكبوت:٦١] ، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [الزخرف:٨٧] ، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٣] ؛ فالفطرة تدلّ على توحيد الربوبيَّة .

٦- إنَّ الفطرة تدلّ على توحيد الألوهيَّة ؛ لأنَّ توحيد الربوبيَّة يستلزم توحيد الألوهيَّة ؛ فمن أيقن أنَّ الله ربُّه وخالقُه ، فلا بُدَّ أن يصرف العبادة له وحده ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢١-٢٢] ؛ فالإنسان إذا آمن بأنَّ الله ﷻ هو الخالق ، الرازق ، المحيي ، المميت ، المعطي ، المانع ، الضارّ ، النافع ، بيده الأمر كلُّه ، وإليه يُرجع الأمرُ كلُّه ، فلا بُدَّ أن ينتهي به الأمر إلى أنَّه المعبود بحقٍّ وحده ، لا شريك له ؛ فيخضع قلبُه لـه محبّة ، وإنابةً ، وذُلاًّ ، وخوفاً ، وخشيةً ، وتوكُّلاً ؛ إذ كيف يعبد ، أو يخاف ، أو يُحبّ محبَّة عبادة ، أو يتوكَّل على مخلوقٍ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرًّا .

---

(١) نقله عنه الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم ٢٠٨/١٦ .

(٢) انظر تفسير البغوي ٢٧٠/٦ .

الفرع الثالث
الشركُ طارئٌ على البشريّة

فهمنا مّما تقدّم أنّ الشرك نوعٌ من أنواع الانحراف عن جادّة الحقّ والفطرة ، وأنّه ليس الأصل ، كما زعم من زعم . والأدلة على ذلك كثيرة ، منها :

١- لقــد كانت البشريَّة الأولى ، أو ذريَّة آدم ﷺ المولودة على الفطرة، -والفطرة هي دين الإسلام الذي رضيه الله ﷻ وارتضاه لعباده[١]- كانت على الإسلام طيلة عشرة قرون[٢] .

٢- يقول ابن عبَّاس -رضي الله عنهما- في تفسير قول الله ﷻ : ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾[البقرة من الآية٢١٣] : "كان بين آدم ونوح عشرة قرون ، كلُّهم على الإسلام"[٣] .

فالتوحيد هو أصل البشريَّة، منذ خلق الله آدم ﷺ، حتى وقع الشرك في قوم نوح ﷺ.

٣- أوَّلُ شــركٍ وقع في الخليقة هو شركُ قوم نــوحٍ ﷺ ، وسبب كفرهم وتركهم دينهم هو غُلُوُّهم في الصالحين ؛ فمعبوداتهم التي عكفوا عليها وتعصَّبوا لها ، وقالوا عنها : ﴿لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح:٢٣]، هي "أسماء رجال صالحين من قوم نوح . فلمَّا هلكوا أوْحى الشــيطانُ إلى قومهم أنِ انْصبُوا إلى مجالسهم الــتي كانوا يجلسُون أنصاباً وسمُّوها بأسمائهم ، ففعلوا . فلم تُعبَد، حتى إذا هَلَكَ أولئك وتَنَسَّخَ العلمُ ، عُبِدَت"[٤] ، كما قال الحبر ابن عباس رضي الله عنهما .

فالشركُ طارئٌ على البشريَّة ، وأوَّل ما وقع في قوم نوحٍ ﷺ ، بعد ألف سنة من آدم ﷺ .

٤- بعث الله ﷻ الرُّسُــلَ تترى؛ كلَّما ضلَّت أُمَّةٌ وانحرفت عن التوحيد ، بعث إليها رسولاً يُعيدها إلى الجادَّة ، ويُبصِّرها بضلالها ، كي ترعوي ، وتعــود إلى الحــقّ . قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: من الآية٣٦] .

---

(١) انظر كلمات في الأخلاق الإسلاميَّة للدكتور كمال محمَّد عيسى ص ٨٣ .

(٢) انظر : معارج القبول للشيخ حافظ الحكمي ٦٧٨/٢ . وأضواء البيان للشيخ الشنقيطي ٢٨٦/١ .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٣٣٤/٢ ، والحاكم في المستدرك ٤٤٢/٢ ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط البخاري ، ولم يُخرِّجاه ، ووافقه الذهبيّ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب : ﴿ودًّا ولا سواعاً ولا يغوث ويَعوق﴾ .

الفصل الأوّل

أنواع التوحيد

ويشتمل على تمهيد ، وثلاثة مباحث :

المبحث الأول : توحيد الربوبيّة .

المبحث الثاني : توحيد الأسماء والصفات .

المبحث الثالث : توحيد الألوهيَّة .

تمهيد :

اعلم أنّ التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أنواع[١] .

وهذه القسمة استقرائيّة ، قد دلّت عليها النصوص .

يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله : "دلّ استقراء القرآن العظيم على أنّ التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام : الأول : توحيده في ربوبيَّته ، وهذا النوعُ جُبِلَت عليه فطر العقلاء . الثاني : توحيده جلّ وعلا في عبادته ، وضابط هذا النوع من التوحيد هو : تحقيق معنى لا إله إلا الله ، وهي متركّبة من نفيٍ وإثبات . الثالث : توحيده جلّ وعلا في أسمائه وصفاته"[٢] .

فأنواع التوحيد إذاً ثلاثة .

وقد اجتمعت هذه الأنواع الثلاثة في آية واحدة من كتاب الله ﷻ ؛ في قوله تعالى : ﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم:٦٥] .

يقول الشيخ محمّد بن صالح العثيمين رحمه الله موضّحاً ذلك: "فقوله: ﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ هذا توحيد الربوبيّة. وقوله : ﴿ فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ﴾ هذا توحيد الألوهيّة. وقوله: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ هذا توحيد الأسماء والصفات ؛ أي لا تعلم له سميًّا ؛ أي مسامياً يُضاهيه ويُماثله ﷻ "[٣] .

وبعد ما عَرَفنا أنواع التوحيد ، نتكلّم عن كلّ نوعٍ منها بإيجاز .

---

(١) انظر الدين الخالص لصديق حسن خان ٥٦/١ .

(٢) أضواء البيان للشنقيطي ٤١٠/٣-٤١١ .

(٣) الجواب المفيد في بيان أقسام التوحيد لابن عثيمين ص ٩ .

المبحث الأول
توحيد الربوبيّة

توحيـــد الربوبيَّة أحد أنواع التوحيد الثلاثة . ويُمكن الحديث عنه بإيجاز في الوقفات التالية :

الوقفة الأولى : معنى الربّ لغةً :

الربُّ لغةً يأتي لعدّة معان ، منها : المربِّي ، والمالك . يُقال : ربُّ كلِّ شيء : مالكُه ، ومستحقُّه ، أو صاحبه[1] .

الوقفة الثانية : توحيد الربوبيّة شرعاً :

هو الاعتقاد والاعتراف والإقرار الجازم بأنّ الله وحده ربُّ كلِّ شيء ومالكُه ، وخالق كلِّ شيء ورازقه، وأنّه المحيي والمميت، والنافع والضارّ، المتفرِّد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي له الأمر كلُّه، وبيده الخيرُ كلُّه، وإليه يرجع الأمر كلُّه، ليس له في ذلك شريك[2] .

الوقفة الثالثة : ما الذي يلزم المؤمن بتوحيد الربوبيّة ؟

عندما نقول : على العبد أن يُوحِّد الله في ربوبيّته ، فإنّا نطلب منه أموراً ، هي :

١- أن يؤمن بوجوده أولاً .

٢- أن يؤمن بأفعال الله العامَّة ؛ كالخلق ، والرزق ، والنفع ، والضرّ ، والإعطاء ، والمنع ، والإحياء ، والإماتة ، ... إلخ .

٣- أن يؤمـــن بقضاء الله وقدره ؛ لأنّ ما يُجريه الله في كونه ، وما يُقدِّره من مقادير هي من أفعاله ﷻ .

الوقفة الرابعة : في ذكر بعض الأدلة الشرعيّة على توحيد الربوبيّة :

القرآن الكريم مليء بذكر الأدلة على ربوبيَّة الله ﷻ ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة:٢] ، وقوله : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ

---

(١) انظر : الصحاح للجوهري ١/١٣٠ . و القاموس المحيط للفيروزآبادي ص ١١١ .

(٢) انظر تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ص ٣٣ .

وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة:١٦٤] ، وقوله : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس:٨٢]، وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذريات:٥٨] ، وغير ذلك .

الوقفة الخامسة : دلالة الفطرة على توحيد الربوبيّة(١) :

هـــذا النوع من التوحيد جُبِلَتْ عليه فطر العقلاء ؛ فالله ﷻ فَطَرَ خلقه على الإقرار بربوبيّته ، وأنّه الخالق الرازق ، المحيي المميت ، .. إلخ . وقد حكى الله ﷻ عن المشركين أنّهم يُقرُّون بهذا النوع من التوحيد، فقال : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾[العنكبوت:٦١]، ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [الزخرف:٨٧] ، ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٣] ... فهم ينسبون لله سبحانه : الخلق، والإحياء، والإماتة ، وتدبير الأمر ؛ من رزق ، وإنزال مطر ، وغير ذلك .

الوقفة السادسة : موقف المشركين من توحيد الربوبيّة :

ذكرنا في الوقفة السابقة أنّ المشركين كانوا يُقرُّون بتوحيد الربوبيّة ، ومع ذلك حكم عليهم الله ﷻ بالكفر ، ودمغهم بالشرك ، فقال : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦]. والملاحظ أنّ الله ﷻ نسب إليهم في هذه الآية إيماناً، مع حكمه عليهم بالشرك، وهذا الإيمان الذي أثبته لهم ، قولهم : إنّ الله خلقنا ، ويرزقنا ، ويُميتنا ، ... فهذا إيمانهم ، مع إشراكهم في عبادتهم غيره(٢) .

وهذا التوحيد كما أقرّ به المشركون الذين بُعث فيهم رسول الله ﷺ ، كذلك أقرَّت به سائر الأمم ، إمَّا ظاهراً وباطناً ، أو باطناً فقط . وفرعون الذين أنكره ظاهراً ، أقرّ به باطناً كما حكى الله عنه وعن قومه : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ﴾ [النمل: من الآية١٤](٣) .

الوقفة السابعة : هل يكفي توحيد الربوبيّة وحده ؟ وهل يُدخل صاحبه في الإسلام ؟

لا يكفي توحيـــد الربوبيّة وحـــده ، ولا يُدخل صاحبـــه في الإسلام ، ولذلك قاتل رسول الله ﷺ مَن أقرَّ به ، وصرف العبادة لغير الله .

---

(١) تقدَّم الحديث عن الفطرة في ص ٤٩-٥١ من هذا الكتاب .

(٢) انظر : الدين الخالص لصديق حسن خان ٢٠٩/١ . وتوحيد الربوبيّة لمحمد بن إبراهيم الحمد ص ١٢ .

(٣) انظر : شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ الحنفيّ ٢٥/١-٢٧. وتوحيد الربوبيّة للحمد ص١٤-١٥.

المبحث الثاني
توحيد الأسماء والصفات

توحيد الأسماء والصفات أحد أنواع التوحيد الثلاثة ، ويُمكن الحديث عنه بإيجاز في الوقفتين التاليتين :

الوقفة الأولى : تعريف توحيد الأسماء والصفات :

يُعرَّف هذا النوع من أنواع التوحيد بأنَّه : إفراد الله ﷻ بما سمَّى به نفسه ، ووصف به نفسه؛ في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، نفياً وإثباتاً ؛ فيُثبَتُ له ما أثبته لنفسه، ويُنفَى عنه ما نفاه عن نفسه ؛ من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل[1] .

الوقفة الثانية : في ذكر بعض أصول أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات :

هذا النوع من أنواع التوحيد، ينبني عند أهل السنة والجماعة[2] على أصول، منها :

١- تنزيه الله ﷻ عن مشابهة صفات الحوادث؛ فالله ﷻ ليس كمثله شيء بوجه من الوجوه؛ لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله[3] ؛ كما أخبر ﷻ عن نفسه بقوله : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: من الآية١١] .

٢- الإيمان بجميع ما وصف الله به نفسه ، أو وصفه رسوله ﷺ حقيقة لا مجازاً ، على الوجه اللائق بكماله وجلاله . فكما لا يجوز تمثيل صفاته ﷻ بصفات خلقه ، كذلك لا يجوز نفي الصفات التي وصف بها نفسه .

والملاحظ على الآية المذكورة آنفاً أنَّها ذات شقّين ؛ أحدهما : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ردٌّ على أهل التشبيه والتمثيل ، والآخر : ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ردٌّ على أهل النفي والتعطيل .

٣- قطع الطمع عن إدراك كيفيَّة صفاته ﷻ ؛ إذ العباد لا يعلمون كيفيَّة ما أخبر الله به عن نفسه؛ لأنَّ عقولهم لا تُطيق "كُنْه معرفته ﷻ، ولا تقدر ألسنتهم على بلوغ صفته"[4] .

---

(١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣/٣ . والرسالة التدمريَّة له ص ٧ . ولوامع الأنوار البهيَّة للسفاريني١/١٢٩. والمجموع الثمين من فتاوى فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين٢/١٢. والأسئلة والأجوبة في العقيدة للشيخ صالح الأطرم ص ٢٢ .

(٢) انظر : منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٢/١١٠. وأضواء البيان للشنقيطي ٢/٣٢١ ، ٣/٤١١ . وآداب البحث والمناظرة له ٢/١٢٧-١٢٨ .

(٣) انظر : درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ١/١١٧ . والرسالة المدنية له ص ٣١ .

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٢/٥٧٥ .

المبحث الثالث

توحيد الألوهيّة

تمهيد : توحيد الربوبيّة وتوحيد الأسماء والصفات من جنس واحد ؛ فهما نوعان مفهومهما اعتقاديّ –ليس عمليًا كتوحيد الألوهيّة–، ولذلك أطلق بعض أهل العلم عليهما اسماً واحداً ، هو : توحيد المعرفة والإثبات ، أو التوحيد العلميّ الخبري ؛ لأنّ المطلوب من المؤمن تجاههما : معرفةٌ ، وإثباتٌ ؛ معرفة أفعال الله ، وأسمائه ، وصفاته ، وإثباتها له ﷻ .

أمّا توحيد الإلهيّة، أو العبادة : فهو توحيد عمليّ ؛ فيه أمرٌ بفعل يُصرف لواحد ؛ وهو الله ﷻ، أو نهي عن فعل يُترك لأجل واحد، هو الله ﷻ ؛ فهو توحيد في الطلب والقصد ، أو توحيد إراديّ طلبيّ ، فيه دعوةٌ إلى عبادة الله وحده ، وخَلْعُ ما يُعبد من دونه[١] .

والكلام عن هذا النوع من أنواع التوحيد يطول ؛ إذ المعركة بين الرسل عليهم الصلاة والسلام وبين أقوامهم ، كانت من أجل هذا التوحيد .

وسأكتفي هاهنا بذكر مقدّمات تعريفيَّة لهذا التوحيد، وأترك التفصيل للفصل اللاحق.

وهذا الكلام الموجز في هذا المبحث ، يستلزم الوقفات التالية :

الوقفة الأولى : في تعريف كلمة "إله" لغةً :

يُقال في اللغة : أَلَـهَ إلاهَـةً وأُلُـوهَـةً وأُلُـوهِـيَّـةً : أي عَـبَـدَ عِـبَـادةً .

وتوحيد الأُلوهِيَّة: أي توحيد العبادة . والإلهُ بمعنى مألوه ؛ أي معبود . وأَلَّـهَـهُ : اتَّخذه إلهاً ؛ أي معبوداً . وكلُّ ما اتُّخِذَ معبوداً ، فهو إلهٌ عند مُتَّخِذِه[٢] .

الوقفة الثانية : تعريف توحيد الأُلوهيَّة :

عرَّف العلماء توحيد "الأُلوهيَّة" بأنَّه "إفـراد الله تعالى بجميع أنواع العبـادة الظاهرة والباطنة ، قولاً وعملاً ، ونفي العبادة عن كلِّ ما سوى الله تعالى كائناً من كان"[٣] .

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ الحنفي ص ٤٢–٤٣ .

(٢) انظر : الصحاح للجوهري ٦/٢٢٢٣ . والقاموس المحيط للفيروزآبادي ص ١٦٠٣ . والمعجم الوسيط لجماعة من المؤلفين ص ٢٥ .

(٣) أعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ الحكمي ص ٥١. وانظر المجموع الثمين للشيخ ابن عثيمين ٢/١١.

الوقفة الثالثة : منزلة توحيد الألوهيَّة بين أنواع التوحيد :

هذا التوحيد هو أوَّل دعوة الرسل[١] عليهم الصلاة والسلام؛ فمن أجله أُرسلَت الرُّسُل؛ كما قال تعالى :﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: من الآية٣٦] .

وهذا التوحيد أنزل الله الكتب[٢] ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الانبياء:٢٥] .

وهذا التوحيد هو الفارق بين الموحِّدين والمشركين ، وعليه يقع الثواب أو العقاب في الدَّارَيْن، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"فالتوحيد ضدّ الشرك، فإذا قام العبدُ بالتوحيد الذي هو حقّ الله ، فعبَده لا يُشرك به شيئاً ، كان موحِّداً"[٣] .

وهذا التوحيد هو الذي أُمِرَ رسول الله ﷺ أن يُقاتل الكفَّار عليه[٤]؛ يقول ﷺ : "أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النَّاس حتَّى يشهدوا أن لا إلهَ إلا اللهُ ، ويؤمِنوا بي وبما جئْتُ به . فإذا فَعَلُوا ذلك عَصَمُوا منِّي دماءَهم وأموالَهم إلا بحَقِّها وحسابُهُم على الله"[٥] .

و"لا إله إلا الله" هو معنى توحيد الألوهيَّة ، كما سيأتي .

الوقفة الرابعة : الأدلَّة الشرعيَّة على توحيد الألوهيَّة :

"توحيد الله، وإخلاص الدين له في عبادته واستعانته ، في القرآن كثيرٌ جداً" ، كما قال ابن تيمية رحمه الله[٦] . ومن هذه الأدلَّة الكثيرة : قوله تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [النساء: من الآية٣٦] ، وقوله : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ [الاسراء: من الآية٢٣] ، وقوله : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ [البينة: من الآية ٥] ، وقوله : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣] .

---

(١) انظر : مدارج السالكين لابن القيم ٤٤٣/٣ . وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ ٢١/١ .

(٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٤٥/١ .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٥٢/١-٥٣ .

(٤) انظر المجموع الثمين من فتاوى فضيلة الشيخ محمَّد بن صالح العثيمين ١١/٢-١٢ .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال النَّاس حتّى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله .

(٦) في مجموع الفتاوى ٧٠/١ .

والأدلَة من السنَّة كثيرة جدًّا، أكتفي بقوله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: "يا معاذ! أتدري ما حقُّ الله علـــى العباد؟ وما حقُّ العبادِ على الله ؟" قال معاذ: الله ورسوله أعلم. قال: "حقُّ اللهِ على العبادِ : أن يعبُدوه ولا يُشرِكوا به شيئاً ، وحقُّ العبادِ على اللهِ : أن لا يُعَذّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ به شيئاً"(١) .

الوقفة الخامسة : حكم من لم يأتِ بهذا النوع من التوحيد ، وأخذ بالنوعين الباقيين :

لا يدخلُ في الإسلام مَنْ لم يأتِ بتوحيد الألوهيَّة ، ولو كان آخذاً بالنوعين الآخرَين ؛ "فلو أنّ رجلاً من النَّاس يؤمن بأنّ اللهَ ﷻ هو الخالق المالك المدبِّر لجميع الأمور ، وأنّه ﷻ المستحقّ لما يستحقّه من الأسماء والصفات. لكن يعبدُ مع الله غيره ، لم ينفعه إقراره بتوحيد الربوبيَّة، والأسماء والصفات"(٢)، وكذا لو صَرَفَ شيئاً من العبادة لغير الله ﷻ؛ لأنَّ اللهَ ﷻ يقول : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴾ [المائدة: من الآية٧٢].

الوقفة السادسة : العلاقة بين توحيد الألوهيّة وتوحيد الربوبيّة :

يكثر في كلام علماء أهل السنَّة -رحم الله أمواتهم، وحفظ أحياءهم- ذكر علاقة الاستلزام والتضمُّن بين نوعَي التوحيد هذين .

ومن كلامهم في ذلك ، قول العلامة ابن القيِّم رحمه الله : "والإلهيَّة التي دَعَتِ الرُّسُلُ أمَمهم إلى توحيد الربِّ بها ، هي العبادة والتأليه . ومن لوازمها : توحيد الربوبيَّة الذي أقرَّ به المشركون ، فاحتجَّ الله عليهم به ؛ فإنَّه يلزم من الإقرار به الإقرارُ بتوحيد الإلهيَّة"(٣) .

ويقول الشيخ محمَّد الأمين الشنقيطي رحمه الله: "ويكثر في القرآن العظيم الاستدلال على الكفَّار باعترافهم بربوبيّته جلّ وعلا على وجوب توحيده في عبادته . ولذلك يُخاطبهم في توحيد الربوبيَّة باستفهام التقرير، فإذا أقرُّوا بربوبيّته، احتجّ بها عليهم، على أنّه هو المستحقّ لأن يُعبد وحده، ووبَّخهم منكراً عليهم شركهم به غيره، مع اعترافهم بأنّه هو الربُّ وحده؛ لأنَّ من اعترف بأنّه هو الربّ وحده، لزمه الاعتراف بأنّه هو المستحقّ لأن يُعبد وحده"(٤) .

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبيّ ﷺ أمَّته إلى توحيد الله. وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب أنّ من مات على التوحيد دخل الجنَّة قطعاً . واللفظ لمسلم .

(٢) المجموع الثمين للشيخ ابن عثيمين ١٢/٢ .

(٣) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم ١٣٥/٢ .

(٤) أضواء البيان للشنقيطي ٤١١/٣ .

فتوحيد الربوبيَّة يستلزم توحيد الألوهيَّة؛ فمن أقرَّ بالأول، لزمه الثاني؛ أي : من عَرَفَ أنَّ الله ربُّه وخالقُه ومدبِّرُ أمورِه، -وقد دعاه هذا الخالق إلى عبادته-، وَجَبَ عليه أن يعبدَه وحده لا شريك له ؛ فإذا كان هو الخالق الرازق النافع الضارّ وحده ، لزم إفراده بالعبادة[١] .

والله ﷻ كثيراً ما يستدلّ على المشركين المقرّين بتوحيد الربوبيَّة بهذا . من ذلك قوله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١-٢٢] .

وكما كان توحيد الربوبيَّة يستلزم توحيد الألوهيَّة؛ فإنَّ توحيد الألوهيَّة يتضمَّن توحيد الربوبيَّة؛ يقول الشيخ محمَّد بن صالح العثيمين رحمه الله عن توحيد الألوهيَّة:"وهو متضمِّن لتوحيد الربوبيَّة ؛ لأنَّ كلّ من عَبَدَ اللهَ وحده ، فإنَّه لن يعبده حتّى يكون مقرًّا له بالربوبيَّة"[٢] .

فتوحيد الألوهيَّة يتضمَّن توحيد الربوبيَّة؛ أي يدخل ضمناً فيه ؛ فمن عَبَدَ الله وحده لا شريك له ، فلا بُدَّ أن يكون معتقداً أنَّه ربُّه وخالقُه ورازقه ؛ إذ لا يعبد إلا من بيده النفع والضرّ ، وله الخلق والأمر[٣] .

الوقفة السابعة : الفرق بين توحيد الربوبيَّة وتوحيد الألوهيَّة :

أعظم الغلط إنَّما حصل من جهة الانحراف في فهم مدلول كُلٍّ من توحيد الروبيَّة وتوحيد الألوهيَّة ؛ فليس أحدهما هو الآخر ، والفروق بينهما كثيرة جدًّا ، وأكتفي بذكر بعضها ، فمنها[٤] :

١- فرق في الاشتقاق اللغوي ؛ فالربوبيَّة مشتق من اسم "الربّ" ، والألوهيَّة مشتق من لفظ "الإله" .

---

(١) انظر : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للشيخ الفوزان ص ٣٤-٣٥ . وتوحيد الألوهيَّة للحمد ص ٦٠ .

(٢) المجموع الثمين لابن عثيمين ص ٢٢ .

(٣) انظر : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للشيخ الفوزان ص ٣٤-٣٥ . وتوحيد الألوهيَّة للحمد ص ٦١ .

(٤) انظر إشارات إلى هذه الفروق في الكتب التالية: الأسئلة والأجوبة في العقيدة للشيخ صالح الأطرم ص١٥-١٩. والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للشيخ الفوزان ص٣٤-٣٥. وتوحيد الألوهيَّة للحمد ص٦٠-٦٣ .

٢- فرقٌ في التعريف؛ فتوحيد الربوبيَّة : إفراد الله بأفعاله؛ من خلقٍ، ورزقٍ، وإحياء، وإماتة، وإعطاء، ومنع ، وضرٍّ ، ونفعٍ ، .. إلخ . وتوحيد الألوهيَّة : إفراد الله بأفعال عباده ؛ من صلاة ، وزكاة ، وصيام ، وخشية ، ورجاء ، ومحبّة ، وخوف ، وتوكُّل ... إلخ .

٣- فرقٌ في الكفاية؛ فتوحيد الربوبيَّة لا يكفي وحده في دخول الإسلام. أمَّا توحيد الألوهيَّة فيكفي وحده ؛ لأنَّ من أتى بتوحيد الألوهيَّة، فقد أتى ضمناً بتوحيد الربوبيَّة . لذلك من قال "لا إله إلا الله" ، فقد أتى بجميع أنواع التوحيد .

٤- فرقٌ في الإقرار ؛ فتوحيد الربوبيَّة أقرّ به المشركون ، وتوحيد الألوهيَّة رفضه المشركون و لم يؤمنوا به، وعبدوا آلهة أخرى، وقالوا: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾[الزمر من الآية٣]، ولمَّا طُلب منهم أن يعبدوا الله وحده ، قالوا ما حكاه الله عنهم : ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [صّ : ٥] .

٥- فــرقٌ في اللزوم والتضمُّن ؛ فتوحيد الربوبيَّة يستلزم توحيد الألوهيَّة ؛ فمن أتى بتوحيد الربوبيَّة، لزمه أن يأتي بتوحيد الألوهيَّة. أمَّا توحيد الألوهيَّة فإنَّه متضمِّن لتوحيد الربوبيَّة؛ فمن جاء بتوحيد الألوهيَّة ، فقد أتى ضمناً بتوحيد الربوبيَّة .

وهذه الفروق التي ذكرتُها ، مع غيرها من الفروق تردّ على من زعم أنَّ التوحيد الذي دعت إليه الرسل هو توحيد الربوبيَّة ، ولا يُفرِّق بين هذا التوحيد وتوحيد الألوهيَّة .

وثمَّة وقفات أخرى مع توحيد الألوهيَّة في الفصل التالي ؛ حين الحديث عن شهادة "أن لا إله إلا الله" كمعنى لهذا التوحيد ، وعن العبادة ، وأنواعها ، وأركانها .



الفصل الثاني

دراسة بعض التفصيلات عن توحيد العبادة "الإلهيَّة"

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : شهادة أن لا إله إلا الله : معناها ، أركانها ، شروطها ، نواقضها .

المبحث الثاني : العبادة : معناها ، أنواعها ، أركانها .

المبحث الأوّل

شهادة أن لا إله إلا الله

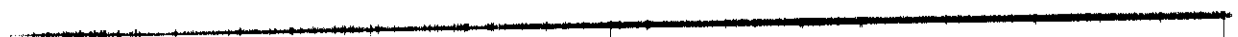
ويشتمل على أربعة مطالب :

المطلب الأول : معنى "لا إله إلا الله" .

المطلب الثاني : أركان "لا إله إلا الله" .

المطلب الثالث : شروط "لا إله إلا الله" .

المطلب الرابع : نواقض "لا إله إلا الله" .



تمهيد : توحيد الألوهيَّة هو معنى شهادة الحقّ : "أشهد أن لا إله إلا الله" .

ولـمَّا كان جماع التوحيد ، وأساسه ، وعموده ، هو معرفة معنى شهادة الحقّ ، كـان من اللازم أن يحرص المسلم على إدراك معناها ، وفهم مرماها ، والعمل بمقتضاها . ويتضح ذلك في وقفات مع هذه الشهادة ، في المطالب التالية :

المطلب الأول

معنى لا إله إلا الله

توحيد الألوهيَّة ، هو معنى لا إله إلا الله[١] .

ومعنى "لا إله إلا الله" : "أي لا تعبُدُوا أحداً إلا الله"[٢] .

ويزداد هذا المعنى وضوحاً إذا قمنا بإعراب شهادة الحقّ هذه ، فـ :

لا : نافية للجنس .

إلهَ : اسم "لا" مبني على الفتح في محلّ نصب . والخبر مرفوعٌ مقدَّرٌ ، تقديره حقٌّ .

إلا : أداة استثناء . والاستثناء هنا مفرغ .

الله : بدل من لفظ "إله" ، وهو بدل بعض من كلّ .

والجملة مع خبرها المقدَّر : لا إلهَ حقٌّ إلا الله .

وقـد تقـدَّم إنَّ معنى "إلـه" : معبـود . فالجملة على هذا : لا معبودَ حقٌّ إلا الله ، أو لا معبود بحقٍّ إلا إلهٌ واحد ، وهو الله وحدَه لا شريك له[٣] .

ويتضح هذا المعنى حين التفكُّر في حال الكفَّار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ ، فاستحلّ دماءهم ، وسبى نساءهم ، وأخذ أموالهم ؛ لقد كانوا مقرِّين بتوحيد الربوبيَّة ؛ يعلمون أنَّه لا خالق لهم ، ولا رازق ، ولا محيي ، ولا مميت ، ولا مُدبِّر لأمورهم إلا الله . ومع هذا لم يُدخلهم ذلك في الإسلام ؛ لأنَّهم لم يشهدوا "أن لا إله إلا الله" ؛ فعبدوا آلهةً مع الله ﷻ .

---

(١) انظر معارج الصعود إلى تفسير سورة هود للشيخ الشنقيطي ص ٤٠ .

(٢) المصدر نفسه ص ٤١ .

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبدالله ص٧٣. وأضواء البيان للشيخ الشنقيطي٤/٥٠٨.

المطلب الثاني

أركان "لا إله إلا الله"

"لا إله إلا الله" لها نوعان من الأركان ؛ نوع لفظيّ ، ونوع معنوي .

أمَّا النوع اللفظي، وهو ما تضمَّنه لفظ الشهادة "لا إله إلا الله": فركناه نفيٌ وإثباتٌ؛ "لا إلهَ" : نفيٌ ، و"إلا الله" : إثبات .

وأمَّا النوع المعنوي، وهو ما تضمَّنه معنى الشهادة "لا معبود بحقٍّ إلا الله" : فركناه نفيٌ وإثباتٌ أيضاً ؛ فـ"لا معبود بحقّ" : نفيٌ ، و"إلا الله" : إثباتٌ .

يقول الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن جبرين: "فلا إله إلا الله اشتملت على نفيٍ وإثبات؛ فنفت الإلهيَّة عن كلِّ ما سوى الله تعالى ؛ فكلّ ما سواه من الملائكة ، والأنبياء ، فضلاً عن غيرهم، فليس بإله، ولا له من العبادة شيء. وأثبتت الإلهيَّة لله وحده؛ بمعنى أنَّ العبدَ لا يَأْلَه غـيره ؛ أي لا يقصده بشيء من التألُّه ؛ وهو تعلُّق القلب الذي يُوجب قصده بشيء من أنواع العبادة ؛ كالدعاء ، والذبح ، والنذر ، وغير ذلك"[1] .

فالنفي إذاً : نفي الإلهيَّة واستحقاق العبادة عن كلِّ ما سوى الله ﷻ .

والإثبات : إثبات الإلهيَّة واستحقاق العبادة لله ﷻ وحده ، لا شريك له[2] .

وهـو معـنـى قـولـه ﷻ : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣] .

---

(١) الشهادتان : معناهما ، وما تستلزمه كل منهما للشيخ ابن جبرين ص ٢٢ . وانظر الدين الخالص لصديق حسن خان ١٨٩/١ .

(٢) انظر أعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ الحكمي ص ٣٩ .

المطلب الثالث

شروط "لا إله إلا الله"

معنى الشروط في اللغة :

شروط جمع ، مفردها شَــرْط . والشَّرْطُ : إلزام الشيء ، والتزامُهُ ؛ يُقال : شَرَطَ له أمراً : التَزَمَهُ ، وشَرَطَ عليه أمراً : أَلْزَمَهُ إيَّاه[١] .

المراد بشروط "لا إله إلا الله" :

يُراد بشروط "لا إله إلا الله" : الأمور التي يجب على الإنسان أن يلزمها ، حتى يُحقّق "لا إله إلا الله" ، أو : ما لا تصحّ شهادة "لا إله إلا الله" إلا بوجودها ، ويجب اجتماعها .

منزلة هذه الشروط من شهادة "لا إله إلا الله" :

هذه الشروط بمثابة الأسنان للمفتاح ، فلا يفتح إلا بوجودها .

وقــد أشار إلى ذلك عددٌ من علماء الأمَّة ، منهم الإمام الحسن البصري رحمه الله ، حين قال للشاعر الفرزدق -وهو يدفن امرأته- : "ما أعدَدْتَ لهذا اليوم" ؟ قال الفرزدق : شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة . فقال الحسن : "نعمَ العدَّة ، إنَّ لــ لا إله إلا الله شروطاً ، فإيَّاك وقذف المحصنات"[٢] .

وقيل لوَهْب بن مُنَبِّه رحمه الله: أليس "لا إله إلا الله" مفتاح الجنَّة؟ فقال: "بلى ، ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان ، فإن جئتَ بمفتاح له أسنان فُتِحَ لك ، وإلا لم يفتح لك"[٣] .

ذكر شروط "لا إله إلا الله" :

ذكر العلماء لكلمة الإخلاص "لا إله إلا الله" سبعة شروط ، نظمها بعضهم بقوله[٤] :

علمٌ ، يقينٌ ، وإخلاصٌ ، وصدقُك مع ... محبَّةٍ ، وانقيادٍ ، والقبول لها

وزاد بعضهم شرطاً ثامناً ، ونظمه بقوله :

وزِيدَ ثامنُها الكفرانُ منك بما ... سوى الإله من الأنداد قد أُلِــهَـــا

ويُمكن بيان هذه الشروط في الوقفات التالية :

---

(١) انظر : القاموس المحيط للفيروزآبادي ص ٨٦٩ . والمعجم الوسيط لجماعة من المؤلفين ص ٤٧٨ .

(٢) انظر : كتاب التوحيد لابن رجب الحنبلي ص.٣٩ . والدين الخالص لصديق حسن خان ١٥٧/١ .

(٣) أخرجه البخاري تعليقاً في صحيحه ، كتاب الجنائز ، باب في الجنائز ، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله . وقد وصله في تاريخه ٩٥/١ ، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٦٦/١ .

(٤) انظر الشهادتان : معناهما ، وما تستلزمه كل منهما للشيخ ابن جبرين ص ٧٧ .

الوقفة الأولى : مع الشرط الأول : العلم المنافي للجهل :

المراد بهذا الشــرط :

يُراد بهذا الشرط : أن نعلمَ معنى كلمة التوحيد "لا إله إلا الله"، ومدلولَها، علماً منافياً للجهل، في النفي والإثبات ؛ فننفي الألوهيَّة عن غير الله ﷻ ، ونُثبتُها له وحدَه ؛ بأن نعلَم أنَّه لا معبودَ بحقٍّ غيره .

من الأدلة على هذا الشــرط :

١- قول الله ﷻ : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ ﴾ [محمد: من الآية١٩] .

والعلم هنا لا بُدَّ فيه من إقرار القلب ، ومعرفته بما طُلِبَ منه علْمُهُ .

٢- قول الله ﷻ : ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف: من الآية٨٦] .

أي : إلا من شَهِدَ بــ لا إله إلا الله ، وهم يعلمون بقلوبهم معنى ما نطقوا به بألسنتهم[١] .

٣- قول رسول الله ﷺ : "مَنْ ماتَ وهو يَعْلَمُ أنَّه لا إله إلا الله دَخَلَ الجنَّةَ"[٢] .

الوقفة الثانية : مع الشرط الثاني : اليقين المنافي للشكّ :

المراد بهذا الشــرط :

حــتَّى يكون العلم كاملاً ، يجب أن لا يكون فيه شكّ ولا ريب ؛ فمن علم أنَّ معنى "لا إله إلا الله" : لا معبود بحقٍّ إلا الله ، يجب أن لا يَرِد على علمه شك ولا ريب ، ويجب أن لا يتردّد في الإيمان بمدلولها ، وعليه أن يعتقد صحَّة ما يقوله من أحقيَّة إلهيَّة الله تعالى ، وبُطلان إلهيَّة غير الله ﷻ بأيّ نوعٍ من التألُّه .

من الأدلّة على هذا الشــرط :

١- قول الله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات:١٥] ؛ فاشترط لصدق إيمانهم بالله ورسوله : كونهم لم يرتابوا ؛ أي لم يشكُّوا . فعُلِم أنَّه لا بُدَّ من البُعْدِ عن الشكّ في معنى "لا إله إلا الله" .

---

(١) انظر أعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ الحكمي ص ٤٠ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب من لقيَ الله بالإيمان وهو غير شاكٍّ فيه دخل الجنَّة .

٢- قول رسول الله ﷺ : "أشْهَدُ أن لا إلهَ إلا الله وأنّي رسولُ الله ، لا يلقى اللهَ بهما عبدٌ غيرُ شاكٍّ فيهما إلا دَخَلَ الجنَّة"(١) .

٣- قول رسول الله ﷺ لأبي هريرة ﷺ : "اذْهَبْ بنعلَيَّ هاتين ، فمن رأيتَه وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مُسْتَيْقِناً بها قلبُه ، فَبَشِّرْهُ بالجنَّة"(٢) .

الوقفة الثالثة : مع الشرط الثالث : القبول المنافي للردّ :

المراد بهذا الشرط :

يُراد من هذا الشرط : قبول ما اقْتَضَتْهُ هذه الكلمة بالقلب واللسان ، وتجنُّب ردِّها ؛ لأنَّ من النَّاس من يعلم معنى "لا إله إلا الله"، ويُوقنُ بمدلولها ، ولكنَّه يردُّها كبراً وحسداً ؛ فالمشركون كانوا يعرفون معنى "لا إله إلا الله" ، ولكنَّهم كانوا يستكبرون عن قبوله ، كما حكى ﷻ ذلك عنهم بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات:٣٥] ، وقوله : ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: من الآية٣٣](٣) .

من الأدلّة على هذا الشرط :

١- قول الله ﷻ : ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور:٥١] .

٢- قول الله ﷻ : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٣٦] .

٣- قول رسول الله ﷺ : "إنَّ مَثَلَ ما بعثني اللهُ به ﷻ من الهدى والعلم كَمَثَلِ غَيْثٍ أصابَ أرضاً ، فكانت منها طائفةٌ طيِّبةٌ قَبِلَت الماءَ ، فأنبَتَت الكَلَأَ والعُشْبَ الكثيرَ ، وكان منها أجادِبُ أمْسَكَتِ الماءَ ، فنفعَ اللهُ بها النَّاسَ ، فشَرِبوا منها وسَقَوْا ورَعَوْا . وأصابَ

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب من لقيَ الله بالإيمان وهو غير شاكّ فيه ، دخل الجنَّة .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب من لقيَ الله بالإيمان وهو غير شاكّ فيه ، دخل الجنَّة .

(٣) انظر : الشهادتان : معناهما ، وما تستلزمه كلّ منهما للشيخ ابن جبرين ص ٨٠-٨١ .

طائفةً منها أُخرى ، إنَّما هي قِيْعانٌ ، لا تُمسكُ ماءً ، ولا تُنْبتُ كَلَأً . فذلك مَثَلُ من فَقُهَ في دين الله ، ونفعه بما بعثني الله به ، فَعَلِمَ وعَلَّمَ . ومَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بذلك رأساً ، و لم يَقْبَلْ هُدى الله الذي أُرْسِلْتُ به"[1] .

الوقفة الرابعة : مع الشرط الرابع : الانقياد المنافي للترك :

المراد بهذا الشرط :

الانقياد من مستلزمات القبول . ولعلّ الفرقَ بينه وبين القبول : أنّ الانقياد هو الاتّباع بالأفعال ، والقبول إظهار صحة معنى ذلك بالقول . ويلزم منهما جميعاً الاتّباع ، ولكنّ الانقياد هو الاستسلام والإذعان ، وعدم التعقّب لشيء من أحكام الله[2] .

من الأدلّة على هذا الشرط :

١- قول الله ﷻ : ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾ [لقمان آية ٢٢] .

٢- قول الله ﷻ : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النساء : من الآية ١٢٥] .

٣- قول الله ﷻ : ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾ [الزمر: من الآية٥٤] .

٤- قول رسول الله ﷺ : "لا يُؤمِنُ أحدُكم حتَّى يكون هواه تَبَعاً لِمَا جِئْتُ به"[3] .

الوقفة الخامسة : مع الشرط الخامس : الصدق المنافي للكذب :

المراد بهذا الشرط :

أن يكون صادقاً في قول "لا إله إلا الله" واعتقاد مدلولها ، صدقاً يُنافي الكذب ظاهراً ، ويمنع من النفاق باطناً ؛

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب فضل من علم . وصحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب بيان مَثَل ما بُعث النبيّ ﷺ من الهدى والعلم . واللفظ لمسلم .

(٢) انظر الشهادتان : معناهما ، وما تستلزمه كل منهما للشيخ ابن جبرين ص ٨١ .

(٣) انقسم العلماء في هذا الحديث بين مصحِّح ومضعِّف ؛ لأنّ آفته كما ذكروا هو نعيم بن حمّاد . فانظر كلامهم الطويل عن هذا الحديث في : جامع العلوم والحكم لابن رجب ٢/٣٩٣-٣٩٥ . ومشكاة المصابيح للألباني ١/٥٩ . وظلال الجنّة بتخريج السنّة له ص ١٢ .

فلا يُخالف ظاهرُه باطنَه ، بل يتواطأ ظاهرُه مع باطنِه ، وما في داخل قلبه مع ما يقوله بلسانه ، ويجري على جوارحه من الأعمال . وهذا هو الصدق الذي يمنع من النفاق باطناً .

كذلك لا يظهر على جوارحه ما يُناقض ما في قلبه من الاعتقاد بمدلول "لا إله إلا الله" ومقتضاها ، واليقين به . وهذا هو الصدق الذي يُنافي الكذب ظاهراً .

من الأدلّة على هذا الشرط :

١- قول الله ﷻ : ﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت :١-٣] .

٢- قول الله ﷻ : ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون:١]؛ فالمنافقون يقولون بألسنتهم ، لكنَّهم يُنكرون مدلول الشهادة بقلوهم . لذلك حكم الله عليهم بالكذب ، وبأنّ مجرّد القول باللسان لا يُنجيهم ، بل هم في الدرك الأسفل من النَّار .

٣- قول رسول الله ﷺ : "ما من أحد يشهدُ أن لا إله إلا الله وأنّ محمَّداً رسول الله صِدْقاً من قلبه ، إلاَّ حرَّمَهُ الله على النَّار"[1] .

٤- حين علَّم رسول الله ﷺ الأعرابيَّ شرائعَ الإسلام ، وقال له الأعرابيُّ : والله لا أزيد عليها ، ولا أنقص منها ، قال رسول الله ﷺ : "أفلَحَ إن صَدَقَ"[2] .

الوقفة السادسة : مع الشرط السادس : الإخلاص المنافي للشرك :

المراد بهذا الشرط :

يُراد بهذا الشرط : تصفيةُ القلب وتخليصُه من كلّ ما يُضادّ معنى "لا إله إلا الله" ، وتصفية العبادة ، وتخليصها من شوائب الشرك والرياء . والإخلاص أن تكون العبادة لله وحده ، دون أن يُصرف منها شيء لغير الله ﷻ ، لا مَلَك مقرَّب ، ولا نبيّ مُرْسَل[3] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب من خصَّ بالعلم قوماً دون قوم .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب الزكاة من الإسلام . وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام .

(٣) انظر الشهادتان : معناهما ، وما تستلزمه كل منهما للشيخ ابن جبرين ص ٨٣-٨٤ .

من الأدلّة على هذا الشـرط :

١- قـول الله ﷻ : ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: من الآية٣] ؛ أي لا يقبل الله من العمل إلا ما أخلصَ فيه العامل لله وحده لا شريك له .

٢- قول الله ﷻ : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة:٥] .

٣- قول رسول الله ﷺ : "إنَّ الله حـرَّمَ على النَّارِ من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجهَ الله"(١) .

٤- قول رسول الله ﷺ : "أسـعدُ النَّاسِ بشـفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه"(٢) .

الوقفة السابعة : مع الشرط السابع : الحبّ المنافي للبُغض :

المحبَّة هي مواطأة القلب على ما يُرضي الله ﷻ ؛ فيحبّ ما أحبّ الله، ويكره ما كره.

المراد بهذا الشـرط :

أن يُحبّ هذه الكلمة ، ويُحبّ العمل بمقتضاها ، ويحبّ أهلها العاملين بها .

ومن هنا قيل : "كلُّ من ادّعى محبة الله ، و لم يُوافق الله في أمره ، فدعواه باطلة"(٣) . و"ليس بصادقٍ من ادّعى محبَّة الله ، و لم يحفظ حدوده"(٣) .

فالعبدُ يُحبّ الله ﷻ، ويُحبّ رسوله ﷺ، ويُحبّ كلّ ما يُحبّه من الأعمال والأقوال ، ويُحبّ أولياءه وأهلَ طاعته(٤) .

ومتى استقرت كلمة "لا إله إلا الله" في القلب ، فإنّه لا يفضل عليها شيء ؛ إذ حبّها يملأ القلب ، فلا يتسع لغيرها ، وعندئذ يجد العبدُ حلاوةَ الإيمان .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب المساجد في البيوت ،، وكتاب الرقاق ، باب العمل الذي ابتُغي به وجه الله .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنَّة والنَّار .

(٣) ذكره ابن رجب الحنبلي في كتاب التوحيد ص ٦١ .

(٤) انظر الشهادتان : معناهما ، وما تستلزمه كل منهما للشيخ ابن جبرين ص ٨٤ .

من الأدلّة على هذا الشـرط :

١ - قول الله ﷻ : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: من الآية١٦٥]. وللمفسرين في أفعـل التفضيل "أشدّ حُبًّا لله" قولان : أحدهما : الذين آمنوا أشدّ حبًّا لله من حبّ المشركين لله ؛ لأنّ محبّة المؤمنين خالصة ، ومحبّة المشركين مشتركة .
وثانيهما : الذين آمنوا أشدّ حُبًّا لله من محبّة المشركين لأندادهم[١] .

٢ - قول الله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [المائدة: من الآية٥٤] ؛ فالله يُحبّهم بسبب تمسّكهم بدينه وشرعه ، وهم يُحبُّونه ، ويمتثلون أوامره ، ويجتنبون نواهيه .

٣ - قـول الله ﷻ : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران:٣١]. يقول الحسن البصري رحمه الله عن هذه الآية: "قال أصحاب النبيّ ﷺ : يا رسول الله.إنّا نُحبّ ربّنا حُبًّا شديداً ، فأحبّ الله أن يجعل لحبّه علماً ، فأنزل الله تعالى هذه الآية"[٢] .

٤ - قول رسول الله ﷺ : "ثلاثٌ من كُنَّ فيه وَجَدَ بهنّ حلاوةَ الإيمان : أن يكون الله ورسـوله أحبَّ إليه ممَّا سواهما ، وأن يُحبَّ المرء لا يُحبّه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفرِ بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف في النّار"[٣] .

واجتمـاع هذه الشـروط يُحقّق حلاوة الإيمان ؛ فيستلذّ العبد الطاعات ، ويحتمل المشاقّ ، إذا كان ذلك في سبيل رضا الله ﷻ ، ورضا رسوله ﷺ .

---

(١) انظر الدين الخالص لصديق حسن خان ٢/٣٥٩ . .

(٢) ذكره السيوطي في الدرّ المنثور ٢/١٧٧-١٧٨ ، وعزاه إلى ابن جرير ، وابن المنذر عن الحسن البصريّ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب حلاوة الإيمان . وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان خصال من اتصف بهنّ وجد حلاوة الإيمان .

الوقفة الثامنة : مع الشرط الثامن : الكفرُ بما يُعبد من دون الله :

المراد بهذا الشرط :

أن يُعتقد بطلان عبادة مَن سوى الله ﷻ، وأنَّ كلَّ المعبودات سوى الله باطلة، وُجِدَت نتيجة جهل المشركين وضلالهم. فمن أقرَّهم على شركهم، أو شكَّ في بطلان ما هم عليه، فليس بموحِّد ، ولو قال لا إله إلا الله ، ولو لم يعبد غير الله[1] .

يقــول شيخ الإسلام محمَّد بن عبدالوهَّاب رحمه الله عن الكفر بما يُعبد من دون الله : "وهذا من أعظم ما يُبيِّن معنى لا إله إلا الله ؛ فإنَّه لم يجعل التلفّظ بها عاصماً للدم والمال ، بــل ولا معرفة معناها مع لفظها ، بل ولا الإقرار بذلك ، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له ، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيفَ إلى ذلك الكفرَ بما يُعبَدُ من دون الله . فإن شكَّ أو توقَّف لم يحرم ماله ولا دمه ..."[2] .

من الأدلَّة على هـذا الشـرط :

١- قــول الله ﷻ : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦] .

٢- قول رسول الله ﷺ : "مَنْ قال لا إله إلا الله ، وكَفَرَ بما يُعبَدُ من دون الله ، حَرُمَ مالُهُ ودَمُهُ ، وحِسابُهُ على الله"[3] .

وبعــــد : فهذه هي شروط "لا إله إلا الله" ، ولا بُدَّ من اجتماعها ، والمداومة عليها كي يُختم للعبد بخاتمة حسنة ؛ لأنَّ الأعمال بالخواتيم .

فمتى حقَّق المسلم هذه الشروط، كان من أهل "لا إله إلا الله" القائمين بها علماً وعملاً، واستحقّ محبَّة الله وثوابه ، والتنعّم في جنَّات النعيم[4] .

---

(١) انظر الشهادتان : معناهما ، وما تستلزمه كل منهما للشيخ ابن جبرين ص ٧٨ .

(٢) كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب ص ٣٣ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال النَّاس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله .

(٤) انظر للاستزادة عن هذه الشروط : تيسير الإله بشرح أدلة شروط لا إله إلا الله لعبيد الجابري .

المطلب الرابع

نواقض "لا إله إلا الله"

النواقض لغةً :

النواقض جمع ، مفرده ناقض . يُقال : نَقَضَ الشيءَ نَقْضاً : أفسده بعد إحكامه . ونَقَضَ ما أبْرَمه فلانٌ : أبطله . فالنَّقْضُ ضدّ الإبرام ، ومنه نقض العهدَ أو اليمين : نكثَه ، ونقضَ الحبلَ أو الغزلَ : حلَّ طاقاته ، ونقضَ البناءَ : هَدَمَه[1] .

المراد بنواقض "لا إله إلا الله" :

يُراد بنواقض "لا إله إلا الله" مُفسداتُها ؛ أي الأمور التي إذا فعلها الشخص ، فَسَدَ توحيدُه وانتقضَ[2] . فإذا وُجِد في العبد ناقضٌ من نواقض "لا إله إلا الله" ، فإنَّه لا يكون من المسلمين ، ولا يكتسب أحكامَهم ، بل يُعطى أحكام أهل الشرك والكفر .

ذكر نواقض "لا إله إلا الله" :

تنوّعت طرائق العلماء في ذكر هذه النواقض ، وتقسيماتها ، وتفريعاتها .

وثمّة تقسيمات متعدِّدة ، وكلُّها صحيحة .

ولكنّي سأكتفي بالنواقض التي ذكرها شيخ الإسلام محمَّد بن عبد الوهَّاب رحمه الله في رسالته الموسومة بـ"نواقض الإسلام"[3] .

وهذه النواقض عشرة ، والحديث عنها سيكون في الوقفات التالية :

---

(١) انظر : أساس البلاغة للزمخشري ص ٦٥١ . والقاموس المحيط للفيروزآبادي ص ٨٤٦ . ولسان العرب لابن منظور ٧/٢٤٢ . والمعجم الوسيط لجماعة من المؤلفين ص ٩٤٧ .

(٢) انظر شرح نواقض التوحيد لحسن بن علي عواجي ص ٩ .

(٣) هذه الرسالة مطبوعة ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، قسم العقيدة والآداب، ص ٣٨٥-٣٨٧ .

الوقفة الأولى : مع الناقض الأول : الإشراك بالله[١] :

المراد بهذا الناقض :

يقع هذا الناقض إذا صَرَفَ الإنسان شيئاً من العبادة لغير الله ﷻ ؛ من صلاة ، أو زكاة ، أو ذبحٍ ، أو نذرٍ ، أو نحو ذلك .

يقول سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز –رحمه الله– : "الشركُ هو تشريكُ غير الله مع الله في العبادة ؛ كأن يدعو الأصنام أو غيرَها ، أو يستغيث بها ، أو ينذر لها ، أو يُصلّي لها ، أو يصوم لها ، أو يذبح لها ..."[٢] .

ومن العبادة : النَّذر ، فمن صَرفه لغير الله فقد أشرك . يقول الشيخ سليمان بن عبد الله –رحمه الله– : "إنّ الله تعالى مَدَحَ الموفين بالنذر ، والله تعالى لا يمدح إلا على فعل واجب أو مستحبّ ، أو ترك محرَّم ، لا يمدح على فعل المباح المجرَّد ، وذلك هو العبادة . فمن فعل ذلك لغير الله متقرّباً إليه ، فقد أشرك"[٣] .

من الأدلة على هذا الناقض :

١ – قول الله ﷻ : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة: من الآية٧٢] ؛ فالله ﷻ قد حرَّم الجنَّة على كلِّ مُشركٍ ، وجعل النَّار مأواه الدائم ؛ لأنّه ترك القيام بعبوديته ﷻ[٤] .

٢ – قول الله ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء:١١٦] ؛ فـ"مَنْ لَقِيَ اللهَ لا يُشرك به شيئاً دَخَلَ الجنَّة ، ومَنْ لَقِيَه يُشرك به دخل النَّار"[٥] ، كما قال الصادق المصدوق ﷺ .

---

(١) سيأتي الحديث عن هذا الناقض مفصَّلاً في الباب الثاني من هذا الكتاب .

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ ابن باز ٣٢/٤ .

(٣) تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان ص ٢٠٣ .

(٤) انظر الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم ص ١٩١ .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب من مات لا يُشرك بالله شيئاً دخل الجنّة ومن مات مشركاً دخل النّار .

الوقفة الثانية : مع الناقض الثاني : مَــنْ جعل وسائط وشفعاء بينه وبين الله ، يدعوهم مع الله ، أو من دون الله ، أو يسألهم الشفاعة ، أو يتوكل عليهم[١] :

المراد بهذا الناقض :

أن يجعل العبدُ لنفسه واسطةً بينه وبين الله ﷻ ، فيما لا يقدر عليه إلا الله ، أو فيما لا يُشرع ولا يجوز للعبد أن يجعله واسطة ؛ كطلب الرحمة والمغفرة ، ودخول الجنَّة ، وطلب الشفاء ، والرزق من غير الله ﷻ . فهذا من الشرك الأكبر[٢] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن هذا الناقض : "فمَن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ، ويتوكَّل عليهم ، ويسألهم جلب المنافع ودفع المضارّ ؛ مثل أن يسألهم غفران الذنوب ، وهداية القلوب ، وتفريج الكروب ، وسدّ الفاقات ، فهو كافرٌ بإجماع المسلمين"[٣]؛ لأنَّ الثمرة التي يُريد أن يصل إليها من يُجيز جعل الوسائط بين العبد وربِّه ، هو إثبات الاستغاثة والاستعانة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله. وهذا هو الشرك بعينه[٤].

من الأدلَّــة على هذا الناقض :

١- قــول الله ﷻ : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾ [الاحقاف:٥] .

٢- قول الله ﷻ : ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ [الرعد:١٤] .

٣- قــول الله ﷻ : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴾ [فاطر:٤٠] .

---

(١) سيأتي الحديث عن هذا الناقض مفصَّلاً في الباب الثاني من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

(٢) انظر تيسير ذي الجلال والإكرام بشرح نواقض الإسلام لسعد بن محمد القحطاني ص ٤٤ .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١/١٢٤ .

(٤) انظر شرح نواقض التوحيد لحسن بن علي عواجي ص ٣٧ .

الوقفة الثالثة : مع الناقض الثالث : عدم تكفير المشركين، أو الشك في كفرهم، أو تصحيح مذهبهم[١] .

المراد بهذا الناقض :

أمَرَ الله ﷻ رسولَه ﷺ في آيات كثيرة بالبعد عن الكفّار والمشركين ، والمخالفة لهم ، والبراءة منهم . قال تعالى : ﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس:٤١] ، وقال ﷻ : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ .

و"مسألة الحكم بتكفير الكافر مبنيَّة على أصلٍ كبيرٍ ؛ وهو أنَّ الله تعالى عقد الأخوَّة والموالاة والمحبَّة بين المؤمنين كلِّهم، ونهى عن موالاة الكافرين كلِّهم، ممَّن ثبت في الكتاب والسنَّة الحكم بكفرهم"[٢] .

فـ"مَنْ لم يُكفِّر المشركين الذين كُفرُهم وشركهم ظاهرٌ بيِّنٌ ، فهو كافر ؛ لأنَّ الله تعالى كفَّرهم في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، فلا يُحكم بإسلام المرء حتَّى يُكفِّر المشركين"[٣] .

من الأدلَّة على هذا الناقض :

١- قول الله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [التوبة:٢٣] .

٢- قول الله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾ [الممتحنة: من الآية١] .

٣- قول الله ﷻ : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [المجادلة: من الآية٢٢] .

---

(١) سيأتي الحديث عن هذا الناقض مفصَّلاً في الباب الثالث من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

(٢) شرح نواقض التوحيد لحسن بن علي عواجي ص ٥١ .

(٣) تيسير ذي الجلال والإكرام بشرح نواقض الإسلام لسعد بن محمد القحطاني ص ٥٣ .

الوقفة الرابعة : مع الناقض الرابع : من اعتقد أنّ غير هدي النبيّ ﷺ أكمل من هديه ، أو أنّ حكمَ غيره أحسن من حكمه .

المراد بهذا الناقض :

من اعتقد أنّ هناك ديناً أحسن من الدين الذي جاء به رسول الله ﷺ ، أو هَدْياً أكمل من هديه ﷺ ، أو حكماً أفضل من الحكم الذي أتى به من عند ربّه ﷻ ، فقد كفر ؛ لأنّه كذّب ما جاء في كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ ؛ فالله ﷻ يقول : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً ﴾ [الاسراء:٩]، ويقول ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة:٥٠]، ويقول رسول الله ﷺ:".. وخيرَ الهدي هديُ محمَّد"[1].

يقـــول سماحة الشيخ محمَّد بن إبراهيم رحمه الله : "من اعتقد أنّ حكمَ غير الرسول ﷺ أحسن من حكمه ، وأتمّ وأشمل لما يحتاجه النّاس من الحكم بينهم عند التنازع ؛ إمَّا مطلقاً ، أو بالنسبة إلى ما استجدّ من الحوادث التي نشأت عن تطوّر الزمان وتغيُّر الأحوال ، فلا ريب أنّه كُفـــرٌ ؛ لتفضيله أحكام المخلوقين التي هي محض زبالة الأذهان ، وصرف نحالة الأفكار ، على حكم الحكيم الحميد"[2] .

من الأدلّة على هـذا الناقض :

١ - قول الله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [النساء:٥٩] ؛ فالله ﷻ طلب من عباده الاحتكام إلى كتابه وســنّة نبيّه ﷺ عند وقوع التنازع .

٢ - قـــول الله ﷻ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً ﴾ [النساء:٦٠] ؛ فأخبر ﷻ أنّ الاحتكامَ إلى غير كتابه وسنّة نبيّه ﷺ إضلالٌ مـــن الشيطان ، وهو من صنيع المنافقين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً﴾ [النساء:٦١] .

٣ - قـــول الله ﷻ : ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ [النساء:٦٥]؛ فنفى الإيمان عمَّن لم يرض بحكم الله ﷻ .

---

(١) تقدَّم تخريجه ص ٥ .

(٢) رسالة تحكيم القوانين للشيخ محمد بن إبراهيم ص ١٤ .

الوقفة الخامسة : مع الناقض الخامس : من أبغض شيئاً مِمَّا جاء به الرسول ﷺ .

المراد بهذا الناقض :

بُغضُ وكراهية الحقّ من صفات الكفّار، كما قال تعالى: ﴿ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ [المؤمنون : من الآية٧٠] ، وهو أيضاً من صفات المنافقين الذين قال الله ﷻ عنهم : ﴿ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ [التوبة: من الآية٥٤] .

فمن أبغضَ وكره ما شرعه الله ﷻ، أو أبغض وكره التكاليف الشرعيَّة –من صلاة وصيام وزكـاة وحج وغيرها– ، وتمنَّى أنَّ الله لم يُكلِّف بها ، فهذا لا شكّ في كفره ؛ لأنَّ في صنيعه تركاً للقبول والانقياد والتسليم التي تقدَّم الحديث عن أنَّها من شروط لا إله إلا الله [(١)] .

ولذلك كفَّر العلماء من اتَّصف بهذه الصفة ، وقالوا : "تكفيرُ هذا معلومٌ بالاضطرار من دين الإسلام ، والقرآن مملوءٌ من تكفير مثل هذا النوع.."[(٢)] .

من الأدلَّة على هذا الناقض :

١– قـول الله ﷻ : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [محمد:٩] ؛ فهؤلاء كرهوا ما أنزل الله من القرآن –وهو ما جاء به النبيّ ﷺ– ، فلم يقبلوه، بل أبغضوه، ورفضوه، فأحبط الله أعمالهم ، والأعمال لا تحبط إلا بالكفر الذي يُناقض الإيمان .

٢– قول الله ﷻ : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: من الآية٦٣]. ولا ريب أنَّ من أبغض ما جاء به رسول الله ﷺ مخالفٌ لأمره عليه الصلاة والسلام.

٢– قـول عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– : "من تَرَكَ السُّنَّة كَفَرَ"[(٣)] . وقوله ﷺ محمولٌ على الترك مع البُغض والجحود ، أو على ترك منهج النبيّ ﷺ وطريقته التي أوجب على أُمَّته سلوكها[(٤)] .

---

(١) انظر تيسير ذي الجلال والإكرام بشرح نواقض الإسلام للقحطاني ص ٦٩ .

(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية ص ٥٢٢ .

(٣) ذكره ابن بطة العكبري في الشرح والإبانة ص ١٢٣ .

(٤) انظر شرح نواقض التوحيد لحسن بن علي عواجي ص ٦٨-٦٩ .

الوقفة السادسة : مع الناقض السادس : مَن استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ ، أو ثوابه ، أو عقابه .

المراد بهذا الناقض :

من تجرّأ بكلامٍ فيه غضٌّ من دين الله ، أو تنقُّصٌ له ، أو استهزاءٌ به ، أو تنقّص لرسول الله ﷺ ، أو استهزاء به ، كفر بإجماع علماء المسلمين[1] .

يقول الشيخ سليمان بن عبدالله –رحمه الله– : "ولهذا أجمع العلماء على كفر من فعل شيئاً من ذلك ؛ فمن استهزأ بالله ، أو بكتابه ، أو برسوله ، أو بدينه، كفر –ولو هازلاً لم يقصد حقيقة الاستهزاء– إجماعاً"[2] .

ويقول الشيخ حمد بن عتيق –رحمه الله– : "اعلم أنّ العلماء قد أجمعوا على أنّ من استهزأ بالله ، أو رسوله ، أو كتابه ، فهو كافرٌ ، وكذا إذا أتى بقولٍ أو فعلٍ صريحٍ في الاستهزاء"[3] .

ويقول الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله : "فإنّ الاستهزاء بالله ورسوله كفرٌ مخرجٌ عن الدين؛ لأنّ أصل الدين مبنيّ على تعظيم الله، وتعظيم دينه، ورسله. والاستهزاء بشيء من ذلك منافٍ لهذا الأصل ، ومناقض له أشدّ المناقضة"[4] .

من الأدلّة على هذا الناقض :

١– قول الله ﷻ : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦] .

---

(١) انظر الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية ص ٥١٣ .

(٢) تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان ص ٦١٧ . وانظر : روضة الطالبين للنووي ١٠/٦٤-٦٥ . والروضة الندية شرح الدرر البهية لصديق حسن خان ٢/٢٩٣. وفتاوى العقيدة لابن عثيمين ص١٩٣.

(٣) الدرر السنيَّة في الأجوبة النجدية –لعدد من العلماء– ١٠/٤٢٨ .

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان لابن سعدي ٣/٢٥٩ .

هاتان الآيتان حكمتا بكفر المستهزئين بالله ، أو بدينه ، أو بكتابه ، أو برسوله ، ولنزولهما سببٌ، أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره عن ابن عمر -رضي الله عنهما- ، وفيه : "أنَّ رجلاً قال في غزوة تبوك، في مجلس : ما رأينا مثل قُرَّائنا هؤلاء، أرغبَ بطوناً ، ولا أكذبَ ألسُناً، ولا أجبن عند اللقاء . فقال رجلٌ في المجلس : كذبتَ، ولكنَّك منافق ، لأُخْبِرَنَّ رسولَ الله ﷺ . فبلغَ ذلك النبيَّ ﷺ ، ونزل القرآن . قال عبد الله بن عمر : فأنا رأيتُه متعلقاً بحَقَب[1] ناقة رسول الله ﷺ تَنْكُبُهُ الحجارةُ[2]، وهو يقول : يا رسولَ الله إنَّما كُنَّا نخوضُ ونلعبُ . ورسول الله ﷺ يقول: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾"[3] .

فدلَّت هاتان الآيتان على كفر المستهزئ بالله ﷻ ، أو بآياته ، أو برسوله ﷺ .

فائدة : سُئل فضيلة الشيخ محمَّد بن صالح العثيمين رحمه الله : هل تنطبق الآيتان السابقتان على الذين يسخرون ويستهزئون بالذين يعفون لحاهم ، ويلتزمون بدين الله ؟ فأجاب رحمه الله : "هؤلاء الذين يسخرون بالذين يلتزمون بدين الله ، المُنَفِّذين لأوامره ، إذا كانوا يستهزئون بهم من أجل ما هم عليه من الشّرع ، فإنَّ استهزاءهم بهم استهزاء بالشريعة ، والاستهزاء بالشريعة كفرٌ . أمَّا إذا كانوا يستهزئون بهم ، يَعْنُون أشخاصهم -بقطع النظر عمَّا هم عليه من اتِّباع السُّنَّة في الثياب واللحية- ، فإنَّهم لا يكفرون بذلك ؛ لأنَّ الإنسان قد يستهزئ بالشخص نفسه ، بغضّ النظر عن عمله وفعله . لكن يجب على كلّ إنسان أن يحذر من الاستهزاء بأهل العلم ، أو الاستهزاء بأهل الدين الذين يتمسَّكون بما دلَّ عليه كتابُ الله وسنَّة رسوله ﷺ"[4] .

---

(١) حَقَب الناقة : الحزام الذي يلي حَقْوَ البعير . أو هو حبلٌ تُشَدُّ به الحقيبة (المعجم الوسيط ص ١٨٧) .

(٢) أي تُدْمِيها (المعجم الوسيط ص ٩٥٠) .

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير الطبري ٤٠٩/٦ . وإسناده لا بأس به . وانظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية٧/٢٧٢-٢٧٣. والحذر بمعرفة أنّ من هزأ بالدين كفر لجمال الدين باش٢١-٣٣.

(٤) فتاوى العقيدة لابن عثيمين ص ١٩٦ . وانظر المرجع نفسه ص ١٩٧ .

الوقفة السابعة : مع الناقض السابع : السِّحْرُ ، ومنه الصرفُ والعطفُ[١] .

السحر من نواقض "لا إله إلا الله" .

ومن السـحر أدوية وعقاقير وعُقَد وطلاسم تُؤثِّر على بدن المسحور فتجده ينصرف عن زوجته "الصرف" ؛ فيُبغضها ويُبغض بقاءها معه . أو ينعطف قلبُه ويميل نحو زوجته أو امرأة أُخرى "العطف" ؛ حتى يكون كالبهيمة تقوده كما تشاء[٢] .

والدليل على هذا الناقض، قول الله ﷻ : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٠٢] .

الوقفة الثامنة : مع الناقض الثامن : مظاهرة المشركين ، ومعاونتهم على المسلمين .

المراد بهذا الناقض :

المقصـود من مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين : أن يتّخذ البعضُ الكفّارَ والمشركين أولياء ؛ فيكونوا لهم أنصاراً وأعواناً ضدّ المسلمين ، وينضمُّون إليهم ، ويذبُّون عنهم بالمال والسنان والبيان . فهذا كفرٌ يُناقض الإسلام .

والله ﷻ نهانا في آيات كثيرة أن نتّخذ الكفّار والمشركين أولياء .

ومن معاني هذه الولاية التي نُهينا أن نصرفها لهم : المحبّة، والمـودّة الدينيَّة، والنُّصرة ، والتأييد على المسلمين[٣] .

---

(١) سيأتي الحديث عن هذا الناقض بالتفصيل في الباب الثالث من هذا الكتاب .

(٢) انظر : شرح نواقض التوحيد لحسن عواجي ص ٧٨-٨٧ . وتيسير ذي الجلال والإكرام بشرح نواقض الإسلام لسعد القحطاني ص ٧٩-٨٤ .

(٣) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١١/١٦٠-١٦١ .

من الأدلّة على هذا الناقض :

١-قول الله ﷻ : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران : ٢٨] ؛ أي لا تتخذوا أيّها المؤمنون الكفّارَ ظَهْراً وأنصاراً تُوالونهم على دينهم، وتُظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين، وتدلّونهم على عوراتهم ؛ فإنّه من يفعل ذلك فقد برئ من الله، وبرئ الله منه بارتداده عن دينه ، ودخوله في الكفر . إلا أن تكونوا في سلطانهم ، فتخافوهم على أنفسكم ، فتُظهروا لهم الولاية بألسنتكم ، وتُضمروا لهم العداوة ، ولا تُشايعوهم على ما هم عليه من الكفر ، ولا تُعينوهم على مسلمٍ بفعلٍ[١] .

٢- قول الله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١] ؛ أي لا تتخذوا أيّها المؤمنون اليهودَ والنصارى أولياء، ومن يفعل ذلك منكم فإنّه منهم؛ لأنّ "التولّي التامّ يُوجب الانتقال إلى دينهم، والتولّي القليل يدعو إلى الكثير ، ثمّ يتدرّج شيئاً فشيئاً ، حتى يكون العبد منهم"[٢] .

٣- قول الله ﷻ : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة: ٢٢] ؛ فأخبر ﷻ أنّ المؤمن -الذي لا بُدّ أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه ممّا سواهما- لا تجده موادًّا لمن حادّ الله ورسوله ؛ فإنّ هذا جمع بين ضدّين لا يجتمعان ، ومحبوبُ الله ، ومحبوب معاديه لا يجتمعان[٣] .

٤- قول الله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الممتحنة: ٩] ؛ فأخبر ﷻ أنّ من يفعل ذلك -أي من يتولّى الكفّار- فإنّه ظالم ، "وذلك الظلم يكون بحسب التولّي ، فإن كان تولّياً تامًّا ، كان ذلك كفراً مُخرجاً عن دائرة الإسلام"[٤] .

---

(١) انظر جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير الطبري ٣/٢٢٧ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٢/٣٠٤ .

(٣) انظر قاعدة في المحبّة لابن تيمية ص ٨٩-٩٠ .

(٤) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٧/٣٥٧ .

الوقفة التاسعة : مع الناقض التاسع : من اعتقد أنّ بعضَ النّاس يَسَعُهُ الخروج عن شريعة محمّدٍ ﷺ ، كما وَسِعَ الخضر عليه السلام الخروج عن شريعة موسى عليه السلام .

المراد بهذا الناقض :

يعتقد البعضُ أنّ بالإمكان الخروج عن شريعة نبيّنا محمّدٍ ﷺ ومخالفته ، والاستغناء عن متابعته في عموم أحواله أو بعضها ، زاعمين أنّ في قصّة الخضر عليه السلام حُجَّةً لهم[١] .

ولا ريب أنّ هذا الاعتقاد كُفرٌ مُخرجٌ عن الملّة . يقول الشيخ موسى بن أحمد المقدسيّ : "من اعتقدَ أنّ لأحد طريقاً إلى الله من غير مُتابعة محمّدٍ ﷺ، أو لا يجب عليه اتّباعه ، أو أنّ له أو لغيره خروجاً عن اتّباعه وأخذِ ما بُعِث به ، أو قال : أنا مُحتاجٌ إلى محمّدٍ في علم الظاهر دون علم الباطن ، أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة . أو قال : إنّ من الأولياء من يَسَعُه الخروج عن شريعتِه كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى ، أو أنّ غيرَ هدي النبيّ ﷺ أكمل من هَدْيِه ، فهو كافرٌ"[٢] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : "من اعتقد أنّ أحداً من أولياء الله يكون مع محمّد ﷺ كما كان الخضر مع موسى عليه السلام ، فإنّه يُستتاب ، فإن تاب ، وإلا ضُرِبَتْ عُنُقُهُ"[٣] .

وقصّة الخضر مع موسى قصّها اللهُ علينا[٤]، وفيها : خَرْقُ الخضر للسفينة، وقتله للغلام، وإقامته للجدار . وقد زعم المحتجُّون بها أنّ الخضر خالف موسى عليه السلام وخرج عن شريعته، وعن الأمر والنهي الشرعيّين . قالوا : وكذلك يسوغ لبعض النّاس الخروج عن الشريعة النبويّة كما ساغ للخضر الخروج عن متابعة موسى عليه السلام[٥] .

ومزاعمهم هذه مردودة عليهم من وجوه[٦] :

---

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤٢٢/١١ .

(٢) الإقناع لطالب الانتفاع لموسى المقدسيّ ٢٨٧/٤-٢٨٨ .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤٢٢/٣ .

(٤) في سورة الكهف ، الآيات ٦٠-٨٢ .

(٥) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤٢٠/١١ .

(٦) ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٢٦٣/١١ .

١- إنَّ موسى عليه السلام لم يكن مبعوثاً إلى الخضر ، ولا كان على الخضر اتباعه ، بل كان مبعوثاً إلى قومه خاصَّة؛ إلى بني إسرائيل، والخضر عليه السلام ليس من بني إسرائيل. وموسى عليه السلام قَصَدَ الخضر للتعلُّم منه ، والأخذ عنه، وحين لقيه قال له : "أتيتُك لتعلِّمني ممَّا عُلِّمتَ رُشْداً"(١) . فلا يُقاس عليه رسولُنا ﷺ الذي أرسله الله لجميع الثقلين ؛ الجنّ والإنس، كما قال ﷺ : "وكان النبيُّ يُبعث إلى قومه خاصَّة، وبُعثتُ إلى النَّاس عامَّة"(٢). ولا يُعتبر صنيع الخضر عليه السلام خروجاً على شريعة موسى عليه السلام . أمَّا من خالف رسول الله ﷺ، و لم يُطعه في كلِّ ما أمر، أو ينته عمَّا نهى عنه وزجر ، فهو من أُمَّته ، ولا يجوز له مخالفته ، فإن فعل ، فهو خارجٌ عن شريعته عليه الصلاة والسلام لا محالة .

٢- إنَّ قصَّة الخضر عليه السلام ليس فيها مخالفة للشريعة ، بل ما فعله عليه السلام يُباح في الشريعة إذا علم العبد أسبابها كما علمها الخضر عليه السلام . ولهذا لَمَّا بيَّن الخضر لموسى أسبابها ، وافقه موسى عليه السلام على ذلك ، ولو كان ما فعله الخضر مخالفاً لشريعة موسى ، لما وافقه بحال(٣) . أمَّا هذا الذي يُريد الخروج على شريعة محمَّد ﷺ ، فهو مخالفٌ لشريعته . ويتضح ذلك في الوجه الثالث .

٣- إنَّ ما فعله الخضر عليه السلام كان عن وحيٍ من الله ﷻ، وليس مجرَّد خيال أو إلهام . وهذا لا يُمكن أن يكون لأحدٍ بعد رسولنا ﷺ؛ خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي بموته انقطع الوحي . ومن ادّعى حصوله كفر(٤) .

إذاً : لا يجوز الخروج على شريعة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ بحال ، ومن فعل ذلك ، فهو كافرٌ مرتدّ ، وهو من أعظم النَّاس كفراً(٥) .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب التيمُّم ، باب ١ ، حديث رقم ٣٣٦ .

(٣) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٦٣/١١ . وشرح نواقض التوحيد لحسن عواجي ص ١٠٠-١٠١ . وتيسير ذي الجلال والإكرام بشرح نواقض الإسلام لسعد القحطاني ص ١٠٠ .

(٤) انظر الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنَّة لعبد الرحمن عبد الخالق ص ١٣٢ .

(٥) انظر إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن قيم الجوزية ١٢٣/١ .

الوقفة العاشرة : مع الناقض العاشر : الإعراض عن دين الله، فلا يتعلّمه، ولا يعمل به.

المراد بهذا الناقض :

الإعراض التامّ عن دين الله ﷻ ، والتولّي عن طاعة رسول الله ﷺ ، والامتناع عن الاتّباع ، والصدود عن قبول حكم الشريعة ؛ فلا إرادة له في تعلُّم الدين ، ولا يُحدِّث نفسه بغير ما هو عليه[1]، ويُعْرِض إعراضاً كُلِّيًا عن جنس العمل الظاهر "الطاعة أو الاتباع" .

والإعراض التامّ الكُلّي لا يقع إلاّ ممَّن تمكَّن من العلم ومعرفة الحقّ ، وتمكَّن من العمل ، فأعرض ، وفرَّط ، وترك ما أوجبه الله عليه ، من غير عذر . فهذا وأمثاله مفرِّط بإعراضه عن اتِّباع داعي الهدى . فإذا ضلّ ، فإنّما أُتي من تفريطه وإعراضه[2] .

ويجب أن يُعلَم أنَّ الإعراض ليس كله مِمَّا يُخرج من الملَّة ، بل الذي يُكفَر بتركه هو الإعراض عن تعلُّم الإيمان العام المجمَل ، والإعراض عن جنس العمل الذي يُعدُّ شرطاً في صحّة الإيمان[3] ، فهذا هو الذي يكفر فاعلُه لأنّه لم يتعلَّم دين الله ، ولم يعمل به .

يقول العلامة ابن القيِّم عن الإعراض عن تعلُّم الإيمان المجمل الذي يُدخل صاحبه في دائرة الإسلام : "والإسلام هو توحيدُ الله وعبادته وحده لا شريك له ، والإيمان بالله وبرسوله ، واتّباعه فيما جاء به . فما لم يأت العبدُ بهذا فليس بمسلم ، وإن لم يكن كافراً مُعانداً ، فهو كافرٌ جاهلٌ"[4] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن الإعراض عن العمل : "وقد تبيَّن أنَّ الدينَ لا بُدَّ فيه من قولٍ وعملٍ ، وأنّه يمتنع أن يكون الرجل مؤمناً بالله ورسوله بقلبه ، أو بقلبه ولسانه ، ولم يؤدِّ واجباً ظاهراً، ولا صلاة، ولا زكاة، ولا صياماً، ولا غير ذلك من الواجبات"[5] .

---

(١) انظر : طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن قيم الجوزيّة ص ٤١٢-٤١٣ . وتيسير ذي الجلال والإكرام بشرح نواقض الإسلام لسعد القحطاني ص ١٠٢ .

(٢) انظر : مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزيّة ٤٣/١ . والمجموع الثمين للشيخ ابن عثيمين ١٧/٣ .

(٣) انظر : شرح نواقض الإسلام لحسن عواجي ص ١٠٥ . وتيسير ذي الجلال والإكرام بشرح نواقض الإسلام لسعد القحطاني ص ١٠٢-١٠٣ .

(٤) طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن قيم الجوزيّة ص ٤١١ .

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٦٢١/٧ .

من الأدلّة على هذا الناقض :

١- قـول الله ﷻ : ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ [النور:٤٧-٤٨] ؛ "فنفى الإيمان عمَّن تولّى عن العمل ، وإن كان قد أتى بالقول"[١] .

٢- قول الله ﷻ : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران:٣٢] ؛ فدلَّ على أنَّ من تولّى عن طاعة الله ﷻ ، وطاعة رسوله ﷺ ، فهو كافر[٢] .

٣- قـول الله ﷻ : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً ﴾ [النساء:٦١]؛ "فبيَّن سبحانه أنَّ من تولّى عن طاعة الرسول ﷺ، وأعرض عن حكمه ، فهو من المنافقين ، وليس بمؤمن"[٣] .

٤- قول الله ﷻ : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾ [طـه:١٢٤-١٢٦] ؛ فأخبر ﷻ أنَّ المعرضين في معيشة ضنك ، وضيقٍ ، وأنَّهم يُحشرون يوم القيامة عُمياً .

خاتمة النواقض :

خَتَمَ شيخ الإسلام محمَّد بن عبد الوهَّاب رحمه الله مبحث النواقض بقوله : "ولا فرق في جميـع هذه النواقض بين الهازل ، والجادّ ، والخائف ، إلاَّ المُكْرَه . وكلُّها من أعظم ما يكون خطراً ، ومن أكثر ما يكون وقوعاً ، فينبغي للمسلم أن يحذرها ، ويخاف منها على نفسه . نعوذ بالله من موجبات غضبه ، وأليم عقابه ، وصلّى الله على محمَّد" .

وكلامـه -رحمه الله- بعدم التفريق بين الهازل والجادّ في محلّه ، ويُمكنك إدراكه إذا تأمَّلت في سبب نزول الآية ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾؛ كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه المزاح واللعب . نسأل الله أن يعصمنا بالتقوى إنَّه سميع مجيب .

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٤٢/٧ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٣٣٨/١ .

(٣) الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية ص ٣٣ .

المبحث الثاني

العبادة . وأنواعها . وأركانها

ويشتمل على أربعة مطالب :

المطلب الأول : معنى العبادة لغة واصطلاحاً .

المطلب الثاني : مفهوم العبوديَّة الشامل في ضوء النصوص الشرعيَّة .

المطلب الثالث : أنواع العبادة .

المطلب الرابع : أركان العبادة .

المطلب الأول

معنى العبادة في اللغة والاصطلاح

العبادة لغةً :

العبادة في اللغة : الذُّلُّ والخُضُوعُ . يُقال : عَبَّدَهُ : ذَلَّلَهُ . وعَبَّدَ الطريقَ ، وعَبَّدَ البعير .
ويُقال : عَبَدَ اللهَ عبادةً ، وعُبُوديَّةً : انقاد له ، وخَضَعَ ، وذَلَّ[١] .

يقول الشاعر طرفة بن العبد في معلّقته المشهورة ، يصف ناقته :

تباري عتاقاً ناجيات وأتبعت وظيفاً وظيفاً فوق مور مُعبَّد[٢]

ومور معبَّد : أي تراب مُمَهَّد مُذَلَّلٍ[٣] .

العبادة اصطلاحاً :

والعبادة في الاصطلاح : اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يُحبُّه الله ويرضاه ، من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة[٤] .

وهي تتضمَّن غاية الذُّلِّ لله تعالى ، بغاية المحبَّة له ﷻ ؛ فمن خَضَعَ لإنسانٍ مع بُغضه له لا يكون عابداً له، ولو أحبَّ شيئاً ولم يخضع له لم يكن له عابداً؛ كما قد يُحبّ ولدَه وصديقَه[٥].

فالعبادة –إذاً– تتضمَّن غاية الحبّ، مع غاية الذلّ ، كذا عرَّفها العلامة ابن القيِّم بقوله:

وعِبادةُ الرحمنِ غايةُ حُبِّه مع ذُلِّ عابده ، هما قُطبان[٦]

فهي في مفهومها العام تعني : "التذلُّل لله محبَّة وتعظيماً ، بفعل أوامره ، واجتناب نواهيه ، على الوجه الذي جاءت به شرائعه"[٧] .

والله ﷻ أحبّ إلى عبده المؤمن من كلِّ شيء ، وأعظم عنده من كلِّ شيء .

---

(١) انظر : أساس البلاغة للزمخشري ص ٤٠٦ . والمعجم الوسيط لجماعة من المؤلّفين ص ٥٧٩ .
(٢) انظر شرح المعلّقات العشر للزوزني ص ٩٧ .
(٣) انظر أساس البلاغة للزمخشري ص ٦٠٧ .
(٤) انظر العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢٣ .
(٥) انظر المصدر نفسه ص ٣٣-٣٤ .
(٦) انظر النونية لابن القيم –بشرح الهرّاس– ١/٩٥.
(٧) المجموع الثمين من فتاوى فضيلة الشيخ محمد الصالح العثيمين ٢/٢٥ .

المطلب الثاني

مفهوم العبوديّة الشامل في ضوء النصوص الشرعيّة

سبقَ أن ذكرنا تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية للعبادة ، بأنّها : "اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يُحبُّه الله ويرضاه ، من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة" .

فالعبادة على هذا لا تقتصر على أركان الإسلام فحسب؛ من صلاةٍ، وصيامٍ، وزكاة ، وحجّ . بل إنَّ الإسلام أسبَغَ على أعمال الإنسان كلِّها صفة العبادة ، إذا تحقّق فيها شرطا قبول العمل ، وهما[1] :

أولاً : الإخلاص ؛ بأن يكون العمل خالصاً لوجه الله الكريم ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ [البينة: من الآية٥]. فينوي العبدُ أن يكون عمله ، وقوله، وإعطاؤه، ومنعه، وحبّه، وبغضه لله وحده، لا شريك له ؛ إذ الأعمال لا تقوم إلا بالنيّات، كما قال ﷺ : "إنّما الأعمالُ بالنيّات"[2] ؛ فالنيّة تتحكّم في العمل ، وتقلبه إلى عبادة .

ثانياً : المتابعة ؛ بأن يكون العمل على منهاج رسول الله ﷺ ، وهديه القويم ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر : من الآية٧] . فالأعمال لا اعتبار لها إلاّ إذا كانت على الوجه الذي رسمه الشرع . روت أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنّ رسول الله ﷺ قال : "مَنْ أحدثَ في أمرنا هذا ما ليس منه ، فهو ردٌّ"[3] .

وكلّ عملٍ بلا متابعة ، فإنّه لا يزيد عاملَه إلا بُعْداً من الله ؛ فإنَّ الله ﷻ إنّما يُعبد بأمره ، لا بالأهواء ، ولا الآراء .

والمسلك الحسنُ ليس في إخلاص العمل لله ﷻ فحسب ، ولا في متابعة الرسول ﷺ فقط ، بل في مجموعهما معاً ، فإنَّ الله ﷻ ذكر العمل الصالح ، فقال : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: من الآية١١٠] ، والعمل الصالح هو الخالص الصواب ، فإذا جمع العملُ هذين الشرطين ، كان عبادة .

---

(١) انظرهما في كتاب : تجريد التوحيد المفيد للمقريزي ص ٨٨-٨٩ .

(٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ. وصحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب قوله ﷺ : "إنّما الأعمال بالنيّة" .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الصلح ، باب إذا اصطلحوا على جور ، فالصلح مردود . وصحيح مسلم ، كتاب الأقضية ، باب نقض الأحكام الباطلة ، وردّ محدثات الأمور .

والعبادة تتعدّد وتتنوّع لتشمل حياة الإنسان المسلم كلّها. وفي هذه الأمثلة بيانٌ لذلك:

١- الله ﷻ لم يقصر وصف الصلاح على العبادات المخصوصة، بل جعله شاملاً لأعمال أُخرى. يقول ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[التوبة: ١٢٠-١٢١].

٢- عن أبي ذرٍّ الغفاريِّ ﷺ أنَّ ناساً قالوا: يا رسول الله! ذَهَبَ أهلُ الدُّثور بالأُجور، يُصَلُّونَ كما نُصلّي، ويصومون كما نصوم، ويتصدَّقون بفضول أموالهم. قال ﷺ: "أوليس قد جَعَلَ الله لكم ما تصدَّقون به: إنَّ بكلِّ تسبيحة صدقةً، وكلِّ تكبيرة صدقةً، وكلِّ تحميدة صدقةً، وكلِّ تهليلة صدقةً، وأمرٍ بالمعروف صدقةٌ، ونهيٍ عن المنكر صدقةٌ. وفي بُضْعِ أحدكم صدقةٌ". قالوا: يا رسول الله! أيأتي أحدُنا شهوته، ويكون له فيها أجر؟ قال ﷺ: "أرأيتم لو وضعها في حرام، أكان عليه فيها وزرٌ، فكذلك إذا وضعها في الحلال، كان له أجرٌ"(١). فأخبر ﷺ أنَّ باب العبادة واسع، يدخل فيه التسبيح، والتحميد، والتكبير، والتهليل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. حتَّى إتيان الرجل امرأته جعل فيه رسول الله ﷺ صدقة؛ لأنَّ في الكفِّ عن المعصية ابتغاء مرضاة الله ﷻ أجر وعبادة، إذ بإتيان الرجلِ امرأته يعفُّ نفسه عن الحرام، ويُعفُّ أهله أيضاً. فإن انضمَّ إلى ذلك نيَّة إنجاب الذريّة الطيّبة، وتربيتهم التربية الحسنة، وحسن رعايتهم، ازدادت دائرة العبادة بازدياد دائرة النيَّة الصالحة.

٣- عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، عن النبيِّ ﷺ فيما يروي عن ربِّه ﷻ، قال: قال: "إنَّ الله كتبَ الحسنات والسيِّئات، ثمَّ بيَّن ذلكَ، فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبَها الله له عندَه حسنةً كاملةً، فإنْ هُوَ همَّ بها فعَمِلَهَا، كتبها الله له عنده عشرَ حَسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة. ومن همَّ بسيِّئة فلَم يعْمَلْها كتبها الله له عنده حسنةً كاملةً، فإن هُوَ همَّ بهَا فعمِلها كتبها الله له سيئة واحدة"(٢). فبيَّن ﷺ أنَّ النيَّة الطيِّبة وحدَها، ولو لم يُصاحبها عمل، يؤجر الإنسان عليها. فالنيَّة دائماً لها أجرُها.

وهكذا تتَّسع دائرة العبادة بقدر امتداد النيَّة المقرونة بالعمل، حتَّى تشمل حياة المسلم كلَّها، في يقظته ومنامه، وفي صمته وكلامه، وفي سعيه لمعاشه ومعاده، ما دام العمل موافقاً لشرع الله ﷻ، وما دامت نيَّته ابتغاء وجه الله ﷻ.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أنَّ اسم الصدقة يقع على كلِّ نوع من المعروف.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب من همَّ بحسنة أو بسيئة. وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إذا همَّ العبد بحسنة كُتبت.

المطلب الثالث

أنواع العبادة

ذكرنا في المطلب السابق أنَّ دائرة العبادة تتَّسع بقدر امتداد النيَّة لتشمل حياة الإنسان كلَّها ، ما دام العمل موافقاً لشرع الله ﷻ ، وما دامت نيّة العامل : ابتغاء وجه الله ﷻ .

فأعمال الإنسان كلُّها عبادة إذا جمعت شرطَي قبول العمل .

وهذه الأعمال التي حَمَلَتْ اسم "العبادة" يُمكن تصنيفها ضمن أنواع متعدِّدة :

أولاً : عبادات اعتقاديَّة : وهي اعتقاد ما أخبر الله ﷻ به عن نفسه ، وأخبر رسوله ﷺ عن ربِّه ؛ من أسمائه، وصفاته، وأفعاله، وملائكته، وكتبه، ورسله، ولقائه، وما أشبه ذلك[1] .

ودليل هذا النوع ، قول الله ﷻ : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ [البقرة:١٧٧] .

ثانياً : عبادات قلبيَّة : وهي أعمال القلوب؛ كمحبَّة الله ، والتوكُّل عليه، والإنابة إليه، والخوف منه ، ورجائه، وإخلاص الوجه له، والصبر على أوامره ونواهيه وأقداره ، والرضا به وله وعنه ، والموالاة فيه ، والمعاداة فيه ، والإخبات إليه ، والطمأنينة به ، ونحو ذلك من أعمال القلوب التي لا يجوز أن يُقصد بها إلا الله ﷻ[2] .

ومن أدلَّة هذا النوع: قول الله ﷻ: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة:٢٣] ، وقوله ﷻ : ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾ [الزمر:٥٤] ، وقوله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران:٢٠٠] .

ثالثاً : عبادات قوليَّة : ومن أجلِّها : النطق بكلمة الإخلاص "لا إله إلا الله" ، والدعاء إلى الله ، والذبّ عنه ، والقيام بذكره ﷻ ، وتبليغ دينه ، وقراءة القرآن ، ونحو ذلك[3] .

ومن أدلَّة هذا النوع: قول الله ﷻ:﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[النحل:١٢٥]، وقوله ﷻ: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾[النحل:٩٨] ، وقوله ﷻ : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر:٦٠] .

---

(١) انظر تجريد التوحيد المفيد للمقريزي ص ١١٧.

(٢) انظر المصدر نفسه .

(٣) انظر المصدر نفسه .

رابعاً : عبادات بدنيَّة : وتشمل أعمال الجوارح ؛ من صلاة ، وجهاد ، وحجّ ، ونقل الأقدام إلى الجمعة والجماعات ، ومساعدة العاجز ، والإحسان إلى الخلق ، ونحو ذلك[1] .

ومن أدلّة هذا النوع : قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج:٧٧]، وقوله ﷻ : ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [الحج:٢٩]، وقوله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الجمعة:٩] .

خامساً : عبادات ماليَّة : وتشمل إخراج الزكاة من المال ، امتثالاً لأمر الله ، والوفاء بالنذر ، والجهاد بالمال في سبيل الله ﷻ .

ومن أدلّة هذا النوع : قول الله ﷻ : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة:١١٠] ، وقوله ﷻ : ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة:٤١]، وقول الله ﷻ : ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ [الانسان:٧] .

إذاً : العبادة تشمل جميع مجالات الحياة ، بل تشمل الحياة بأسرها ؛ فالحياة ، والمحيا ، والممات لله ربّ العالمين لا شـريك له ، كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣] .

---

(١) انظر المصدر نفسه ص ١١٨ .

المطلب الرابع

أركان العبادة وأصولها

تقوم العبادة على أركان ، باجتماعها يحصل كمال العبوديَّة لله ﷻ[١] .

وهـــذه الأركان هي : المحبَّة ، والرجاء ، والخوف ، التي يجب اجتماعها ، ولا يجوز إهمال واحدٍ منها، كما قال علماؤنا رحمهم الله : "مَنْ عَبَدَ اللهَ بالحبِّ وحدَه فهو زِنْديق ، ومَـــنْ عبدهُ بالرجاء وحده فهو مرجئ ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروريّ ، ومن عبده بالحبّ والخوف والرجاء فهو مؤمن موحِّد"[٢] .

ويُمكن بيان هذه الأركان في الوقفات التالية :

الوقفة الأولى : مع الركن الأوّل : محبَّة الله ﷻ :

المحـبَّة أصـــل دين الإسلام ، وهي نعمة لا يُدركها إلاّ من تفيَّأ ظلالها ، ولذّة لا يعرف حلاوتها إلا من تذوّقها .

١- **المراد بها** : يُراد بها محبَّة المعبود ﷻ ، المتضمِّنة تقديم مراده ﷻ على كلّ شيء .

٢- **مقاماتها** : مقـــامـــات العبـــادة ثلاثـــة؛ التكميـــل ، والتفريـــع ، ودفع الضـــدّ .

وقـــد جمعهـــا قول رسول الله ﷺ : "ثلاثٌ من كُنَّ فيه وَجَدَ بهنَّ حلاوةَ الإيمان : أن يكون اللهُ ورسوله أحبَّ إليه مِمَّا سواهما ، وأن يُحبَّ المرء لا يُحبُّه إلا لله ، وأن يكره أن يعودَ في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف في النَّار"[٣] .

فـــ"ما يَجدُهُ المؤمنُ الواجدُ من حلاوة الإيمان تَتْبَعُ كمال محبَّة العبد لله ، وذلك بثلاثة أمور : تكميل هذه المحبَّة ، وتفريعها ، ودفع ضدِّها .

فتكميلها : أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مِمَّا سواهما؛ فإنَّ محبَّة الله ورسوله لا يُكتفى فيها بأصل الحبّ ، بل لا بُدَّ أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مِمَّا سواهما"[٤] .

---

(١) انظر معارج الصعود إلى تفسير سورة هود للشنقيطي ص ١٣٦ .

(٢) انظر : العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٦١-١٦٢ . وتوحيد الألوهيَّة لمحمد الحمد ص ٣٧ .

(٣) تقدَّم تخريجه في ص ٧٥ من هذا الكتاب .

(٤) العبودية لابن تيمية ص ١٥٩-١٦٠ . وانظر الدين الخالص لصديق حسن خان ٣٦٩/٢ .

وقد دلّ على هذا المقام قوله ﷺ : "لا يُؤمِنُ أحدُكم حتَّى أكون أحبّ إليه من والدِهِ وولدِهِ والنَّاسِ أجمعين"[١] .

"وتفريعُها : أن يُحبّ المرء لا يُحبّه إلا لله .

ودفـــعُ ضدِّها : أن يكره ضدَّ الإيمان أعظم من كراهته الإلقاء في النَّار"[٢] ؛ لأنَّ من محبَّة الله بُغْض ما يُبغضه ، وأعظم ذلك الكفرُ .

٣- **علامتاها** : للمحبَّة علامتان ، هما : اتِّباع الرسول ﷺ ، والجهاد في سبيل الله ﷻ .

اتِّباع الرسول ﷺ : "فمَنْ كان مُحبًّا لله، لزمَ أن يتَّبع الرسولَ ﷺ ، فيُصدّقه فيما أخبر ، ويُطيعه فيما أمر، ويتأسَّى به فيما فعل"[٣]. وقد أمر الله ﷻ رسولَه ﷺ أن يقول لأمَّته : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران:٣١] . فليست المحبَّة مجرّد دعوى باللسان ، بل لا بُدّ أن يُصاحبها الاتِّباع لرسول الله ﷺ ، والسير على هُداه .

الجهاد في سبيل الله ﷻ : فمن كان محبًّا لله ، لزمه أن يُجاهد في سبيله ؛ "لأنَّ الجهاد حقيقـــته الاجـــتهاد في حُصول ما يُحبُّه اللهُ من الإيمان والعمل الصالح ، ومن دَفْعِ ما يُبغضُهُ الله من الكفرِ والفسوق والعصيان"[٤] . وقد قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ [التوبة:٢٤] ؛ فتوعَّد من كان أهلُه ومالُه أحبَّ إليه من الله ورسوله والجهاد في سبيله بهذا الوعيد[٥] .

وحقيقـــة محبَّة الله ﷻ لا تتمّ إلا بموالاته ﷻ ؛ أي بموافقته فيما يُحبّ ويكره ؛ فيحبّ العبد ما يُحبّه الله ، ويُبغض ما يُبغضه الله ﷻ .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان، باب حبّ الرسول ﷺ من الإيمان . وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان، باب وجوب محبَّة رسول الله ﷺ .

(٢) العبوديَّة لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٦٠ . وانظر الدين الخالص لصديق حسن خان ٣٦٩/٢ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٢٦-١٢٧ .

(٤) العبوديَّة لابن تيمية ص ١٢٧ . وانظر الدين الخالص لصديق حسن خان ٣٦١/٢ .

(٥) العبوديَّة لابن تيمية ص ١٢٧ .

الوقفة الثانية : مع الرُّكن الثاني : الـرَّجَـاء :

١- **ارتباط الرجاء بالمحبَّة** : على حسب المحبَّة وقوَّتها يكون الرجاء ؛ فكلّ مُحبّ راجٍ بالضرورة ؛ لأنَّ محبَّته لله ﷻ تحمله على أن يرجو ما عنده ﷻ(١) .

٢- **المراد بالرجاء** : أن يرجو العبد ما عند مولاه ﷻ من الأجر، والثواب، والرحمة، والمغفرة ؛ فالعابد والمطيع يرجو الأجر والثواب والقبول، والتائب يرجو الرحمة ومغفرة الذنوب . وهـذا الرجاء ينبغي أن يكون بلا يأسٍ من روح الله ، ولا قنوطٍ من رحمته ﷻ ؛ لأنَّ الله تعالى ذمَّ الأمرين ، فقال : ﴿ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧] ، وقال : ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ [الحجر:٥٦] .

٣- **المطلوب فيه** : المطلوب في الرجاء كمالُه وغايته ؛ فيرتقي العبـدُ في الرجاء صُعُداً ؛ مـن رجاء يبعثُ على الاجتهاد في أداء العبادة طمعاً فيما يُؤمِّله من ثواب ، إلى رجاء يُقـدِّم فيـه لزوم الأحكام الدينية على ما تستلذه النفس وتميل إليه ، إلى رجاء لقاء الخالق ﷻ(٢) ، كما قال ﷻ: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾[الكهف: ١١٠]، ﴿ مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت:٥] .

٤- **من أسباب حصول الرجاء** : يحصل الرجاء بأمور ، منها(٣) :

أ- شهودُ كرم الله تعالى ، وإنعامه ، وإحسانه إلى عباده .

ب- صدقُ الرغبة فيما عند الله ﷻ من الثواب والنعيم .

ج- التسلُّح بصالح العمل ، والمسابقة في الخيرات .

٥- **من الأدلَّة على الرجاء** :

تقدَّم آنفاً دليلان، هما: قوله ﷻ: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾[الكهف: ١١٠]،﴿ مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت:٥] .

---

(١) انظر مدارج السالكين لابن القيم ٤٤/٢ .

(٢) انظر المصدر نفسه ٥٤/٢-٥٦ .

(٣) انظر المدخل لدراسة العقيدة الإسلاميَّة للدكتور إبراهيم البريكان ص ١٤٠ .

وثمة أدلّة أُخرى ، منها :

أ- قول الله ﷻ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة:٢١٨] .

ب- قول رسول الله ﷺ : (يقول الله ﷻ : "أنا عندَ ظنِّ عبدي بي")[١] .

ج- قول رسول الله ﷺ : "لا يموتنَّ أحدُكم إلا وهو يُحْسِنُ الظنَّ بربِّه"[٢] .

فالله ﷻ عند ظنِّ عبده . وعلى العبد أن يُحسن الظنَّ بربِّه كي لا يُصيبه القنوط من رحمة الله ، ولا اليأس من روحه ﷻ ؛ فيبقى مُتَطَلِّعاً لما عند الله من الثواب العظيم ، راغباً في نيل ما ادّخره لعباده المؤمنين من النعيم المقيم .

الوقـفـة الثـالثـة : مع الركن الثالث : الخــوف من الله ﷻ :

١- ارتباط الخوف بالرجاء: الخوف مستلزمٌ للرجاء ، والرجاء مستلزمٌ للخوف ؛ فكلّ راجٍ خائف ، وكلّ خائف راجٍ ؛ فكلّ راجٍ خائفٌ من فوات مرجوِّه ، وكلّ خائف يرجو عفو ربِّه ومغفرته ، والخوف بلا رجاء يُعتبر يأساً من روح الله وقنوطاً من رحمته[٣] .

٢- المراد بالخوف : أن يخاف العبد مولاه ﷻ أن يُصيبه بعقاب عاجلٍ ، أو آجلٍ ؛ فيُصيبه في الدنيا بما يشاء -سبحانه- من مصيبة ، أو مرضٍ ، أو قتلٍ ، أو نحو ذلك بقدرته ومشيئته . وهذا الخوف لا يجوز تعلّقه بغير الله أصلاً ؛ لأنَّ هذا من لوازم الإلهيَّة، فمن اتخذ مع الله ندًّا يخافه هذا الخوف، فهو مشرك[٤] ؛ لأنَّ الخوف عبوديَّة القلب ، فلا يصلح إلا لله . ويتبع هذا الخوف : الخوف ممَّا توعَّد الله به العصاة في الآخرة، من النكال والعذاب . يقول تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ [ابراهيم: من الآية١٤] .

وهذا الخوف من أعلى مراتب الإيمان، وإنَّما يكون محموداً إذا لم يُوقِع في القنوط من رحمة الله ، أو اليأس من روحه ﷻ[٥] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ أنزله بعلمه والملائكة يشهدون ﴾ . وصحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب الحثّ على ذكر الله تعالى .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الجنَّة وصفة نعيمها وأهلها ، باب الأمر بحسن الظنّ بالله تعالى عند الموت .

(٣) انظر مدارج السالكين لابن القيم ٢/٥٣ .

(٤) انظر تيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبدالله ص ٤٨٤ .

(٥) انظر المرجع نفسه ص ٤٨٦ .

والمطلوب في هذا الخوف : ما يحجز العبدَ عن المعاصي ، ويُبعده عن مخالفة أوامر الله .
يقول العلامة ابن القيم -رحمه الله- : "وسمعتُ شيخَ الإسلام ابن تيمية -قدَّس الله روحه- يقول : الخوفُ المحمودُ : ما حَجَزَكَ عن محارمِ الله"(١) .

٣- سبب نقص الخوف من الله في نفس العبد: إذا نقص الخوف من الله ﷻ في نفس العبد، فذلك لنقص معرفته بربِّه ﷻ؛ فإنّ أعرف النَّاس بالله أخشاهم له ﷻ . وكلَّما ازدادت معرفة العبد بربِّه، كلَّما ازداد له خشية . يقول الله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: من الآية٢٨] ، ويقول ﷺ : "والله إنِّي لأرجو أن أكون أخشاكم لله ، وأعلمكم بما أتَّقـي"(٢) ، ويقول : "إنَّ أتقاكُم وأعلَمَكُم بالله أنا"(٣) ، ويقول : "فوالله إنِّي أعلمُهُم بالله ، وأشـدُّهم له خشيةً"(٤) ؛ فهو ﷺ أعلمنا بالله ﷻ ، وأشدُّنا خشية له ؛ فكلّما ازدادت المعرفة بالله ، ازدادت الخشية له ﷻ ، وكذلك العكس ؛ كلَّما نقصت المعرفة بالله ، قلّ الخوف منه(٥) .

٤- حكم الخوف من الله ﷻ: الخوف من الله ﷻ من أجلِّ منازل الطريق، وأنفعها للقلب، وهو فرضٌ على كلِّ أحدٍ(٦) .

٥- من الأدلَّة على هذا الركن :

أ- آيـات يأمـر الله بها عبادَه بالخوف منه وخشيته ﷻ . يقـــول الله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٧٥] . ويقول ﷻ : ﴿ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ ﴾ [المائدة: من الآية٤٤] ؛ فأمر ﷻ بالخوف منه ، وجعل ذلك شرطاً في تحقيق الإيمان .

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم ١/٥٥١ .
(٢) صحيح مسلم ، كتاب الصيام ، باب صحّة صوم من طلع عليه الفجر وهو جُنُب .
(٣) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب قول النبيّ ﷺ : "أنا أعلمكم بالله" .
(٤) صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام ، باب ما يُكره من التعمُّق والتنازع والغلوّ في الدين والبدع .
(٥) لاحظ : أنَّ الخشية أخصّ من الخوف ؛ فإنّ خشية العلماء لله ، هي خوف مقرون بمعرفة . وانظر مدارج السالكين لابن القيم ١/٥٤٩ .
(٦) انظر مدارج السالكين لابن القيم ١/٥٤٨ .

ب- آيات يمدح الله بها عبادَه ويُثني عليهم بسبب عملهم بهذا الركن . يقول الله ﷻ مُثنياً على عباده المؤمنين : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾ [المؤمنون : ٥٧] ، إلى أن قال: ﴿ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ [المؤمنون:٦١] . ومدح أنبياءه عليهم السلام بهذه العبادة، فقال: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الانبياء: من الآية٩٠] . ومدح ملائكته بقوله : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [النحل:٥٠] .

ج- آيات يُخبر فيها ﷻ عن جزاءِ من عَبَدَه بهذا الركن. يقــول الله ﷻ : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن:٤٦] ، ويقول ﷻ : ﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ [ابراهيم:١٤] .

عبادة الله ﷻ بهذه الأركان مجتمعة :

تقدَّم أنَّ أهل السنَّة والجماعة يعبدون الله ﷻ بأركان العبادة الثلاثة مجتمعة ، ولا يلغون أيّ ركنٍ منها[١] . وتقدَّم أنَّهم يُوازنون بينها ، بحيث لا يطغى جانب منها على الآخر[٢] ؛ فكما أنَّ المسلم يعبد ربَّه ﷻ حبًّا له ، وطمعاً في جنّته ، ورجاء لثوابه ، فإنَّه كذلك يعبده ﷻ خشيةً له ، وحذراً من ناره ، وخوفاً من عقابه .

وما أجمل كلمات العلامة ابن القيم رحمه الله، التي يُخبر فيها عن اجتماع هذه الأركان القلــبيَّة ، ويــتحدَّث عن منـــزلة كلّ واحدٍ منها ، فيقول : "القلبُ في سيره إلى الله ﷻ بمنـــزلة الطائر . فالمحبَّة رأسه ، والخوف والرجاء جناحاه . فمتى سَلِمَ الرأس والجناحان ، فالطائـــرُ جيِّد الطيران . ومتى قُطِعَ الرأس مات الطائر . ومتى فُقِدَ الجناحان ، فهو عرضة لكلِّ صائدٍ وكاسرٍ" ... إلى أن قال : "أكملُ الأحوال : اعتدال الرجاء والخوف ، وغَلَبة الحبّ . فالمحبّة هي المركب، والرجاء حادٍ، والخوف سائق، والله الموصِل بمنّه وكرمه"[٣] .

---

(١) انظر ص ٩٧ من هذا الكتاب .

(٢) انظر ص ٤١ من هذا الكتاب . وانظر إيثار الحقّ على الخلق لابن المرتضى ص ٣٩١-٣٩٢ .

(٣) انظر مدارج السالكين لابن القيم ٥٥٤/١ .

البابُ الثّاني

ما يُضادّ هذا التوحيد أو يُنافي كماله

ويشتمل على تمهيد ، وثلاثة فصول :

الفصل الأول : الشرك ، وأنواعه .

الفصل الثاني : الكفر ، وأنواعه .

الفصل الثالث : النفاق ، وأنواعه .

تمهيد : بعــد أن تحدَّثنا في الباب **الأول** عن التوحيد ، ناسب أن نتكلّم في هذا الباب عن ضدّه ؛ إذ بضِدِّها تتميَّز الأشياء .

والشـــرك ، والكفر ، والنفاق شرٌّ كلُّها ، ومعرفتُها سببٌ لتوقّيها، كما قال الشاعر :

عَرَفْتُ الشرَّ لا للشرِّ لكن لتوقِّيــه ومَن لا يعرف الشرَّ من النَّاس يقع فيهِ

وقبلَه قال الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان ﷺ : "كان النَّاسُ يسألونَ رسولَ الله ﷺ عن الخيرِ ، وكنتُ أسألُه عن الشرِّ ؛ مخافةَ أن يُدرِكَني"[١] .

من أجل ذا ، كان الحديث في هذا الباب عن أضداد الخير ؛ عن الشرك –الذي هو ضدّ التوحيد– ، وعن الكفر –الذي هو ضدّ الإسلام– ، وعن النفاق –الذي هو ضدّ الإيمان– ، كي تُحذرَ وتُتّقى .

فأقول –ومن الله التوفيق– : الإنسانُ خُلِقَ على فطرة التوحيد والإسلام[٢] ، ولو تُرِكَتْ هذه الفطرة بعيدة عن المؤثّرات ، لاستمرّ صاحبُها على لزومها .

وإذا تدخّـــلت المؤثّرات في هذه الفطرة ، فإنّها قد تنحرف عن الخطّ المستقيم ، وعن الهدي الربانيّ ، إذا تضافر لذلك جملة من عوامل الانحراف .

وإذا وُجِدَ الانحراف ، فإنّه سيأخذ صوراً ثلاثة ، هي :

١- الشرك .

٢- الكفر .

٣- النفاق .

ولنا وقفات مع كلّ واحد من هذه الانحرافات في الفصول القادمة إن شاء الله ..

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوّة في الإسلام . وصحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين .

(٢) انظر ص ٤٩-٥١ من هذا الكتاب .

الفصل الأوّل

الشركُ ، وأنواعه

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : معنى الشرك .

المبحث الثاني : أنواع الشرك .

المبحث الثالث : وسائل الشرك المنافية للتوحيد ، أو لكماله .

المبحث الأول
معنى الشـرك

معنى الشـرك لغةً :

الشرك في اللغة : اسمٌ للشيء الذي يكون بين أكثر من واحدٍ، بحيث لا ينفرد به أحدهم . تقول : قد اشترك الرجلان، وتشاركا، وشارك أحدهما الآخر. وتقول: اشتركنا وتشاركنا في كذا . ورغبنا في شرككم ، أي في مشاركتكم . وشَرَكَهُ في الأمرِ يُشْرِكُهُ ، إذا دخل معه فيه . وأشْرَكَ بالله : جَعَلَ له شريكاً ، فهو مشرك[١] .

معنى الشرك في الشرع :

يُعَرَّف الشركُ شرعاً بأنّه : "صرفُ حقٍّ من حقوق الله لغيره"[٢] ، أو "مساواة غير الله بالله فيما هو حقٌّ لله"[٣] .

وحقُّ الله : كُلُّ ما لا يقدر عليه إلا الله ، فلا يُطلب إلا منه ﷻ. فإذا طُلِب من غيره ، كان صرفاً لخصائص الله لغيره[٤] ؛

فمـــن صرف شيئاً من أسماء الله وصفاته –التي تُثبَتُ لله على ما يليق به– لغير الله ، أو صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله ، أو اعتقد أنَّ هناك ربًّا ومدبِّراً غير الله ، أو صَرَفَ شيئاً من خصائص الربوبيَّة لغير الله ﷻ فقد جعل ذاك الذي صَرَفَ له شريكاً لله ﷻ[٥] .

---

(١) انظر : أساس البلاغة للزمخشري ص ٣٢٨ . وتهذيب اللغة للأزهري ١٠/١٦ . والقاموس المحيط للفيروزآبادي ص ١٢٢٠. ولسان العرب لابن منظور ١٠/٤٤٨. وتاج العروس للزبيدي ٧/١٤٨ .

(٢) أضواء البيان للشنقيطي ٣/٦١٤ .

(٣) شرح نواقض التوحيد لحسن بن علي عواجي ص ١٣ .

(٤) انظر أضواء البيان للشنقيطي ٣/٦١٤ .

(٥) انظر الأسئلة والأجوبة في العقيدة للشيخ صالح الأطرم ص ٢٨ .

المبحث الثاني

أنواع الشـرك

تمهيد : الشـرك قد يكون أكبر ، وقد يكون أصغر ، وهو "ينقسم ثلاثة أقسام ، بالنسـبة إلى أنواع التوحيد ، وكلٌّ منها قد يكون أكبر وأصغر مطلقاً ، وقد يكون أكبر بالنسبة إلى ما هو أصغر منه ، ويكون أصغر بالنسبة إلى ما هو أكبر منه"(١) .

يقول الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي : "الشرك نوعان : أكبر وأصغر . فمن خلص منهما ، وجبت له الجنَّة ، ومن مات على الأكبر وجبت له النَّار ، .... فالشرك الأكبر : كالسجود ، والنذر لغير الله ، والأصغر : كالرياء ، والحلف بغير الله إذا لم يقصد تعظيم المخلوق كتعظيم الله"(٢) .

فالشـرك –إذاً– نوعان : أكبر ، وأصغر .

ولكي يكون المسلم على حذرٍ من الوقوع في أيٍّ منهما ، وحتَّى لا يحكم بالشرك على من لم يقع فيه ، فلا بُدَّ له من معرفة الفرق بين النوعين ، **ومن هذه الفروق** (٣) :

١- الأكبر كفرٌ، والأصغر أكبرُ الكبائر بعد الشرك الكبر .

٢- الأكبر يُخرِج صاحبه من الملَّة، والأصغر لا يُخرجه، وهو يتنافى مع كمال التوحيد.

٣- الأكبر محبطٌ للأعمال كلِّها ، والأصغر يُحبط ما خالط أصله ، أو غلب على العمل .

٤- الأكبر موجبٌ للخلود في النَّار ؛ فصاحبه إن مات عليه، فهو خالدٌ مخلَّدٌ في النَّار أبداً ، والأصغر لا يُوجب ذلك ، فإن دخلها فهو كسائر مرتكبي الكبائر .

٥- الأكبر يحلّ النفوس والأموال ، والأصغر لا يحلّ ذلك .

٦- الأكبر لا يُغفر لصاحبه إن مات عليه، والأصغر يُدخل صاحبه تحت الموازنة؛ فإن حصل معه حسنات راجحة على ذنوبه دخل الجنَّة، وإلا دخل النَّار، ومآله الخروج منها .

وبيان نَوْعَي الشـرك يُمكن في المطلبين التاليَيْن :

---

(١) تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبدالله ص ٤٣ .

(٢) تطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران لأحمد آل بو طامي ص ٣٨-٣٩ .

(٣) انظر هذه الفروق في الكتب التالية : شرح نواقض التوحيد لحسن عواجي ص ٢٦ . والأسئلة والأجوبة في العقيدة للشيخ صالح الأطرم ص ٣٠ . والمجموع الثمين للشيخ ابن عثيمين ٢/٣٢-٣٣ . والإخلاص والشرك الأصغر لعبدالعزيز العبداللطيف ص ٣٤-٣٨ . وبعض أنواع الشرك الأصغر للدكتور عواد المعتق ص ١٤-١٥ . والدين الخالص لصديق حسن خان ١/٣٣٨ .

المطلب الأول

الشرك الأكبر

أولاً : تعريف الشرك الأكبر : يُعرَّف الشرك الأكبر بأنّه: إثبات شريك لله ﷻ في خصائصه ؛ فيجعل الإنسان ندًّا لله في ربوبيّته ، أو في أُلوهيّته ، أو في أسمائه وصفاته[١] .

ثانياً : حكم الشرك الأكبر ، مع الدليل :

١- الشرك الأكبر يُخرج من الملّة ، وصاحبه حلال الدم والمال . يقول الله ﷻ عن المشركين : ﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة:٥]، ويقول عنهم: ﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة:١١] ، ويقول رسول الله ﷺ : "أُمِرْتُ أن أُقاتل النَّاس حتَّى يشهدوا أنْ لا إله إلا الله وأنَّ محمَّداً رسول الله، ويُقيموا الصلاة، ويُؤتوا الزكاة. فإذا فعلوا ذلك عَصَمُوا منّي دماءهم إلا بحقّ الإسلام، وحسابهم على الله"[٢] .

٢- الشرك الأكبر يُحبط جميع العمل . يقول الله ﷻ : ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام:٨٨]. ويقول سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر:٦٥] .

٣- الشرك الأكبر لا يُغفر لصاحبه إن مات عليه. يقول الله ﷻ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء : ٤٨ ، ١١٦] . أمَّا إن تاب قبل الموت ، فإنّ الله يتوب عليه ، كما قال سبحانه : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال:٣٨] .

٤- صاحب الشرك الأكبر في الآخرة خالدٌ مخلّدٌ في النّار . يقول الله ﷻ : ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة: من الآية ٧٢] .

---

(١) انظر : معارج القبول للشيخ حافظ الحكمي ٤٨٣/٢ . وفتاوى اللجنة الدائمة ٥١٦/١-٥١٧ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب : فإن تابوا وأقاموا الصلاة . وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال النّاس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله . واللفظ للبخاري .

ثالـثاً : أقسام الشرك الأكبر : ينقسـم الشـرك الأكبر إلى ثلاثة أقسام بالنسبة إلى أنواع التوحيد :

١- شركٌ في الربوبيَّة .

٢- شركٌ في الأسماء والصفات .

٣- شركٌ في الألوهيَّة .

وبيان هذه الأقسام يُمكن في المسائل التالية :

المسألة الأولى

من أقسام الشرك الأكبر : الشرك في الربوبيَّة

الشرك في الربوبيَّة أحد أقسام الشرك الأكبر ، وهو شركٌ يتعلَّق بذات الله ﷻ .

أولاً : تعريفـه : هـو صرف خصائص الربوبيَّة كلِّها ، أو بعضُها لغير الله ﷻ ، أو تعطيله ﷻ عنها بالكليَّـة .

وخصائص الربوبيَّة هي: التفرُّد بالخَلْق، والرِّزق، والإحياء، والإماتة، والإعطاء، والمنع ، والضرّ ، والنفع ، وغير ذلك .

ثانياً : نوعـاه : الشرك في الربوبيَّة نوعان ؛ شرك تعطيل ، وشرك تمثيل .

١- شرك التعطيل :

تعـريفه : هو تعطيل المصنوع عن صانعه ، وتعطيل الصانع عن أفعاله .

ويكون ذلك بتعطيل خصائص الربوبيَّة، وإنكار أن يكون الله ربّ العالمين[1] .

ومن الأمثلة عليه[2]: شرك فرعون الذي عطَّل الربوبيَّة ظاهراً؛ ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشـعراء:٢٣] ، وقال لهامان : ﴿ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ﴾ [غافر:٣٦-٣٧] .

ومن هذا الشرك[3] : شرك أهل وحدة الوجود؛ "كابن عربي، وابن سبعين، وغيرهم"، الذين يقولون : إنّ الخالق عين المخلوق ؛ فعطَّلوا الله ﷻ عن أن يكون ربّ العالمين ، ولم يُفرِّقوا بين ربٍّ ، وعبدٍ .

---

(١) انظر الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم ص ٢٣١ .

(٢) انظر تجريد التوحيد المفيد للمقريزي ص ٦٩ .

(٣) انظر الدين الخالص لصديق حسن خان ٣١٥/١ .

٢- شرك التمثيل :

تعـــريفه : هو التسوية بين الله وخلقه في شيء من خصائص الربوبيَّة ، أو نسبتها إلى غيره ﷻ[١] .

ومـــن الأمثلة عليه[٢] : شرك النَّصارى الذين اتخذوا معه أرباباً ، فجعلوه ثالث ثلاثة ؛ وشرك المجوس القائلين بأنَّ للعالم ربَّين أحدهما خالق للخير ، والآخر خالق للشرّ؛ وشرك الصابئة الذين زعموا أنَّ الكواكب هي المدبّرة لأمـــر العالم ؛ وشرك القدرية "مجوس هذه الأمَّة" القائلين بأنَّ كلّ إنسان يخـــلق فعل نفسه ؛ وشرك عبَّاد القبور الذين يزعمون أنَّ أرواح الأولياء تتصـــرَّف بعد الموت ، فتقضي الحاجات ، وتُفرِّج الكُرُبات ، وتنصر من دعاها، وتحفظ من لاذ بحماها . ومثلهم مزاعم غلاة الصوفيَّة في الأولياء : أنَّهم ينفعون ، ويضرُّون ، ويتصرَّفون في الأكوان .. إلخ .

المسألة الثانية

من أقسام الشرك الأكبر : الشرك في الأسماء والصفات

أولاً : تعريفـــه : هو التسوية بين الله والخلق في شيء من الأسماء والصفات؛ بأن يجعل لله ﷻ نـــدًّا في أسمائه وصفاته ؛ فيُسمِّيه بأسماء الله ، أو يَصفُه بصفاته[٣] .

ثانياً : نوعـــاه : الشرك في الأسماء والصفات نوعان ؛ شرك تشبيه ، وشرك اشتقاق .

١- شرك التشبيه :

تعريفه : هو أن يُثْبَتَ لله تعالى في أسمائه وصفاته من الخصائص ، مثل ما يُثْبَتَ للمخلوق من ذلك[٤] .

ومن الأمثلة عليه : قول القـــائل : إنّ يديّ الله مثـــل أيدي المخلوقين ، واستواءه على عرشه كاستوائهم ، ونحو ذلك[٤] .

---

(١) انظر المدخل لدراسة العقيدة الإسلاميَّة للدكتور إبراهيم البريكان ص ١٤٧ .

(٢) انظر : تجريد التوحيد المفيد للمقريزي ص ٥٥-٥٧ ، ٧٠ . والجواب الكافي لابن القيم ٢٣١-٢٣٢ . وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ٣٨/١ . وتوحيد الربوبيَّة لمحمد إبراهيم الحمد ص ٢١-٢٥ .

(٣) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة ٥١٦/١ . والمدخل لدراسة العقيدة الإسلاميَّة للبريكان ص ١٤٧ .

(٤) انظر فتح ربّ البرية بتلخيص الحموية للشيخ ابن عثيمين ص ٢٠-٢١.

٢- شرك الاشتقاق :

تعريفه : هو أن يُشتقّ من أسماء الله ﷻ المختصَّة به اسماً، ويُسمَّى به غيره.

وهذا من الإلحاد في أسمائه ﷻ [١] .

ومن الأمثلة عليه : ما فعله المشركون من اشتقاق أسماء لآلهتهم الباطلة من أسماء الإله الحقّ ﷻ . يقول تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠]، فـ"يُلْحِدُونَ" : أي يُشركون[٢]، قال ابن عباس –رضي الله عنهما- : "اشتقُّوا العُزَّى من العزيز ، واشتقُّوا اللاتَ من الله"[٣] .

المسألة الثالثة

من أقسام الشرك الأكبر : الشرك في الألوهيَّة والتعبُّد

أولاً : تعريفــه : هو أن يُجعَلَ لله ندٌّ في العبادة، أو في التشريع ؛ فيَصرفَ العبدُ لغير الله شيئاً مــن أنواع العبادة التي تُصرَف لله ، أو يتَّخذَ غيره مُشرِّعاً من دونه ، أو شريكاً له ﷻ في التشريع[٤] .

ثانياً : أنواعــه : الشرك في الألوهيَّة والتعبُّد على أنواع ، منها :

١- شرك الدعاء .

٢- شرك الشفاعة .

٣- شرك النيَّة والإرادة والقصد .

٤- شرك الطاعة .

٥- شرك المحبَّة .

٦- شرك الخوف .

---

(١) انظر فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلميَّة والإفتاء ٥١٦/١ .

(٢) أخرجه عبد الرزاق، وعبد بن حميد ، وابن جرير عن قتادة بن دعامة السدوسي . (انظر الدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي ٢٧٢/٣ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ، عن ابن عباس . (الدر المنثور ٢٧١/٣) .

(٤) انظر فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلميَّة والإفتاء ٥١٦/١ .

من أنواع الشرك في الألوهيّة والتعبُّد

أولاً : شرك الدعاء

أولاً : تعريفــه : هو دعاءُ غيرِ الله ؛ من الأنبياء ، والأولياء ، وغيرهم ، **فيما لا يقدر عليه إلاّ الله** ﷻ ؛ فمن دعا ، أو استغاث[١] ، أو استعان[٢] ، أو استعاذ بغير الله ، فيما لا يقــدر عليه إلا الله ؛ من طلب رزق ، أو شفاء مريضٍ ، أو إحياء ميت ، أو غير ذلك ، فقد أشرك مع الله غيرهُ ، سواء أكان ذلك الغير نبيًّا ، أو وليًّا ، أو جنيًّا ، أو غير ذلك من المخلوقات[٣] .

يقول العلامة ابن القيم مُعدِّداً أنواع الشرك الأكبر : "ومن أنواعه : طلب الحوائـــج من الموتى ، والاستغاثة بهم ، والتوجّه إليهم . وهذا أصل شرك العالم ؛ فإنّ الميت قــد انقطع عمله ، وهو لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعاً ، فضلاً عمَّن استغاث به ، وسأله قضاء حاجته .."[٤] .

ثانياً : من الأدلّة على أنّ دعاء غير الله شركٌ :

١- قــول الله ﷻ : ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٧] ؛ فهذا سيقدم على ربِّه ، فيُجازيه بأعماله ، ولا يُنيله من الفلاح شيئاً ، لأنّه كافر[٥] .

٢- قــول الله ﷻ : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾ [الزمر:٨] ؛ فلا يُغنيك ما تتمتَّع به ، إذا كان المآل النَّار[٦] .

---

(١) اســتغاث : أي طَلَبَ الغــوثَ ؛ وهو إزالة الشِّدة . والفرق بينها وبين دعا ؛ أنّ الاستغاثة تكون من المكروب ، والدعاء يكون من المكروب وغيره . (انظر تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان ص ٢١٤) .

(٢) الاستعانة : طلب العون . وقد تكون في جلب منفعة ، أو دفع مضرّة .

(٣) انظر : تيسير ذي الجلال والإكرام للقحطاني ص ٢٦ . وبيان الشرك ووسائله عند علماء الحنابلة لمحمد ابن عبدالرحمن الخميس ص ١٤ .

(٤) مدارج السالكين لابن القيم ٣٧٥/١ .

(٥) انظر تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٣٨٦/٥ .

(٦) انظر المرجع نفسه ٤٥٣/٦ .

ثالثاً : نوعـاه : قبل التعرُّض لنوعَي الشرك في الدعاء ، يُستحسن ذكر نوعَي الدعاء ؛ لأنَّ الشرك يقع فيهما ؛ فالدعاء نوعان : دعاء مسألة وطلب ، ودعاء عبادة وثناء[1] . وفي النوعين طلب التوصُّل والتقرُّب إلى الله ﷻ ؛ سواء أكان على وجه السؤال لله ﷻ ، والاستعاذة به ، رغبةً إليه في جلب المنافع ودفع المضارّ، وهذا دعاء المسألة والطلب. أم كان على وجه عبادته ﷻ ، وطاعته ، وامتثال أمره ، والانتهاء عن نهيه ، وهذا دعاء العبادة والثناء[2].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن هذين النوعين : "إنَّ المعبود لا بُدَّ أن يكون مالكاً للنفع والضرّ ؛ فهو يُدعى للنفع والضرّ دعاء مسألة ، ويُدعى خوفاً ورجاء دعاء العبادة . فعُلِمَ أنَّ النوعين متلازمان"[3] ؛ فمن صلّى ، أو صام ، أو توجَّه إلى الله ﷻ بنوعٍ من أنواع العبادة ، "فقد دعا ربَّه بلسان الحال أن يغفر له، وأن يُجيره من عذابه، وأن يُعطيَه من نواله"؛ ومن دعا الله ﷻ وسأله دعاء طلب ومسألة، فهو راجٍ له، خائف منه[4] .

والله ﷻ يقول : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر:٦٠] ؛ فجعل سبحانه الدعاء عبادة .

والآن ، وبعد أن عرَفنا نوعَي الدعاء ، نقول : إنَّ شرك الدعاء يقع في هذين النوعين؛ إمَّا شركٌ في المسألة والطلب ، أو شرك في العبادة والثناء .

رابعاً : كيف يقع الشرك في هذين النوعين ؟

إذا توجَّه الإنسان بواحد من هذين النوعين لأحدٍ غير الله ﷻ ؛ فقد أشرك .

فيقع الشرك في النوع الأول ؛ دعاء العبــادة ؛ إذا صَرَف العبد شيئاً من العبادة لغير الله ﷻ ، يقول فضيلة الشيخ محمَّد بن صالح العثيمين :"فمن صَرَف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله فقد كفر كُفراً مُخرجاً عن الملَّة ؛ فلو ركع

---

(١) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية ٧٧٨/٢ . وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ص ٢٢٣ .

(٢) انظر اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ٧٧٨/٢ .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٥/١٠-١١ .

(٤) انظر فتاوى العقيدة للشيخ ابن عثيمين ص ٣٩٨ .

إنسانٌ ، أو سَجَدَ لشيء يُعظِّمُه كتعظيم الله في هذا الركوع أو السجود ، لكـان مُشركاً خارجاً عن الإسلام"[١]. ويقول الإمام أحمد بن علي المقريزي : "فالشرك به في الأفعال : كالسجود لغيره سبحانه ، والطواف بغير البيت المحرَّم ، وحلْق الرأس عبوديَّة وخضوعاً لغيره ،.."[٢] ؛ لأنَّ ذلك من خصائص الألوهيَّة ؛ فمن سجد لغيره ﷻ ، أو صرف له لوناً من ألوان العبادة فقد جعله لله ندًّا[٣]. كذا لو ذبح لغير الله تعظيماً له، وتقرُّباً إليه، فقد أشرك شركاً أكبر؛ لأنَّ الذبح عبادة أمر الله ﷻ بها في قوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ [الكوثر:٢][٤] .

ويقع الشرك في النوع الثاني؛ دعاء المسألة والطلب ، إذا كان المدعو ميتاً، أو كان السؤال في شيء لا يقدر عليه إلا الله ﷻ ؛ فلو "كان المدعو حيًّا قادراً على ذلك فليس بشرك؛ كقولك : اسقني ماء لمن يستطيع ذلك"[٥]. أمَّا "إن كان المدعو ميتاً ، فإنَّ دعاءه شركٌ مخرجٌ عن الملَّة"[٦] .

على هذا، يُقال : ليس دعاء المسألة والطَلب كلُّه شركاً ، بل دعاء الإنسان لغيره ينقسم إلى ثلاثة أقسام[٧] : الأول : أن يدعو مخلوقاً بأمرٍ من الأمور التي يُمكن أن يُدركَها بأشياء محسوسة معلومة ؛ كسؤال الفقير. فهذا جائز . والـثاني : أن تدعو مخلوقاً مطلقاً –سواء كان حيًّا أو ميتاً– فيما لا يقدر عليه إلا الله ؛ مثل : يا فلان ! اجعل ما في بطن امرأتي ذكراً . فهذا شركٌ أكبر ؛ لأنَّ هذا من فعل الله ﷻ الذي لا يستطيعه البشر، ولا يقدرون عليه . والثالث: أن تدعو مخلوقاً لا يُجيب بالوسائل الحسيَّة المعلومة؛ كدعاء الأموات؛ فهذا شرك أكبر أيضاً ؛ لأنَّ هذا لا يقدر عليه المدعو . ولا يقع مثل هذا النوع من الدعاء إلا إذا اعتقد الداعي في المدعو شيئاً سريًّا يُدبِّر به الأمور .

---

(١) فتاوى العقيدة لابن عثيمين ص ٣٩٨ .

(٢) تجريد التوحيد المفيد للمقريزي ص ٥٨-٥٩ .

(٣) انظر المصدر نفسه ص ٧٣ .

(٤) انظر المجموع الثمين من فتاوى الشيخ ابن عثيمين ١٤٨/٢-١٤٩ .

(٥) فتاوى العقيدة لابن عثيمين ص ٣٩٨ .

(٦) المرجع نفسه ص ٣٩٩ .

(٧) انظر المرجع نفسه ص ٣٩٣ .

من أنواع الشرك في الألوهيّة والتعبُّد

ثانياً : شرك الشفاعة

تمهيـد : هذا اللون من الشرك نتيجة لازمة لشرك العبادة –أحد نوعَيْ شرك الدعاء– ؛ فمن صرّف شيئاً من العبادة لغير الله ﷻ، فهو إنَّما يفعل ذلك كي يشفع له هذا الغير عند الله ﷻ ، في التجاوز عن الذنوب والسيئات ، أو في تحقيق الآمال ، ونيل الرغبات ، ظنًّا منه أنّ الأصنام ، أو الأولياء ، أو غيرهم يملكون الشفاعة .

أولاً : تعريف الشفاعة : تُعرَّف الشفاعة بأنّها انضمام شيء إلى آخر، ناصراً له، وسائلاً عنه[١] ؛ فهي مأخوذة من شَفَعَ الشيءَ شَفْعاً ، إذا ضمَّ مثلَه إليه، وجعله زوجاً[٢] .

ثانياً : الشفاعة المعنية هاهنا : الشفاعة المرادة هنا هي تلك التي تتعلّق بالآخرة ؛ كطلب الشفيع مغفرة ذنوب المشفوع له ، أو التجاوز عن سيئاته ، أو غير ذلك .

ثالثاً : كيف يقع شرك الشفاعة ؟ يقع هذا الشرك إذا اتّخذ العبد من دون الله أنداداً، فصرف لهم نوعاً من أنواع العبادة ، أو كلّها ، وتوجّه لهم ، وتقرَّب بعبادتهم إلى الله ، زاعماً أنّ معبوداته هذه تشفع له عند الله ، وتُقرِّبه منه زُلفى .

رابعاً : من أدلّة هذا النوع :

١- قول الله ﷻ : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس:١٨] ؛ فحكَم الله ﷻ بالشرك على مَنْ عَبَدَ الشفعاء ، أو دعاهم بقصد الشفاعة[٣] .

٢- قول الله ﷻ : ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ * قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزمر:٤٣-٤٤]؛ فنفى ﷻ أن تشفع لهم هذه الأنداد عند الله، وأخبر أنّ الشفاعة لله وحده؛ فلا يشفع أحدٌ عنده إلا بإذنه .

٣- قـــول الله ﷻ ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾[الزمر:٣]؛ فكذَّبهم وكفَّرهم بذلك[٤] .

---

(١) انظر : الدين الخالص لصديق حسن خان ١٧١/٢ .

(٢) انظر المعجم الوسيط لجماعة من المؤلفين ٤٨٧ .

(٣) انظر تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله ص ٢٧٦ .

(٤) انظر مدارج السالكين لابن القيم ٣٦٩/١ .

٤- قول الله ﷻ : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾[سبأ:٢٢] ؛ فقطع الله الأسباب التي يتعلّق بها المشركون قطعاً؛ لأنَّ المشـرك "إنَّما يتخذ معبوده لما يعتقد أنه يحصل له به من النفع . والنفع لا يكون إلا ممَّن فيه خصلة من هذه الأربع : إمَّا مالكٌ لما يُريد عابده منه، فإن لم يكن مالكاً ، كان شريكاً للمالك ، فإن لم يكن شريكاً له ، كان معيناً له وظهيراً، فإن لم يكن معيناً ولا ظهيراً، كان شفيعاً عنده ؛ فنفى سبحانه المراتب الأربع نفياً مرتّباً منتقلاً من الأعلى إلى ما دونه ؛ فنفى الملك ، والشركة ، والمظاهرة ، والشفاعة التي يظنّها المشرك ، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك ، وهي الشفاعة بإذنه"[1] .

خامساً : **ما هي الشفاعة التي يقبلها الله ﷻ ؟** الشفاعة التي تقدَّمت هي الشفاعة الشركيّة التي في قلوب المشـركين المتّخذين من دون الله شفعاء ، وهي التي نفاها الله ﷻ . ولكـنَّه ﷻ لم ينفِ الشفاعة مطلقاً ، بل أخبر أنّ هناك شفاعة مقبولة عنده ؛ وهي الشـفاعة الصادرة عن إذنه ، لمن وحَّده . فالشفاعة التي يقبلها ﷻ هي التي جمعت شرطين: **أحدهما**: إذنه ﷻ بالشفاعة؛ لأنَّ الشفاعة كلَّها له وحده ، كما قال : ﴿ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً ﴾ [الزمر:٤٤]، وقال: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة:٢٥٥]؛ فلا يشفع أَحَدٌ؛ لا مَلَكٌ مقرَّب، ولا نبيّ مرسل إلا بإذنه ﷻ . **والشرط الثاني** : أن يرضى ﷻ عن المشفوع فيه . وهذا يتطلّب أن يكون من أهل التوحيد الذين لم يتخذوا من دون الله شفعاء، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ﴾ [الانبياء:٢٨]، وكما قال رسول الله ﷺ: "أسعدُ النّاس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه"[2]؛ فشفاعته ﷺ -بعد إذن الله ﷻ له بها- لا ينالها إلا أهل التوحيد الخالص. وهذا عكس ما عند المشركين الذين زعموا أنَّ الشفاعة تُنال باتخاذهم أولياءهم شـفعاء ، وعبادتهم وموالاتهم من دون الله[3] .

فالشفاعة المثبتة المقبولة -إذاً- هي التي جمعت شرطين ؛ إذن الله ﷻ للشافع أن يشفع، ورضـاه ﷻ عن المشفوع . يقول ﷻ : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ [النجم:٢٦] .

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم ٣٧٢/١. وانظر تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله ص ٢٨٥.

(٢) تقدَّم تخريجه ص ٧٤ من هذا الكتاب .

(٣) انظر مدارج السالكين لابن القيم ٣٦٩/١-٣٧٠ .

من أنواع الشرك في الألوهيَّة والتعبُّد

ثالثاً : شرك النيَّة والإرادة والقصد

أولاً : المراد بهذا النوع : هو أن ينوي العبدُ ويُريد ويقصد بعمله جملةً وتفصيلاً غير الله ﷻ .

أو هو العمل الصالح للدنيا فقط. أو هو الذي يعمل العمل من غير إيمان ، أو كان غرضه وهدفه الحياة الدنيا فقط[١] ؛ فمن كان غرضه الدنيا لا غير، لا يُريد إلا إيَّاها، ولا يُحبّ ولا يُبغض إلا من أجلها، ولا يُوالي ولا يُعادي إلا عليها، فليس له في الدنيا إلا ما قُدِّر له ، وهو في الآخرة من أهل النَّار .

ثانياً : دليل هذا النوع : يدلّ على هذا النوع قول الله ﷻ : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[هود:١٥-١٦]؛ فهؤلاء لم يعملوا إلا للحياة الدنيا وزينتها فقط ، فليس لهم في الآخرة ثواب ؛ لأنَّهم لم يُريدوا بعملهم الآخرة ، وإنَّما أرادوا الدنيا[٢] .

من أنواع الشرك في الألوهيَّة والتعبُّد

رابعاً : شرك الطاعة

تمهيد : سبق أن ذكرنا أنَّ توحيد الألوهيَّة يعني : إفراد الله ﷻ بالعبادة[٣] . ومن العبادة : "الخضوع له ﷻ في الحكم، وتنفيذ أوامره ظاهراً وباطناً"[٤]؛ كما قال ﷻ: ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف:٤٠]؛ فالحكم حق له. ولايتمّ الإيمان إلا بتحكيم شرع الله ﷻ، كما قال : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥] .

---

(١) انظر : تجريد التوحيد للمقريزي ص ٦٧ . وتيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبدالله ص ٥٣٧ . وبيان الشرك ووسائله عند علماء الحنابلة للخميس ص ١٤ .

(٢) انظر : تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبدالله ص ٥٣٥ . وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن ص ٥٤٠ .

(٣) انظر ص ٥٩ من هذا الكتاب .

(٤) أضواء البيان للشنقيطي ٣٩٦/١-٣٩٧ .

أولاً : تعريفه : يُعرَّف شرك الطاعة بأنَّه : مساواة غير الله بالله في التشريع والحكم[١] . أو طاعة العلماء والأمراء في المعصية ، مع استحلال ذلك[٢] ؛ فكلّ من أطاع مخلوقاً في تحريم الحلال، أو تحليل الحرام، فهو مشركٌ شرك طاعة. يقول الشيخ محمَّد الأمين الشنقيطي رحمه الله : "إنّ الذين يتّبعون القوانين الوضعيَّة التي شرعها الشيطان على ألسنة أوليائه مخالفة لما شرعه الله جلّ وعلا على ألسنة رسله صلوات الله وسلامه عليهم ، أنه لا يشكّ في كفرهم وشركهم إلا من طَمَسَ الله بصيرته ، وأعماه عن نور الوحي مثلهم"[٣] .

ثانياً : من أدلّة هذا النوع : يدلّ لهذا النوع أدلّة كثيرة ، منها :

١- قول الله ﷻ : ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١] ؛ فهؤلاء اتّخذوا علماءهم ، ومشايخهم وقُرَّاءهم سادةً لهم من دون الله ، يُطيعوهُم في معاصي الله ، فيُحلّون ما أحلّوه لهم ممَّا قد حرَّمه الله عليهم ، ويُحرِّمون ما يُحرِّمونه عليهم ، ممَّا قد أحلَّه الله لهم[٤] .

٢- عن عديّ بن حاتم ﷺ أنّه سمع رسول الله ﷺ يقرأ هذه الآية : ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة:٣١] ، فقال لرسول الله ﷺ : إنَّا لسنا نعبُدهم ! قال ﷺ : "أليس يُحرِّمون ما أحلّ الله فتُحرِّمونه، ويُحلُّون ما حرَّم الله فتُحلّونه"؟ قال عديّ : بلى. فقال رسول الله ﷺ : "فتلك عبادتُهم"[٥] .

٣- قول الله ﷻ : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء:٦٠] ؛ فسمَّى سبحانه الاحتكام إلى غير شرعه تحاكماً إلى الطاغوت[٦] .

---

(١) انظر المدخل لدراسة العقيدة الإسلاميَّة للبريكان ص ١٥٥ .
(٢) انظر : فتح المجيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن ص ٥٥٣ . وبيان الشرك ووسائله عند علماء الحنابلة للخميس ص ١٥ .
(٣) أضواء البيان للشنقيطي ٤/٨٣-٨٤ .
(٤) انظر جامع البيان للطبري ٦/٣٥٤ .
(٥) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح ، كتاب التفسير ، باب : ومن سورة التوبة . وحسَّنه .
(٦) انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن ص ٥٦٧ .

٤- قـول الله ﷻ : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥] ؛ فنفى ﷻ الإيمان عن المعرضين عن الاحتكام إلى شرعه، وأقسم بنفسه ﷻ أنّه لن يؤمن أحدٌ حتى يحكم بما جاء به الرسول ﷺ، وحتى ينتفي عن صدره الضيق والحرج من ذلك .

ثالثاً : من الأمثلة على هذا النوع :

١- الطاعة في تحكيم القوانين الوضعيَّة بدلاً من الشريعة الإسلاميَّة ، والاحتكام إليها .

٢- الطاعة في تحليل ما عُلِم تحريمه من دين الإسلام بالضرورة؛ مثل الربا، والزنا، والتبرّج، والسفور ، والقمار ، ونحو ذلك من سائر المعاملات المنصوص على تحريمها ، ولا مجال للاجتهاد فيها .

٣- الطاعة في تحريم ما أحلّ الله وأباحه ؛ مثل أكل اللحوم ، وتعدُّد الزوجات ، والملكيَّة الفرديَّة ، وغير ذلك .

وعن هذه الأمثلة يقول الشيخ الشنقيطي رحمه الله : "الحلال هو ما أحلَّه الله ، والحرام هو ما حرَّمه الله ، والدين هو ما شرعه الله . فكلّ تشريع من غيره باطل ، والعمل به بدل تشريع الله -عند من يعتقد أنّه مثله ، أو خير منه- ، كفرٌ بواح ، لا نزاع فيه"[١] .

خاتمة لهذا النوع : علماء الأمَّة الإسلاميَّة اتفقوا على أنَّ الحكم لله ﷻ وحده ؛ لأنّه المالك للخلق وحده، فله الحكم والأمر فيهم بما شاء . يقول الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله : "... أمَّا استحقاق نفوذ الحكم ، فليس إلا لمن له الخلق والأمر . فإنَّما النافذ حكم المالك على مملوكه، ولا مالك إلاّ الخالق ﷻ، فلا حكمَ ولا أمرَ إلا له . أمَّا النبيّ ﷺ ، والسلطان ، والسيِّد، والأب ، والزوج ، فإذا أمروا وأوجبوا ، لم يجب شيءٌ بإيجابهم ، بل بإيجاب الله تعالى طاعتهم ، لولا ذلك لكان كلّ مخلوقٍ أوجب على غيره شيئاً ، كان للموجَب عليه أن يقلبَ عليه الإيجاب ؛ إذ ليس أحدهما أولى من الآخر . فإذاً : الواجب طاعة الله تعالى ، وطاعة من أوجب الله طاعته"[٢] .

---

(١) أضواء البيان للشنقيطي ١٦٢/٧ .

(٢) المستصفى لأبي حامد الغزالي ٨٣/١ .

من أنواع الشرك في الألوهيَّة والتعبُّد

خامساً : شرك المحبَّة

تمهيـــد : سبق أن ذكـــرنا أنَّ العـــبادة تقوم على ثلاثة أركان ، أحدها المحبَّة[١] . وهي محبَّة العبوديَّة التي تستلزم الذلّ لله، والخضوع له، وتعظيمه، وكمال طاعته، وإيثاره على غيره ﷻ .

وهذه المحبَّة هي المحبَّة الواجبة ؛ إذ المحبَّة ثلاثة أنواع ..

أولاً : أنواع المحبَّة : المحبَّة ثلاثة أنواع :

١- محبَّة واجبة : وهي التي سبقت الإشارة إليها ؛ محبَّة طاعة الله ، والانقياد له[٢] ؛ و"هي محـــبَّة العبوديَّة المستلزمة للذلّ والخضوع ، وكمال الطاعة ، وإيثار المحبوب على غيره . فهذه المحبَّة خالصة لله ، لا يجوز أن يُشرَك معه فيها أحد"[٣] .

٢- محبَّة محرَّمة، أو شركيَّة : وهي صرف تلك المحبَّة الواجبة لله ﷻ ، إلى غيره ؛ فمن أحبَّ غير الله حبَّ ذلٍّ وخضوع، فقدَّم طاعته على طاعة الله ، وآثر محابّه على محابّ الله، فقد جعله ندًّا لله . وعنها يقول شيخ الإسلام محمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله : "إنَّ من اتخذ ندًّا تُساوي محبَّته محبَّة الله ، فهو الشرك الأكبر"[٤] . وهذه المحبَّة : قليلُها وكثيرُها يُنافي محبَّة الله ورسوله ﷺ[٥] .

٣- محبَّة طبيعيَّة ، أو جبلِّيَّة : وهذه مباحة ، ما لم تصل إلى تعظيم المحبوب إلى الحدّ الذي لا يليق إلا بالله ﷻ. ومن أمثلة هذه المحبَّة : حبّ الإنسان لوطنه ، والوالد لولده، والزوج لزوجه، وذي المال لماله ، وغير ذلك . وعنها يقول مولانا ﷻ : ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران:١٤] .

ثانياً : كيف يقع الشرك في المحبَّة ؟ تقدَّم أنَّ الإنسان إذا صَرَفَ المحبَّة الواجبة لله ﷻ ، لغير الله ﷻ ، فقد أشرك في المحبَّة .

---

(١) انظر ص ٩٧ من هذا الكتاب .

(٢) انظر : الوسيط في تفسير القرآن للواحدي ١٣٦/١ . والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للفوزان ص ٧٤ .

(٣) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للشيخ صالح الفوزان ص ٧٤ .

(٤) انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن ص ٤٨٧ .

(٥) انظر المرجع نفسه ص ٤٧٨ .

ثالـثاً : دليل هذا النوع : من الأدلّة على هذا النوع : قول الله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[البقرة: من الآية١٦٥] . وقد تقدَّم معناها(١) .

شبهة ، والردّ عليها : يعترض بعض الواقعين في هذا النوع من الشرك : بأنّهم يُحبُّون الله حبًّا شديداً ، ربَّما أشدّ من حبِّهم لأندادهم ، فأين الشرك في ذلك ؟ .

وعـــلى شُبهتهم هذه ردَّ العلامة ابن القيم رحمه الله بقوله : "وترى المشركَ يُكذِّب حالُه وعمـــلُه قولَـــه ؛ فإنه يقول : لا نحبّهم كحبّ الله ، ولا نُسوِّيهم بالله . ثمّ يغضب لهم ولحرماتهم إذا انتُهكت أعظم مِمَّا يغضب لله ، ويستبشر بذكرهم ، ويتبشبش به ، سيّما إذا ذُكِر عنهم ما ليس فيهم ؛ من إغاثة اللهفات، وكشف الكربات، وقضاء الحاجات ، وأنّهم الباب بين الله وبين عباده ؛ فإنّك ترى المشركَ يفرح ، ويُسَرُّ ، ويَحِنُّ قلبه ، وتهيج منه لواعج التعظيم والخضوع لهم والموالاة . وإذا ذكرتَ له الله وحده، وجَرَّدتَ توحيده، لَحِقَتْهُ وَحْشَةٌ، وضيقٌ، وحرجٌ ، ورماك بنقص الإلهيَّة التي له ، وربَّما عاداك"(٢) .

من أنواع الشرك في الألوهيّة والتعبُّد

سادساً : شرك الخوف

تمهيـــد : سبق أن ذكرنا أنّ العبادة تقوم على ثلاثة أركان ، أحدها الخوف(٣) . وهو عُبُوديَّة القلب التي لا يجوز تعلّقها بغير الله ﷻ ؛ فيخاف العبد مولاه ﷻ أن يُصيبه بما يشاء من العقوبات، والمصائب، والأوصاب؛ ويخاف مِمَّا توعَّد به العصاة في الآخرة من النكال والعذاب .

وهذا هو الخوف الواجب صَرفه لله ﷻ، ولا يجوز أن يُصرف لكائنٍ مَن كان سوى الله ﷻ .

أنواع الخوف : الخوف أنواعه ثلاثة ، كما المحبَّة :

١ – خوفٌ واجب : وقلنا هو الخوف من الله ﷻ أن يُصيبك بما يشاء ... والمطلوب فيه :

---

(١) انظر ص ٧٥ من هذا الكتاب .

(٢) مدارج السالكين لابن القيم ٣٧١/١ .

(٣) انظر ص ٩٧ ، ١٠٠ من هذا الكتاب .

أن يحملّك على فعل المأمورات ، واجتنـــاب المنهيّات والمحظورات . وهذا الخوف يجب أن يكون مقترناً بالرجاء والمحبّة ؛ بحيث لا يكون خوفاً باعثاً على القنوط من رحمة الله ، أو اليأس مـــن روح الله ﷻ ؛ "فالمؤمن يسير إلى الله بين الخوف والرجاء ؛ بحيث لا يذهب مع الخوف فقـــط حـــتى يقنط من رحمة الله ، ولا يذهب مع الرجاء فقط حتى يأمن من مكر الله ؛ لأنّ القنوط من رحمة الله ، والأمن من مكر الله يُنافيان التوحيد . قال تعالى : ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف:٩٩]، وقـــال تعـــالى : ﴿ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف:٨٧]، وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ [الحجر:٥٦]" [١] .

٢- خوفٌ طبيعيٌ[٢] : وهو الخوف ممّا يُخاف منه طَبْعاً ؛ كالخوف من السبع، كالأسد ونحوه ، والعدوّ المباغت ، وغير ذلك ، مع اعتقاد أنّ النفع والضرَّ بيد الله وحده . وهذا الخوف مباح، وهو غير مذموم. وقد وقع لموسى عليه السلام، يقول تعالى حاكياً عنه : ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص:٢١] .

٣- الخوف المحرَّم : وهو قسمان :

الأول : الخوف السرّي"الاعتقادي"، وسُمّي اعتقادياً لأنّ محلّه القلب وهو : الخوف من غير الله أن يُؤثّر فيه ، أو يُصيبه بما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ؛ من مرضٍ، أو منع رزقٍ ، أو إصابةٍ بفقرٍ ، أو نحو ذلك بقدرته ومشيئته، كما قال الله عن قوم هودٍ عليه السلام إنهم قالوا له: ﴿ إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [هود:٥٤] [٣] .

وهذا الخوف هو الخوف الشركيّ؛ فمن وقع فيه وقع في الشرك الأكبر.

---

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للشيخ صالح الفوزان ص ٦٩-٧٠ .

(٢) انظر : فتح المجيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن ص ٤٨٩ . والإرشاد للفوزان ص ٦٧ .

(٣) انظر : فتح المجيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن ص ٤٨٨ . والأسئلة والأجوبة في العقيدة للشيخ صالح الأطرم ص ٣٩ . والإرشاد للشيخ صالح الفوزان ص ٦٦ .

الثاني : الخوف العمليّ[١] : وهو الخوف من النّاس المؤدّي إلى ترك الواجب ، أو المؤدّي إلى عمل المحرَّم .

وهذا الخوف حرام ، ويُنافي كمال التوحيد ، وهو خوفٌ أصغر .

ودليلـه : قول الله ﷻ : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران:١٧٣] ؛ فاخشوهم : أي واتركوا الجهاد. ويشهد لهذا القسم أيضاً قوله ﷺ: "إنّ الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة : مَا مَنَعَكَ إذْ رأيتَ المنكرَ أن لا تُغيِّرَه ؟ فيقول : ربٌّ خشيةَ النّاس . فيقول : إيَّاي كنتَ أحق أن تَخْشَى"[٢] .

خاتمـة : أنـواع الشرك في الألوهيَّة كثيرة تتعلَّق بعبادته ﷻ ومعاملته ؛ فمن صَرَف شيئاً من العـبادة لغير الله ﷻ ، فقد وقع في هذا النوع من أنواع الشرك ، سواء أكانت العبادة المصروفة لغير الله: نَذْراً ، أو ذبحاً ، أو سجوداً ، أو حُبًّا ، أو ذُلًّا ، أو توكُّلاً ، أو رجاء، أو خوفاً ، أو دعاء ، أو غير ذلك .

---

(١) انظر : فتح المجيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن ص ٤٨٩ . والأسئلة والأجوبة في العقيدة للشيخ صالح الأطرم ص ٣٩ . والإرشاد للشيخ صالح الفوزان ص ٦٦ .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٢٧/٣ ، ٢٩ ، ٧٧ ، وابن ماجه في السنن، كتاب الفتن ، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وصحّحه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم ١٨١٤ . وانظر فتح المجيد ص ٤٨٩.

المطلب الثاني

الشرك الأصغر

أولاً : تعريف الشرك الأصغر: يُعرَّف الشرك الأصغر بأنّه : مُساواة غير الله بالله في هيئة الفعل وأقوال اللسان. أو:كلّ ما أطلق عليه الشرع وصف الشرك، لكنّه لا يُخرج من الملّة[1].

يقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله : "وأمّا الشرك الأصغر ، فهو جميع الأقوال والأفعال التي يُتوسَّل بها إلى الشرك؛ كالغلوّ في المخلوق الذي لا يبلغ رتبة العبادة؛ كالحلف بغير الله ، وكيسير الرياء ، ونحو ذلك"[2] .

ثانياً : حكم الشرك الأصغر ، مع دليله :

١- الشرك الأصغر من أكبر الكبائر بعد الشرك الأكبر، ومعصية من أكبر المعاصي ، لما فيه من تسوية غير الله بالله ﷻ .

٢- الشرك الأصغر لا ينقض التوحيد ، بل يتنافى مع كماله .

٣- الشرك الأصغر لا يُحبط جميع العمل ، بل يُحبط العمل المصاحب .

٣- الشرك الأصغر إن مات صاحبه عليه، فإنّه يموت مسلماً، ولكنّ شركه لا يغفر له -على الراجح من قولَي العلماء- ، بل يُعاقب عليه ، وإن دخل بعد ذلك الجنّة[3] .

٤- صاحب الشرك الأصغر في الآخرة إن دخل النّار لا يُخلّد فيها .

والدليل على الشرك الأصغر : قول الله تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[الكهف: ١١٠]. وقوله ﷺ : "يقول الله تعالى : أنا أغْنَى الشُّركاء عن الشِّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أشرك معي فيه غيري، تركتُه وشِرْكَهُ"[4] .

ثالثاً : من أنواع الشرك الأصغر : ينقسم الشرك الأصغر إلى أنواع ، سأذكر منها بإذن الله :

---

(١) انظر : المجموع الثمين من فتاوى الشيخ ابن عثيمين ٢٧/٢ . والإخلاص والشرك الأصغر لعبد العزيز العبد اللطيف ص ٣٠ .

(٢) انظر القول السديد شرح كتاب التوحيد لابن سعدي ص ٢٤ .

(٣) انظر : الردّ على البكري لابن تيمية ص ١٤٦ . وتيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبدالله ص ٩٨ . والشيخ عبدالرحمن السعدي وجهوده في توضيح العقيدة لعبدالرزاق العباد ص ١٨٨-١٨٩ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الزهد ، باب من أشرك في عمله غير الله .

أولاً: يسير الرياء

من أنواع الشرك الأصغر

أولاً : **تعريف الرياء لغة واصطلاحاً** : الرياء في اللغة مشتقّ من الرؤية . يُقال : فعله رياء ؛ أي ليراه النَّاس ، فيحصل على الصيت والذكر[١] .

والرياء اصطلاحاً : إظهار العبادة بقصد رؤية النَّاس . أو التصنُّع للمخلوق ؛ كالمسلم الذي يعمل لله ، ويُصلِّي لله ، ولكنَّه يُحسِّن صلاته وعمله ليمتدحه النَّاس[٢] .

ووجه المطابقة بين المعنيَيْن : أنَّ المرائي يقصد رؤية النَّاس لعمله .

ثانياً : **حكم الرياء ، مع الدليل** : الرياء محرَّم بنصّ الكتاب والسنَّة . فمن الكتاب : قوله ﷻ : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾ [الكهف: من الآية ١١٠] ، ومن السنَّة : قوله ﷺ: "ألا أُخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجَّال"؟ قالوا: بلى يا رسول الله . قال : "الشرك الخفي ، يقوم الرجل فيُصلِّي ، فيُزيِّن صلاته لما يرى من نظرِ رجلٍ"[٣] . وقوله ﷺ : "إنَّ أخوفَ ما أخاف عليكم : الشرك الأصغر ؛ الرياء ؛ يقول الله يوم القيامة إذا جزى النَّاس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تُراءون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً"[٤] . وقوله ﷺ : "من صلَّى يُرائي فقد أشرك ، ومن تصدَّق يُرائي فقد أشرك ، ومن صام يُرائي فقد أشرك"[٥] .

ملاحظة : لاحظنا في الحديث الأوَّل أنَّ رســول الله ﷺ سمَّى الرياء شركاً خفيًّا ، فما وجه التسمية ؟ الجواب : لأنَّ صاحبه يُظهر أنَّ عمله لله ﷻ ، ويُخفي في قلبه أنَّه لغيره . أو : لأنَّ صاحبه يقع فيه ، دون أن يُلقي له بالاً . ويشهد لهذا المعنى قوله ﷺ : "الشركُ في هذه الأمَّــة أخفى من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء"[٦] .

---

(١) انظر : لسان العرب لابن منظور ٢/٢٠٣-٢٠٤ . والدين الخالص لصديق حسن خان ٢/٣٧٩ .

(٢) انظر : الدين الخالص لصديق خان ٢/٣٧٩. بيان الشرك ووسائله عند علماء الحنابلة للخميس ص١٨.

(٣) أخرجه ابن ماجه في السنن، كتاب الزهد، باب الرياء والسمعة. وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع ح ٢٦٠٧.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/٢٤٨، ٢٤٩ . وصححه الألباني في صحيح الجامع ح ١٥٥٥ .

(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/١٢٦. والطبراني في الكبير ٧/٣٣٧ . والحاكم في المستدرك ٤/٣٢٩ ، وصحَّحه ، كلُّهم من حديث شدّاد بن أوس ﷺ .

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٢٩١ ، وقال : صحيح الإسناد ، و لم يُخرِّجاه . وصحَّح أوَّله الألباني في صحيح الجامع ح ٣٧٣٠ .

ثانياً : السمعة

من أنواع الشرك الأصغر

أولاً : تعريف السمعة لغة واصطلاحاً : السُّمعة في اللغة مشتقة من السماع والإسماع . وهي ما يُسمَعُ به من صيت . يُقال: فعل ذلك رياء وسمعة ؛ أي ليراه النَّاس ويسمعوا به[١] .
والسُّمْعَةُ اصطلاحاً : إظهار العبادة بقصد سماع النَّاس . أو تَحدُّث الإنسان بأعماله التي عملَها ليمدحه النَّاس بها. ويدخل فيه: أن يعمل العمل ليلاً، ثمّ يُحدِّث به النَّاس في النَّهار[٢].
والفرق بين الرياء والسُّمعة: أنَّ الرياء يتعلّق بحاسة البصر، والسمعة تتعلّق بحاسة السّمع[٣] .

ثانياً : حكم السُّمعة، مع الدليل: السُّمعة محرَّمة بنصّ الكتاب والسنَّة. فمن الكتاب : قوله ﷻ :
﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾ [الكهف: من الآية ١١٠] ،
ومن السنَّة : قوله ﷺ: "مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ به ، ومَنْ يُرائي يُرائي اللهُ به"[٤] .

ثالثاً :متى ينقلب حكم الرياء والسمعة من شرك أصغر إلى شرك أكبر : يدخل الرياء والسمعة تحت حكم الشرك الأكبر بأحد ثلاثة أمور :
١- أن يُرائي الإنسان، أو يُسمِّع بأصل إيمانه(يُظهر أمام النَّاس أنّه مؤمن ليعصم دمه وماله).
٢- أن يغلب الرياء أو السمعة على أعمال الإنسان .
٣- أن يغلب على أعماله إرادة الدنيا ، بحيث لا يريد بها وجه الله .

رابعاً : حكم العبادة إذا اتّصل بها رياء أو سمعة: إذا كان قصد العابد بعبادته مراءاة النَّاس من الأصل ، فهذا مبطل للعبادة . أمَّا إذا طرأ الرياء أو السمعة أثناء العبادة، فلا يخلو حال العبادة من أن يكون أوّلها مرتبطاً بآخرها –كالصلاة مثلاً–، فتبطل جميع العبادة إذا لم يُدافع الرياء أو السمعة وسكن إليهما. أمَّا إذا لم يكن أول العبادة مرتبطاً بآخرها–كالصدقة مثلاً بمائة ريال ؛ خمسون منها دخله الرياء–، فيبطل منها ما خالطه الرياء أو السمعة[٥] .

---

(١) انظر : لسان العرب لابن منظور ٢/٢٠٣-٢٠٤ . والمعجم الوسيط لجماعة من المؤلفين ص ٤٥٠ .
(٢) انظر الدين الخالص لصديق حسن خان ٢/٣٧٩.
(٣) انظر فتح الباري لابن حجر ١١/٣٣٦ .
(٤) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب الرياء والسمعة –وهذا لفظه–، وكتاب الأحكام ، باب : من شاقَّ شقَّ الله عليه . وصحيح مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، باب من أشرك في عمله غير الله .
(٥) انظر فتاوى العقيدة للشيخ ابن عثيمين ص ٢٠٠-٢٠١ .

ثالثاً: إرادة الإنسان بعمله الدنيا

من أنواع الشرك الأصغر

أولاً : المراد بهذا النوع: هو أن يعمل الإنســـان أعمالاً صالحة ممَّا يُبتَغى بها وجهَ الله ﷻ، يُريد بها وجه الله ﷻ، ولكن خالط إرادته ونيَّته شيئاً آخر، كإرادة الدنيا، إمَّا لقصد المال أو الجاه؛ كالذي يُجاهد، أو يتعلَّم العلم ليأخذ مالاً، أو ليحتلَّ منصباً؛ أو يتعلَّم القرآن، أو يُواظب على الصلاة لأجل وظيفة المسجد، أو نحو ذلك من الأعمال[1] .

ثانياً : حكم هذا النوع، مع الدليل: إرادة الإنسان بعمله الدنيا محرَّم، والدليل :

١- من كتاب الله ﷻ: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[هود: ١٥-١٦]؛ فأخبر ﷻ أنَّ من كانت الدنيا همَّه وطلْبَتَهُ، جازاه اللّٰه بحسناته في الدنيا، ثمَّ يُفضي إلى الآخرة وليس له حسنة يُعطى بها جزاءً[2] .

٢- ومن السنَّة : عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رجلاً قال : يا رسول الله ! رجلٌ يُريد الجهاد، وهو يبتغي عرضاً من أعراض الدنيـــا ؟ فقال رســـول الله ﷺ : "لا أجرَ له". فأعاد عليه ثلاثاً، والنبيّ ﷺ يقول : "لا أجرَ له"[3] .

ثالثاً : الفرق بين الرياء والسُّمعة وبين إرادة الإنسان بعمله الدنيا : العامل بهذه الأنواع يعمل العمل الصالح ممَّا يُبتغى به وجهَ الله. ولكنَّ المرائي أو المسمِّع يُريد رؤية النَّاس أو سماعهم، ويقصد من ذلك أن يمدحوه ويُعظِّموه، ويطمع أن ينال الجلالة في أعينهم. أمَّا من كان يُـــريد بعمله الدنيا، فهو يعمل لأجل الدراهم، أو لشيء من متاع الدنيا، فهو أعقل من الأوَّل، وإن كان كلاهما خاسِراً —والعياذ بالله—[4] .

---

(١) انظر بعض أنواع الشرك الأصغر للدكتور عواد بن عبدالله المعتق ص ٣١ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٤٣٩/٢ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢٩٠/٢، والحاكم في المستدرك ٨٥/٢ وصحّحه، وأبو داود في السنن، كتاب الجهاد، باب في من يغزو ويلتمس الدنيا. وحسَّنه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٤٧٨/٢ .

(٤) انظر : تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبدالله ص ٥٣٤-٥٣٥ . وبعض أنواع الشرك الأصغر للدكتور المعتق ص ٣١ .

رابعاً : أقسام النّاس في العمل ، وما يُريدون به : ينقسمون إلى أقسام ، منها :

١- قسمٌ يُريدون بأعمالهم الدنيا فقط، ولا إرادة لديهم لله ، ولا همّ لهم له ، ولا طلب للآخرة . وهذا رياء محض ، وهو شركٌ أكبر يقع فيه المنافقون[١] .

٢- قسمٌ يُريدون بأعمالهم الله ﷻ ، ولكن يُخالط إرادهم ونيّتهم شيئاً آخر ؛ كإرادة النّاس -مثل يسير الرياء والسمعة- ، أو إرادة المال ، أو المتاع -مثل من يعمل العمل أمام ولي المرأة ليُوافق على زواجه منها ، أو يحفظ القرآن من أجل أن يُعيَّن إماماً في المسجد- . وهـــذا من الشرك الأصغر[٢] ، وفاعله قد صار بإرادته لهذه الأشياء عبداً لها ، وينطبق عليه قول رسول الله ﷺ: "تَعِسَ عَبْدُ الدِّينار والدرهم والقَطِيفة والخَميصة[٣]، إن أُعطِيَ رضيَ ، وإن لم يُعْطَ لم يَرْضَ"[٤] .

٣- قسمٌ يعمل بطاعـــة الله مخلصاً له في ذلك ، ولكنّه على عملٍ يُكفّره كُفراً يُخرجه من الإسلام[٥] .

رابعاً : الاستسقاء بالأنواء "النجوم"

من أنواع الشرك الأصغر

أولاً : المراد بالاستسقاء بالأنواء: الاستسقاء: طلب السُّقْيا ، والمراد نسبة مجيء المطر إلى الأنواء . والأنواء : جمع، مفرده نَوء . والأنواء هي منازل النجوم، وهي ثمان وعشرون منزلةً ، ينزل كل ثلاث عشرة ليلة منزلةً منها . وسُمِّي نوءاً -من ناء ينوء نوءاً ، إذا نهض وطلع- ؛ لأنّه إذا سقط الساقط منها بالمغرب -مع طلوع الفجر- ، ناء -نهض وطلع- أخرى في

---

(١) تقدّمت الإشارة إلى هذا النوع ص ١٢٠ من هذا الكتاب .

(٢) وهو هذا النوع الذي بين أيدينا .

(٣) القَطِيفة هي الخميلة، وهي ثوبٌ له خَمَلٌ من أي شيء كان. والخميصة هي ثوب خزّ أو صوف معلّم . (انظر : فتح الباري لابن حجر ٢٥٤/١١ . وتيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان ص ٥٣٩) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب ما يُتّقى من فتنة المال .

(٥) انظر هذا القسم مع بقية الأقسام في : تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبدالله ص ٥٣٦-٥٣٨ . وفتح المجيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن ص٥٤٠-٥٤١. وبعض أنواع الشرك الأصغر للمعتق ص٣٤ .

مقابلها في المشـرق، فتنقضي جميعـاً مع انقضاء السـنة؛ (٢٨×١٣=٣٦٤)[١].

وقد كانت العربُ في الجاهلية تزعم أنّه مع سقوط المنزلة وطلوع رقيبها يكون مطرٌ، وينسبون نزوله إليها، فيقولون: مُطرنا بنوء كذا[٢]..

ثانياً: حكم هذا النوع، مع الدليل: الاستسقاء بالأنواء محرَّم، والدليل:

١- مـن الكتاب: قول الله ﷻ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:٨٢]؛ وتفسـيرها: ما رواه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ عن رسول الله ﷺ قـال: "﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ يقول: شُكْرَكُم، ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾: تقولون: مُطِرْنا بنوء كذا وكذا، بنجم كذا وكذا"[٣].

٢- مـن السـنَّة: ما رُوي عن زيد بن خالد ﷺ قال: صلَّى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلمَّا انصرف أقبل على النَّاس، فقال: "هل تدرون ماذا قال ربُّكم"؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: "قال: أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافـرٌ. فأمَّا من قال: مُطِرْنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافرٌ بالكوكب، وأمَّا من قال: مُطِرْنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافرٌ بي مؤمنٌ بالكوكب"[٤].

ثالثاً: متى يكون الاستسقاء بالأنواء شركا أكبر، ومتى يكون شركاً أصغر؟ المسألة فيها تفصيل؛

١- من اعتقد أنَّ للنجم تأثيراً -بدون مشيئة الله-، فينسب المطر إلى النجم نسبة إيجاد واختراع، فهذا من الشرك الأكبر.

٢- من اعتقد أنَّ للنجم تأثيراً -بمشيئة الله-، والله جعل هذا النجم سبباً لنزول المطر، وأجـرى العادة بوجود المطر عند ظهور ذلك النجم. فهذا محرَّم -على الصحيح-، وهو شرك أصغر.

---

(١) انظر: الدين الخالص لصديق حسن خان ١٢٩/٢. وفتح المجيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن ص ٤٥٢. وتيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبدالله ص ٤٥١.

(٢) انظر المراجع نفسها.

(٣) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب: ومن سورة الواقعة، وقال: حسن غريب صحيح. وأحمد في المسند ١٠٨/١، ١٣١.

(٤) صحيح البخاري، كتاب صفة الصلاة، باب يستقبل الإمام النَّاس إذا سلَّم. وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كفر من يقول مطرنا بالنوء.

يقول الشيخ صديق حسن خان رحمه الله: "من قال: مُطِرْنا بنوء كذا وكذا، فلا يخلو : إمَّا أن يعتقد أنَّ له تأثيراً في نزول المطر، فهذا شرك كفر [أي أكبر]، وهو الذي يعتقده أهل الجاهليَّة ؛ كاعتقادهم أنَّ دعاء الميت والغائب يجلب لهم نفعاً ويدفع عنهم ضرًّا . أمَّا إذا قال مُطِرْنا بنوء كذا مثلاً ، مع اعتقاد أنَّ المؤثِّر هو الله وحده ، لكنه أجرى العادة بوجود المطر عند سقوط ذلك النجم ، فالصحيح أنَّه يحرم"[١] ، وهو شرك أصغر[٢] ؛ لأنَّه نسب نعمة الله إلى غيره، ولأنَّ الله لم يجعل النوء سبباً لإنزال المطر فيه ، وإنَّما هو فضلٌ منه ﷻ ورحمة ، يحبسه إذا شاء ، ويُنزله إذا شاء[٣] .

خامساً : الحلف بغير الله

من أنواع الشرك الأصغر

أولاً : الأمثلة عليه : كقول الرجل : وحياتي ، والنَّبيِّ ، وأبي ، والكعبة ، وتربة فلان .. إلخ .

ثانياً : حكمه ، مع الأدلَّة : هو محرَّم ، وهو شرك أصغر -أصغر في مقابل الأكبر- ، وإلا فهو ليس بصغير؛ إذ هو أكبر من بقية الكبائر. وقدحذَّر منه الرسول ﷺ لسدِّ الطرق الموصلة إلى الشرك، ولحماية جناب التوحيد، فيجب على العبد التسليم والإذعان .

وقد دلَّت الأدلَّة الكثيرة على تحريمه ، وعلى أنَّه من الشرك ، ومن تلك :

١- قول رسول الله ﷺ : "ألا إنَّ الله ينهاكُم أن تَحْلِفُوا بآبائِكُم ، مَنْ كان حالِفاً فليَحْلِفْ بالله أو ليصْمُتْ"[٤] .

٢- جاء رجلٌ إلى عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما-، فقال : احلف بالكعبة . فقال : أَحْلِفُ بربِّ الكعبة، فإنَّ عمرَ كان يحلف بأبيه ، فقال له النبيّ ﷺ : "لا تَحْلِف بأبيكَ، فإنَّه من حَلَفَ بغير الله فقد أشرَكَ"[٥] .

---

(١) الدين الخالص لصديق حسن خان ٢/١٢٩-١٣٠ . وانظر : فتح المجيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن ص ٤٥٥-٤٥٦ . وتيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبدالله ص ٤٥٤-٤٥٥ . والمجموع الثمين من فتاوى فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ٢/١٣٩-١٤٠ .

(٢) انظر تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبدالله ص ٤٥٥ .

(٣) انظر فتح المجيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن ص ٤٥٩ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الأيمان ، باب لا تحلفوا بآبائكم .

(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/٦٩، ٨٦ . وأبو داود في السنن ، كتاب الأيمان والنذور ، باب في كراهية الحلف بالآباء. والترمذي في الجامع الصحيح، كتاب النذور والأيمان، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله ، وحسَّنه . والحاكم في المستدرك ١/١٨ ، وقال حديث صحيح على شرط الشيخين .

٣- قول الصحابيّ الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ : "لأن أحلِف بالله كاذباً ، أحبّ إليّ من أن أحلِف بغيره صادقاً"(١) .

سـؤال : لِماذا فضَّل ابن مسعود ﷺ الحلف بالله كاذباً على الحلف بغيره صادقاً ؟

أجـاب الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ رحمه الله عن هذا السؤال بقوله : "لأنّ الحلف بالله توحيد، والحلف بغيره شرك، وإن قُدِّرَ الصدقُ في الحلف بغير الله ، فحسنة التوحيد أعظم من حسنة الصدق ، وسيِّئة الكذب أسهل من سيئة الشرك"(٢) .

ثالثاً : هل تنعقد يمين الحالف بغير الله ﷻ ؟ العلماء مجمعون على أنّ اليمين لا تنعقد إلا إذا حَلَف الإنسان بالله ﷻ ، أو بأسمائه وصفاته . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "وأمَّا الحلف بغير الله ؛ من الملائكة ، والأنبياء ، والمشايخ ، والملوك ، وغيرهم ، فإنَّه منهيّ عنه ، غير منعقد باتفاق الأئمة .... فمن حلف بشيخه ، أو بتربته ، أو بحياته ، أو بحقّه على الله، أو بالملوك، أو بنعمة السلطان، أو بالسيف، أو بالكعبة، أو بأبيه ، أو تربة أبيه ، أو نحو ذلك ، كان منهيًّا عن ذلك ، و لم تنعقد يمينه باتفاق المسلمين "(٣) .

وقال الشيخ محمَّد الأمين الشنقيطي رحمه الله : "اعلم أنّ اليمين لا تنعقد إلا بأسماء الله وصفاته ، فلا يجوز القسم بمخلوق"(٤) .

رابعـاً : متى ينقلب الحلف بغير الله إلى شرك أكبر ؟ ينقلب الحلف بغير الله إلى شرك أكبر : إذا قام بقلب الحالف تعظيم من حلف به من المخلوقات مثـل تعظيـم الله ﷻ(٥) .

جاء في فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلميَّة والإفتاء : "فإن قام بقلبه تعظيمٌ لمن حَلَفَ به من المخلوقات مثل تعظيم الله ، فهو شركٌ أكبر . فإن كان جاهلاً عُلِّم ، فإن أصرَّ فهو والعالِم ابتداء سواء ، كلّ منهما يكون مشركاً شركاً أكبر"(٦) .

---

(١) أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في المصنَّف ٤٦٩/٨ . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٧٧/٤ ، وقال : "رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله رجال الصحيح" .

(٢) تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان ص٥٩٤. وذكر أنه نقله من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٥٠٦/١١ .

(٤) أضواء البيان للشنقيطي ١٢٣/٢ .

(٥) انظر : الجواب الكافي لابن القيم ص ٢٣٥-٢٣٦.

(٦) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث ٢٢٤/١ .

سادساً : قول ما شاء الله وشئت ، ولولا الله وأنت ، ونحو ذلك
من أنواع الشرك الأصغر

تمهيـد : من الشرك في الألفاظ : قول الرجل : ما شاء الله وشئت ، ولولا الله وأنت ، وما لي إلا الله وأنت ، وأنا متوكِّل على الله وعليك ، وحسبي الله وأنت ، ونحو ذلك من الألفاظ التي تجري على ألسنة النَّاس ، وفيها تسوية بين الخالق والمخلوق .

أولاً : حكمـه ، مـع الأدلَّة : هذا الأمر لا يجوز استعماله ، ولا التهاون في النُّطق فيه ؛ لأنَّه نوعٌ من أنواع الشرك الأصغر ؛ إذ حرف الواو يقتضي التشريك ؛ فحين تقول : جاء أحمد وعليّ تكون قد سوَّيتَ بين المعطوف والمعطوف عليه في الحكم –وهو المجيء- ؛ لأنَّ الواو وضعت لمطلق الجمع ، وهي لا تُفيد ترتيباً ولا تعقيباً ، ووجودها فيه تسوية بين الخالق والمخلوق .

ومعلومٌ أنَّ التسوية بين الخالق والمخلوق شرك، والله ﷻ ذكر أنَّ من أسباب ضلال المشركين كونهم يُسوّون الأنداد بربّ العالمين ، قال تعالى حاكياً عنهم قولهم في النَّار : ﴿ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء:٩٦-٩٨] .

وقد دلَّت الأدلَّة الكثيرة على تحريم هذا النوع ، وعلى أنَّه من الشرك ، ومن تلك :

١- قول الله ﷻ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: من الآية٢٢]. فسَّرها حبر هذه الأمَّة عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما- بقوله : "الأنداد هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صـفا سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله، وحياتك يا فلان، وحياتي، وتقول : لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص ، ولولا القطّ في الدار لأتى اللصوص ، وقول الرجل : ما شاء الله وشئتَ ، وقول الرجل : لولا الله وفلان ، هذا كلّه شرك"[1] .

٢- عـن ابن عباس –رضي الله عنهما- أنَّ رجلاً قال للنبيِّ ﷺ : ما شاء وشئتَ . قال : "أجعلتني لله ندًّا ، بل ما شاء الله وحده"[2] .

٣- قـول رسول الله ﷺ : "إذا حَلَفَ أحدُكم فلا يَقُل : ما شاء الله وشئتَ . ولكن لِيَقُلْ : ما شاء الله ثمَّ شئتَ"[3] .

---

(١) رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس بإسناد جيِّد . (انظر فتح القدير للشوكاني ٥٢/١ . وتيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان ص ٥٨٧ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢١٤/١، وقال أحمد شـاكر رحمه الله ٢٥٣/٣ : إسناده صحيح .

(٣) أخرجه ابن ماجه في السنن ، كتاب الكفارات ، باب النهي أن يقال ما شاء الله وشئت . وصححه الألباني رحمه الله في صحيح سنن ابن ماجه ٣٦٢/١ .

٤- قول رسول الله ﷺ : "لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا : ما شاء الله ثمّ شاء فلان"[١] .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله معلّقاً على هذا الحديث : "هذا مع أنّ الله قد أثبت للعبد مشيئة كقوله : ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير:٢٨]، فكيف بمن يقول : أنا متوكّل على الله وعليك ، وأنا في حسب الله وحسبك ، وما لي إلا الله وأنت ، وهذا من الله ومنك، وهذا من بركات الله وبركاتك، والله لي في السماء وأنت لي في الأرض ... فوازن بين هذه الألفاظ وبين قول القائل : ما شاء الله وشئت ، ثمّ انظر أيهما أفحش ! يتبيّن لك أنّ قائلها أولى بجواب النبيّ ﷺ لقائل تلك الكلمة، وأنّه إذا كان قد جعل لله نــدًّا بها ، فهذا قد جعل من لا يُداني رسول الله ﷺ في شيء من الأشياء -بل لعله أن يكون له من أعدائه- ندًّا لربِّ العالمين"[٢] .

ثانياً : كيف يُتقى هذا الشرك ؟ أفضل سبيل للوقاية من هذا الشرك ، وعدم الوقوع فيه ، هو الــتزام ما علّمنا إيّاه رسول الله ﷺ من استبدال الواو بـــ"ثمّ" ؛ فنعدل عن الواو التي تقتضي تسوية المخلوق بالخالق ، إلى "ثمّ" التي تقتضي الترتيب والتراخي ؛ فمثلاً : إذا قلنا: ما شاء وشئتَ -وعطفنا بالواو-، اقتضى ذلك التسوية بين مشيئة الله ومشيئة المخلوق، أمّا إذا قلنا : ما شاء الله ثمّ شئت -وعطفنا بـ"ثمّ"-، فإنّه يقتضي تقديم مشيئة الله ﷻ ، وأنّها فوق مشيئة المخلوق[٣] .

فإذا عطفنا مشيئة المخلوق على مشيئة الخالق ﷻ بـــ"ثمّ"، فرّقنا بين المشيئتين ، وقدّمنا مشيئة الخالق ﷻ على مشيئة خلقه .

كذا الحوادث : نُسندها إلى الله ﷻ أولاً ، ثمّ إلى المخلوق ؛ فمثلاً إذا أردنا أن نقول : لولا وجــود فلان لحصل كذا ، نقول : لولا الله ، ثمّ وجود فلان لحصل كذا ، مع الاعتقاد بأنّ الأسباب ليست مستقلّة بذاتها في التأثير ، وإنما يكون تأثيرها بقدرة الله ومشيئته[٤] .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣٨٤/٥، ٣٩٤، ٣٩٨. وأبو داود في السنن، كتاب الأدب، باب لا يُقال خبثت نفسي . وصحّحه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٩٤٠/٣ .

(٢) الجواب الكافي لابن القيم ص ٢٣٩-٢٤٠ . وانظر الدين الخالص لصديق حسن خان ٣١٢/١ .

(٣) انظر دعوة التوحيد للشيخ محمد خليل هراس ص ٦٥ . وتيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبدالله آل الشيخ ص ٥٩٥ .

(٤) انظر بعض أنواع الشرك الأصغر للمعتق ص ٥٠ .

سابعاً : الـرُّقـــى

من أنواع الشرك الأصغر

أوّلاً : تعريف الرُّقى: الرُّقَى لغــةً جمع رُقْيَة، وهي العوذة . أو ما يُعرف عند العامَّة بـ"العزيمة" ، أو "التعويذة" التي يُرقى بها صاحب الآفة –كالحمّى والصَّرَع- ، وتُقْرأ على المريض أو اللديغ أملاً في شفائه[1] .

ولا يبعد المعنى الشرعيّ للرقية عن المعنى اللغوي كثيراً ؛ فالرقية شرعاً : ما يُقرأ على المريض من الآيات القرآنيَّة ، أو الأدعية المشروعة ، أو غيرها من الأدعية المباحة المجرَّبة[2] .

ثانياً : نوعا الرُّقى : الرُّقَى نوعان : شرعيَّة ، وبدعيَّة "وتدخل فيها الشركيّة" . وتوضيح هذين النوعين يُمكن في الوقفتين التاليتَيْن :

الوقفة الأولى : مع الرُّقَى الشرعيَّة : الرُّقَى مشروعة بإجماع العلماء إذا تحقّقت فيها شروط معلومة.

شـــروط الـــرقية الشرعيَّة : قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : "وقد أجمع العلماء على جواز الرقى، عند اجتماع ثلاثة شروط :

أن يكون بكلام الله تعالى ، وبأسمائه وصفاته .

وباللسان العربيّ ، أو بما يُعرَف معناه من غيره .

وأن يعتقد أنَّ الرقية لا تُؤثّر بذاتها ، بل بذات الله تعالى"[3] .

فالرُّقية الشرعيَّة لا بُدّ أن تكون :

١ -بشيء من كلام الله، أو توسُّلاً بأسمائه ﷻ وصفاته، أو بأدعية مشروعة، أو مباحة.

٢- باللسان العربيّ ، أو بما يُعرف معناه من أية لغة أخرى .

٣- أن يكون فعلها صادراً عن عقيدة صحيحة بأنّ الشافي هو الله ﷻ، وأنّه هو الضارّ والنافع ﷻ ؛ فلا يعتقد أنَّها تشفي بذاتها ، فإذا اعتقد ذلك ، كان شركاً أكبر ، وإن اعتقد مقارنتها للشفاء –لا يحصل الشفاء إلا بوجودها- كان شركاً أصغر .

---

(١) انظر من كتب اللغة : المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٣٠٩/٦.ولسان العرب لابن منظور٣٣٢/١٣. وتاج العروس للزبيدي ١٥٤/١٠ .

(٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٨٢/١ ، ٣٢٨ ،، ١٩٥/١٠ .

(٣) فتح الباري لابن حجر ١٦٦/١٠. وانظر أحكام الرقى والتمائم للدكتور فهد السحيمي ص ٣٦-٤١.

أدلّة الرقية الشرعيّة : دلّت الأدلّة الكثيرة على جواز الرُّقَى إذا تحقّقت فيها الشروط السابقة. ولكثرة هذه الأدلّة صنّفتُها وفق موضوعها، واقتصرتُ على ذكر مثالٍ أو مثالين لكل موضوع.

١- إقرار رسول الله ﷺ لجماعة من أصحابه عرضوا عليه رُقاهم ؛ فعن عوف بن مالك الأشجعي ﷺ قال: كنّا نَرْقِي في الجاهليّة، فقلنا : يا رسول الله ! كيف ترى في ذلك؟ فقال ﷺ : "اعرِضُوا عليَّ رُقَاكُم، لا بأس بالرُّقَى ما لم يكن فيه شركٌ"[١] . وعن جابر ابن عبد الله –رضي الله عنهما- قال : نهى رسول الله ﷺ عن الرُّقَى ، فجاء آل عمرو بن حـــزمٍ إلى رسول الله ﷺ ، فقالوا : يا رسول الله : إنّه كانت عندنا رُقية نرقي بها من العقرب ، وإنّك نهيتَ عن الرّقى ، قال : فعرضوها عليه ، فقال ﷺ : "ما أرى بأساً . من استطاع منكم أن ينفعَ أخاه ، فليفعل"[٢] .

٢- إقراره ﷺ لفريق من الصحابة فعلوا الرُّقية ؛ كإقراره ﷺ للرهط الذين نزلوا بأحد أحياء العرب، فلُدِغَ سيِّد الحيّ ، فرقاه أحد الصحابة بسورة الفاتحة ، وأخذ على ذلك جُعْلاً ، فقال ﷺ : "وما يُدريك أنّها رُقية ؟ أصبتم، اقسِموا، واضربوا لي بسهم"[٣] .

٣- فعله ﷺ الرقية بنفسه ؛ فعن عائشة –رضي الله عنها- أنّ النبيّ ﷺ كان يَنْفِثُ على نفسِهِ في المرض الذي مات فيه بالمعوذات ، فلمّا ثَقُلَ كنتُ أنفِثُ عليه بهنَّ ، وأمسح بيده نفسه لِبَرَكَتِهَا"[٤] . قال مَعْمَر –أحد رواة هذا الحديث- : فسألتُ الزُّهريّ –وهو شيخه في هذه الرواية- : كيف يَنْفِثُ ؟ قال : كان ينفِث على يديه ، ثمّ يمسح بهما وجهه[٤] .

٤- فعلـــه ﷺ الرقية بغيره ؛ فعن عائشة –رضي الله عنها- أنّ النبيّ ﷺ كان يُعَوِّذُ بعضَ أهله، يمسح بيده اليُمنى ويقول: "اللهمّ ربّ النّاس، أذهِبِ الباس، واشْفِه وأنت الشافي،

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب السلام ، باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب السلام ، باب استحباب الرقية من العين والحمّة والنملة .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الإجارة ، باب ما يُعطى في الرقية ،، وكتاب الطب ، باب الرقى بفاتحة الكتاب ، وباب النفث في الرقية .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الطب ، باب الرُّقَى بالقرآن والمُعَوِّذات ، وباب النَّفْث في الرقية ، وباب المرأة ترقي الرجل .

لا شـــفاء إلا شفاؤكَ، شفاءً لا يُغادر سَقَماً"[١] . وعنها –رضي الله عنها– أنّه ﷺ كان يقول للمريض : "بسم الله ، تُربةُ أرضِنا، بريقة بعضنا، يشفى سقيمنا، بإذن ربِّنا"[١] .

٥ – أمره ﷺ بالرقية ؛ فعن أمّ سلمة –رضي الله عنها– أنّ النبيّ ﷺ رأى في بيتها جارية في وَجهها سَفْعَةٌ[٢] ، فقال : "استرقوا لها ، فإنّ بها النَّظرة"[٣] .

وعن أفعاله ﷺ هذه مع الرقية، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : "كان ﷺ يرقي نفسه ، وغيرَه ، ولا يطلب من أحدٍ أن يرقيه"[٤] .

ملاحظـة : لا يتنافى التداوي بالرقى ؛ من كتاب الله ﷻ، ومن سنّة رسول الله ﷺ مع التوكُّل ؛ لأنّ الله ﷻ جعل الرقى سبباً لدفع مكروهات كثيرة على لسان رسوله ﷺ، وقد تواتر فعل الرسول ﷺ للرقية بنفسه، وغيره، وأمره بها، وإقراره لصحابته على فعلها[٥]. فالرقية مشروعة وهي من الأدوية الناجعة النافعة بإذن الله، إذا انضمّ إليها صدق القصد من جهة العليل، وقوّة التوجّه إلى الله من جهة المداوي، مع قوة القلب بالتقوى والتوكُّل على من يُذهب البأس[٦] .

الوقفة الثانية : مع الرقى البدعيّة : وتدخل فيها الشركيّة ؛ لأنّ من البدع ما يكون شركاً .

فالرقية الشركيَّة هي كلّ رقية اشتملت على شرك؛ كالقسم بالمخلوقات من شمس ، أو قمر، أو ملائكة، أو جنّ، أو غير ذلك؛ أو الاستغاثة بالمخلوقات فيما لا يقدر عليه إلا الخالق ﷻ؛ أو المشتملة على دعاء المخلوق من دون الله، ليكشف أمراً لا يكشفه إلا الله ﷻ، فهذا كلّها شرك، لا يجوز لمن يومن بالله واليوم الآخر أن يتعاطاه[٧] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الطب ، باب رقية النبيّ ﷺ ، وباب مسح الراقي الوجع بيده اليمنى .
(٢) السَّفْعَةُ : حمرة في الوجه يعلوها سواد، أو في وجهها موضع على غير لونه الأصليّ (فتح الباري ٢٠٢/١٠) .
(٣) صحيح البخاري ، كتاب الطب ، باب رقية العين .
(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٢٨/١ .
(٥) انظر الرقى على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة للدكتور علي العلياني ص ٣٣ .
(٦) انظر : الجواب الكافي لابن القيم ص ٣٥ . وفتح الباري لابن حجر ١٠٠/١٠ .
(٧) انظر الرقى على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة للعلياني ص ٥٩-٦١ .

ويدخل في الرقى البدعيَّة: ما فقد شرطاً من شروط الرقية الشرعيَّة[١]، ومن ذلك[٢]:

١- إذا كانت الرقية سحريَّة؛ لأنَّ الله حرَّم السحر، وبيَّن أنَّه كُفرٌ، وأنَّ الساحر لا يُفلح أبداً. قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٠٢].

٢- إذا كانت الرقية بعبارات غير واضحة، ومعنى غير مفهوم، فهي رقية بدعيَّة؛ فإنَّ مـا لا يُعقل معناه، وما لا يُفهم مبناه، لا يؤمَن أن يكون منه شركٌ، وما كان مظنّة الشرك، فلا يجوز تعاطيه أبداً –من باب سدّ الذرائع–[٣].

٣- ويدخل في هذا: ما كان بعبارات محرَّمة؛ كالسبّ، والشتم، واللعن؛ فإنَّ الله لم يجعل دواء أمَّة محمَّد ﷺ فيما حرَّمه عليها، يقول ﷺ: "إنَّ الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داء دواء، فتداووا ولا تداووا بحرام"[٤]، ونهى ﷺ عن الدواء الخبيث[٥].

٤- ألا تكون الرقية على هيئة محرَّمة؛ كأن يتقصّد فعلها حال كونه جنباً، أو في مقبرة، أو حمّام، أو وهو كاشف لعورته، أو غير ذلك.

٥- ألا يظـنّ الراقي، أو المرقي أنَّ الرقية تستقلّ بالشفاء، أو دفع المكروه وحدها. فإذا اعتقد أنَّها تؤثّر بذاتها، فهذا هو الشرك الأكبر؛ لأنَّ الشافي هو الله وحده.

---

(١) التي تقدَّم ذكرها في ص ١٣٧ من هذا الكتاب.

(٢) انظر في ذلك: الرقى على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة للعلياني ص ٥٩-٧٣.

(٣) انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن ص ١٦٨-١٦٩. وتيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله ص ١٦٦-١٦٧.

(٤) سنن أبي داود، كتاب الطب، باب في الأدوية المكروهة.

(٥) مسند أحمد ٣٠٥/٢. وسنن أبي داود، كتاب الطب، باب في الأدوية المكروهة. وجامع الترمذي، كتاب الطب، باب من قتل نفسه بسم أو غيره. وسنن ابن ماجه، كتاب الطب، باب النهي عن الدواء الخبيث. وصححه الألباني (انظر صحيح سنن أبي داود ٧٣٣/٢. وصحيح سنن ابن ماجه ٢٥٥/٢).

ثامناً : التمائم

من أنواع الشرك الأصغر

أوّلاً : تعريف التمائم: التمائم لغـةً جمع تميمـة ، وهي خرزات كان الأعراب يُعلّقونها على أولادهم لدفـع العين بزعمهم . أو قطعة من الجلد أو الورق ، يُكتب عليها أدعية وأوراد ، يُعلّقها بعض النّاس على مرضاهم ، بغرض دفع شرٍّ متوقّع ، أو الشفاء من مرضٍ حاصلٍ وَقَعَ[1] .

ويتضح من تعريف التميمة أنّها كانت تتخذ لغرضين :

١- دفع الشرّ المتوقّع ؛ من مرض أو عين ، قبل أن يحصل (كالذي يُعلّق على الصبيان ، أو الفرس ، أو المساكن ، أو السيارات ..) .

٢- دفع الشرّ الذي وقع بالفعل (وهذا الذي يُعلّق على المريض ..) .

ثانيـاً : حكم تعليق التمائم : تعليق التمائم من باب شرك الأسباب ، وهذا قد يكون أكبر ، وقد يكون أصغر ، حسب حال صاحبـه ، ولذلك يُنظر في حال المتعلّق، وفي حال المعلّـق .

يقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله تعالى عن التمائم :"قد تكون شركاً أكبر إذا اعتقد معلّق التميمة أنّها تحفظه، أو تكشف عنه المرض، أو تدفع عنه الضرر، دون إذن الله ومشيئته"[2] ، ويقول رحمه الله في موضع آخر : "والصواب أنّ تعليق التمائم ليس من الاستهزاء بالدين ، بل من الشرك الأصغر ، ومن التشبُّه بالجاهليّة . وقد يكون شركاً أكبر على حسـب ما يقوم بقلب صاحب التعليق من اعتقاد النفع فيها ، وأنّها تنفع وتضرّ دون الله ﷻ ، ومـا أشبه هذا الاعتقاد . أمّا إذا اعتقد أنّها سببٌ للسلامة من العين أو الجنّ ونحو ذلك ، فهذا من الشرك الأصغر ؛ لأنّ الله سبحانه لم يجعلها سبباً ، بل نهى عنها وحذّر ، وبيّن أنّها شركٌ على لسان رسوله ﷺ ، وما ذاك إلا لما يقوم بقلب صاحبها من الالتفات إليها ، والتعلُّق بها"[3] .

فتعليق التمائم مع اعتقاد أنّها سببٌ للسلامة من الشرّ الواقع أو المتوقّع: شركٌ أصغر .

وتعليق التمائم مع اعتقاد أنّها تنفع وتضرّ دون إذن الله ومشيئته : شرك أكبر .

---

(١) انظر : فتح الباري لابن حجر ١٠/١٩٦ . ولسان العرب لابن منظور ١٢/٦٩-٧٠ .

(٢) مجموع فتاوى الشيخ ابن باز ٢/٣٨٤ .

(٣) قاله رحمه الله معلّقاً على حواشي الشيخ حامد الفقي على كتاب "فتح المجيد" حاشية رقم ١٣٣ .

ثالثاً : نوعا التمائم : التمائم نوعان ؛ محرَّمةٌ ، ومختلفٌ فيها .

النوع الأول : التمائم المحرَّمة: وهي التي جمعت أحد هذه الأمور (واحد يكفي كي تكون محرَّمة):

١- ليست من الكتاب ، ولا من السنَّة ، بل هي من طلاسم اليهود ، أو المشركين ، أو مستخدمي الجنّ ، ونحوهم .

٢- إذا كانت من الخرز، أو الأوتار، أو الحلق من الحديد وغيره -كالأساور-؛ فإنَّ تعليقها محرَّمٌ بلا ريب ؛ إذ ليست من الأسباب المباحة ، ولا الأدوية المعروفة(١) .

٣- إذا كان فيها شرك ؛ كالاستغاثة بأحد غير الله ﷻ .

٤- إذا كان صاحبها أو حاملها يعتقد أنَّها تنفع بذاتها ، وأنَّه إن رفعها بقي المرض(٢) .

أدلَّة التمائم المحرَّمة : جاءت أدلَّة كثيرة بتحريم التمائم التي فيها أحـد هذه الأمور السابقة ، ومن هذه الأدلة :

١- قـول الله ﷻ : ﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر: ٣٨] .

٢- قول رسول الله ﷺ : "مَنْ تَعَلَّقَ تميمةً فقد أشرك"(٣) .

٣- قول رسول الله ﷺ : "إنَّ الرُّقى والتَّمائمَ والتِّوَلَة(٤) شِرْكٌ"(٥) .

٤- قول رسول الله ﷺ : "مَنْ تَعَلَّق شيئاً وُكِلَ إليه"(٦) .

---

(١) انظر تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله ص ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٦-١٦٢ .

(٢) انظر: معارج القبول للشيخ حافظ الحكمي ٣٨٤/١ والتمائم في ميزان العقيدة للدكتور علي العلياني ص٣٣ .

(٣) أخرجه أحمد في المسند ١٥٦/٤ ، والحاكم في المستدرك ٢١٩/٤ . ورواة أحمد ثقات ، كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠٣/٥ . وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة رقم ٤٩٢) .

(٤) التولة : شيء تصنعه المرأة، تجلب به محبة زوجها، وهو ضرب من السحر . (الدين الخالص ٢٣٨/٢).

(٥) أخرجه أحمد في المسند ٣٨١/١. والحاكم في المستدرك ٢١٧/٤، وقال : صحيح الإسناد و لم يُخرِّجاه، ووافقه الذهبي . وأبو داود وابن ماجه في السنن ، كلاهما في كتاب الطب ، باب في تعليق التمائم . وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة رقم ٣٣١) .

(٦) أخرجه أحمد في المسند ٣١٠/٤-٣١١. والترمذي في الجامع الصحيح، كتاب الطب ، باب ما جاء في كراهية التعليق . وحسَّنه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٢٠٨/٢ .

النوع الثاني : التمائم المختلف فيها : وهي التي جمعت الشروط التالية[١] :

١- أن تكون بشيء من القرآن الكريم ، أو بالأدعية الصحيحة .

٢- أن تكون بلغة عربية مفهومة ، أو بلغة أخرى يُفهم معناها .

٣- أن تكون خالية من الطلاسم ، والشركيَّات .

٤- أن يكون صاحبها على عقيدة صافية ؛ بأنَّه لا يجلب النفع ولا يدفع الضرّ إلا الله .

حكم هذا النوع من التمائم : هذا النوع من التمائم قد اختلف العلماء في حكمه ، فرأى بعضهم جوازه ، وبعضهم تحريمه . يقول الإمام أحمد : "التعليقُ كلُّه يُكرَه ، والرُّقَى ما كان من القرآن ، فلا بأس به"[٢] .

أدلّة من قال بتحريم هذا النوع[٣] :

١- عموم النهي الوارد في التمائم ، دون تخصيص نوعٍ منها ؛ فقد جاء المنع من تعليق التمائم دون تفصيل . ولو كان تعليق التمائم مشروعاً ، لبيَّنه رسول الله ﷺ كما بيَّن الرقية وأذن فيها بقوله : "لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك"[٤] .

٢- إنَّ القول بجواز تعليق التمائم المختلف فيها قد يُعطِّل سنَّة الرقية المتفق عليها .

٣- إنَّ القول بتعليق التمائم متردِّد بين الجواز والتحريم . وما كان كذلك فالأولى اجتنابه درءاً للمفاسد ، واتقاء للشبهات .

٤- تعليق التمائم وسيلة مفضية إلى الشرك؛ فقد يعتقد معلِّقها أنَّه لولا التمائم لحصل له كذا وكذا فيحصل فيها تعلُّق القلب ، فيُفضي إلى اعتقاد أنَّها مؤثِّرة بذاتها . وهذا شرك . وسدّ الذرائع واجب ، ودفع المفاسد مقدَّم على جلب المصالح[٥] .

---

(١) انظر أحكام الرقى والتمائم للدكتور فهد السحيمي ص ٢٤٣ ، ٢٥٣ . .

(٢) مسائل الإمام أحمد برواية الكوسج ١٦٩/٢ . .

(٣) انظر التمائم في ميزان العقيدة للدكتور علي العلياني ص ٤٦-٥٠ .

(٤) تقدَّم تخريج هذا الحديث ص ١٣٨ ، ح (١) . .

(٥) انظر معارج القبول للشيخ حافظ الحكمي ٣٨٢/١ .

٥- يودّي تعليقها إلى حمل القرآن ممَّن لا يفقه معناه ، ولا يعرف منـــزلته ، فلا يُوقِّره ، وقد يُعـــرِّض آيات القرآن للامتهان ، سيّما إذا دخل به إلى دورات المياه ، أو الأماكن القذرة . وقد تبقى عليه وهو جُنُب ، كما أنّها قد تُعلّق على الأطفال مع تلبّسهم بالنجاسة .

٦- إنّ غالب من يتعاطاها صناعة واستعمالاً لا يُعرفون بصحّة الإيمان ، ولا بصلاح العمل .

٧- إنّ عمل التمائم قد صار نوعاً من أنواع الاتّجار بكتاب الله ودينه القـــويم ؛ ففي القـــول بجوازها فتح الباب أمام الدجّالين والمشعوذين لعمل التمائم الشركيّة ، والاتجار بها بحجّة أنها من القرآن الكريم .

والقول بالمنع من تعليق التمائم هو الراجح -والله أعلم- ، لما تقدّم[1] .

وعلى هذا القول عددٌ كبير من الصحابة والتابعين وعلماء المسلمين .

قال إبراهيم بن يزيد النخعي الكوفي (ت ٩٦هـــ) : "كانوا يَكْرَهون التمائم كلّها ، من القرآن وغير القرآن"[2]. ومراده من قوله "كانوا" : أي أصحاب عبد الله بن مسعود ﷺ وهم من سادات التابعين[3] .

تاسعاً : التطيُّر

من أنواع الشرك الأصغر

أوّلاً : تعريف التطيُّر: التطيُّر والطِيَرة : هي التشاؤم . وهو مصدر من تَطَيَّر يَتَطَيَّرُ تَطَيُّراً وطِيَرَةً .

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله :"وأصل التطيُّر أنّهم كانوا في الجاهليَّة يعتمدون على الطير، فإذا خــرج أحدهم لأمرٍ، فإن رأى الطير طار يمنة تيمّن به واستمرّ ، وإن رآه طار يسرةً تشاءم به ورجع . وربّما كان أحدهم يُهَيِّجُ الطيرَ ليطير، فيعتمدها. فجاء الشرع بالنهي عن ذلك"[4] .

---

(١) انظر المجموع الثمين من فتاوى الشيخ ابن عثيمين ٥٨/١ .

(٢) المصنّف لابن أبي شيبة ٣٧٤/٧ . .

(٣) انظر : فتح المجيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن ص ١٧٦-١٧٧ . وتيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان ابن عبد الله ص ١٧٤ .

(٤) انظر : فتح الباري لابن حجر ٢١٢/١٠ . وفتح المجيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن ص ٤٢٤ .

وكــانوا يُسمُّونه السانح ، والبارح ؛ "فالسانح ما ولاّك ميامنه ، بأن يمرّ عن يسارك إلى يمينك . والبارح بالعكس . وكانوا يتيمَّنون بالسانح، ويتشاءمون بالبارح ؛ لأنّه لا يُمكن رميه إلا بأن ينحرف إليه. وليس في شيء من سنوح الطير وبروحها ما يقتضي ما اعتقدوه. وإنَّمــا هو تكلّف بتعاطي ما لا أصل له ؛ إذ لا نطق للطير ولا تمييز فيستدلّ بفعله على مضمون معنى فيه ، وطلب العلم من غير مظانّه جهل من فاعله"[1] .

ولم يقتصر التطيُّر على الطيور والحيوانات ، بل انسحب هذا الاعتقاد على غير الطير ؛ فلقد كانوا يتشاءمون ببعض الأشهر ؛ كشهر صفر الذي كان يمتنع بعضهم عن الزواج فيه أو السفر .

كذلك كانوا يتشاءمون من المرضى ، فيمتنعون عن مجالستهم ، أو ماكلتهم .

وكذا كانوا يتشاءمون بذي العاهة ؛ كالأعرج ، والأعور ، وغيرهما .

ثانياً : من الأدلّة على تحريم التطيُّر :

١- قول الله ﷻ عن آل فرعون: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[الأعراف:١٣١]؛ فآل فرعون كانوا إذا أصابهم بلاء وقحطٌ تطيَّروا –تشاءموا- بموسى عليه السلام ومن معه، وقالوا: هذا بسبب موسى وأصحابه ، أصابنا بشؤمهم . فأخبر ﷻ أنَّ ما قضى عليهم وقدَّر لهم ، إنَّما جاءهم من قِبَل كفرهم وتكذيبهم بآياته ورسله[2] . ففي هذه الآية نهي عن التطيُّر ، ووعيد فيه[3] .

٢- قول رسول الله ﷺ : "لا عَدْوَى ولا طِيَرَةَ ..."[4] .

---

(١) فتح الباري لابن حجر ١٠/٢١٢-٢١٣. وانظر : الدين الخالص لصديق حسن خان ٢/١٤٢-١٤٣ . والأسئلة والأجوبة في العقيدة للشيخ صالح الأطرم ص ٦٢ .

(٢) انظر جامع البيان للطبري

(٣) انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن ص ٤٢٤ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الطب ، باب الطيرة . وصحيح مسلم ، كتاب السلام ، باب لا عدوى .

٣- قول رسول الله ﷺ : "لا طِيَرَة ، وخيرُها الفألُ" . قالوا : وما الفأل ؟ قال : الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم"[١] .

ما الفرق بين الطيرة وبين الفأل ؟ الطيرة سوء ظنٍّ بالله ﷻ، وصَرْفُ شيءٍ من حقوقه ﷻ لغيره، وتعلُّقٌ للقلوب بمخلوقٍ لا ينفع ولا يضرّ. والفأل حُسْن الظنِّ بالله ﷻ، والرسول ﷺ "إنَّما كان يُعجبه الفألُ ؛ لأنّ التشاؤم سوء ظنٍّ بالله تعالى بغير سببٍ محقّق، والتفاؤل حسن ظنٍّ به ﷻ ، والمؤمن مأمور بحسن الظنّ بالله تعالى على كلِّ حال"[٢] .

٤- قول رسول الله ﷺ : "الطِيَرَةُ شِرْكٌ ، الطيرة شرك . وما منَّا إلاّ ، ولكنّ الله يُذهبه بالتوكُّل"[٣]. وزيادة : "وما منَّا إلا ، ولكنّ الله يذهبه بالتوكُّل" : أي وما منا إلا وقد وقع في قلبه شيء من ذلك ، ولكن لمَّا توكّلنا على الله في جلب النفع ودفع الضرّ ، أذهبه الله عنَّا بتوكّلنا عليه وحده[٤] .

ثالثاً : حكم الطيرة : الطيرة محرَّمة شرعاً ، وهي من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد ، لمـا فيها من سوء الظنّ بالله ، وتعلُّق القلوب بغيره ، وصرف شيء من حقوقه لغيره . وتنقـلب إلى شرك أكبر إذا اعتقد أنّ هذه الأشياء التي تطيَّر بها فاعلة بنفسها ، أو سبب مؤثّر في جلب النفع ودفع الضرّ . وقد تقدَّم قوله ﷺ : "الطيرة شرك .." .

رابعاً : حصول التطيُّر عند بعض المؤمنين، وعلاجه: الطيرة التي في الأفعال والأقوال تكون من بعض المؤمنين؛ فقد يقع في نفس الإنسان شيء من التطيّر، ولكن الله يُذهبه بالتوكُّل عليه.

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الطب ، باب الطيرة ، وباب الفأل . وصحيح مسلم ، كتاب السلام ، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشوم .

(٢) فتح الباري لابن حجر ٢١٥/١٠ . وانظر : حياة الحيوان الكبرى للدميري ٩٨/٢ . وفتح المجيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن ص ٤٣٤-٤٣٥ . والأسئلة والأجوبة في العقيدة للأطرم ص ٦٥ .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الطب ، باب في الطيرة ، والترمذي في جامعه ، كتاب السير ، باب ما جاء في الطيرة —وقال : هذا حديث حسن صحيح— ، وابن ماجه في سننه ، كتاب الطب ، باب من كان يعجبه الفأل ، ويكره الطيرة . وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة رقم ٤٢٩) .

(٤) انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن ص ٤٤٠ .

فالتطيُّر أمرٌ قد يقع من الإنسان ، كما قال ذلك الصحابي لرسول الله ﷺ : ومنَّا أُناسٌ يتطيَّرون . قال ﷺ : "ذلك شيءٌ يَجدُهُ أحدُكم في نفسه ، فلا يصُدَّنَّكم"[١] ؛ فأخبر ﷺ أنَّ تأذِّي الإنسان وتشاؤمَه بالطيرة إنَّما هو في نفسه وعقيدته ، لا في المتطيَّر به ، فوهمه وخوفه وإشراكه هو الذي يُطيِّره ويصدّه[٢] .

والطيرة هي ما أمضاك، أو ردَّك، كما قال رسول الله ﷺ : "مَنْ ردَّتْهُ الطيرةُ عن حاجته ، فقد أشركَ" . قالوا : فما كفَّارة ذلك ؟ قال : "أن تقول : اللهمّ لا خيرَ إلا خيرُك ، ولا طيرَ إلا طيرُك ، ولا إله غيرُك"[٣] .

وهذا من العلاج ؛ فإنّ الإنسان إذا "قال ذلك ، وأعرض عمَّا وقع في قلبه ، و لم يلتفت إليه ، كفَّر الله عنه ما وقع في قلبه ابتداءً ، لزواله عن قلبه بهذا الدعاء المتضمِّن للاعتماد على الله وحده ، والإعراض عمَّا سواه"[٤] .

فعلاج هذا التطيُّر الذي يقع في نفس الإنسان ، يكون بصدق التوكّل على الله ﷻ ، واعتقاد أنَّه وحده هو النافع والضارّ . ويُضاف إلى صدق الالتجاء : الدعاء الذي علَّمناه الرؤوف بنا ، الحريص علينا ﷺ ، وقد تقدَّم : "اللهمّ لا خيرَ إلا خيرُك ..." .

وكذلك الدعاء الآخر : "...فإذا رأى أحدكم ما يكره، فليقل : اللهمّ لا يأتي بالحسنات إلا أنت ، ولا يدفع السيئات إلا أنت ، ولا حول ولا قوَّة إلا بك"[٥] ؛ "ففيه نفي تعليق القلب بغير الله في جلب نفع أو دفع ضرّ ، وهذا هو التوحيد، وهو دعاء مناسب لمن وقع في قلبه شيء من الطيرة ، وتصريح بأنها لا تجلب نفعاً ، ولا تدفع ضرًّا"[٦] .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب السلام ، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهّان .

(٢) انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ٤٣٠ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/٢٢٠ . والطبراني في المعجم الكبير ٥/١٠٥ . وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة رقم ١٠٦٥) .

(٤) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن ص ٤٤١ .

(٥) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الطب ، باب في الطيرة . وإسناده ضعيف كما ذكر الألباني في ضعيف الجامع رقم ١٩٩ .

(٦) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن ص ٤٣٨ .



المبحث الثالث

وسائل الشـــرك المنافية للتوحيد ، أو لكماله

ويشتمل على أربعة مطالب :

المطلب الأول : التوسُّل البدعي. مع الإشارة إلى التوسُّل المشروع وأنواعه .

المطلب الثاني : اتخاذ القبور مساجد . والبناء عليها . والصلاة إليها .

المطلب الثالث : الغلوّ في الأنبياء والصالحين . والتبرك بآثارهم .

المطلب الرابع : الأعياد والاحتفالات البدعيَّة .



تمهيد : رســـول الله ﷺ حمَى جناب التوحيد من كلّ ما ينقضه ، أو يُنقصه ، وحذّر أمّته من المساس به ، وسدَّ كلّ طريق يؤدّي إلى نقيضه ، أو يخدش كماله ، وشبَّه حرصه على أُمّته بقوله: "إنّما مثلي ومثل النّاس كمثل رجلٍ استوقد ناراً، فلمّا أضاءت ما حوله جعل الفَرَاش وهذه الدواب التي تقع في النّار يقعن فيها، فجعل الرجل يحجزهنّ ، ويَغلبْنه ، فيتقحَّمن فيها، فأنا آخذ بحجزكم عن النّار : هلمّ عن النار ، هلمّ عن النّار ، فتغلبوني، تقحَّمون فيها"[1]. فهو الرحيم بأمّته ﷺ، الرؤوف بهم، الحريص على وقايتهم من سبل الغواية ، وحمايتهم من كلّ ما يكون سبباً في هلاكهم .

ولكنَّ بعض هذه الأمَّة عصت نبيَّها بفعل بعض ما نهاها عنه وحذَّرها منه ، واتَّبعت خطوات الشيطان الذي زيَّن لهم الباطل ودعاهم إليه، وكانت من نتيجة هذا العصيان: الوقوع في نقيض التوحيد[2] ، أو فيما يُنقص من كماله[3] .

ولا ريب أنَّ هؤلاء قبل أن يقعوا فيما وقعوا فيه ، كانوا قد سلكوا وسائل حُذِّروا من سلوكها ، وطرقاً كان قد طُلِب منهم أن لا يطرقوها .

ومعرفة هذه الوسائل من الأمور المعينة على تجنّبها .

ويُمكن بيان بعضها في المطالب التالية :

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب الانتهاء عن المعاصي . وصحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب شفقته ﷺ على أمّته ومبالغته في تحذيره مِمَّا يضرّهم .

(٢) نواقض التوحيد هي : الأمور التي إذا وحدت عند العبد خرج من دين الله بالكلية ، وأصبح بسببها كافراً، أو مرتداً عن دين الإسلام . وهي كثيرة ، تجتمع في الشرك الأكبر ، والكفر الأكبر ، والنفاق الأكبر . (انظر مذكرة العقيدة الإسلاميّة للدكتور عبد الله بن جبرين ص ٦١) .

(٣) منقصات التوحيد هي : الأمور التي تُنافي كمال التوحيد ، ولا تنقضه بالكليَّة . فإذا وُجِدَت عند المسلم نقص توحيده ، ولم يخرج من دين الإسلام . وهي المعاصي التي لا تصل إلى درجة الشرك الأكبر ، أو الكفر الأكبر ، أو النفاق الأكبر . وعلى رأس هذه المعاصي : الشرك الأصغر ، والكفر الأصغر ، والنفاق الأصغر . (انظر المرجع السابق) .

المطلب الأول

التوسُّل البدعي ، والتوسل الشرعي ، وأنواعه

سبب إدخال التوسُّل في هذا المبحث: إنَّما أدخلنا التوسُّل في الوسائل المنافية للتوحيد أو لكماله ، لأنَّ التوسُّل إلى الله بذات أو جاه أحد مخلوقاته محذور من وجهين : أحدهما أنَّه أقسم على الله في دعائه بأحد مخلوقاته ، ولا يجوز الحلف بغير الله ﷻ كما تقدَّم[1] . والمحذور الثاني أنَّه اعتقد أنَّ لأحد على الله حقًّا. وليس للعباد حقّ على الله إلا ما أوجبه ﷻ على نفسه من نصرة المؤمنين، وإنجاء الموحِّدين، وإثابة المطيعين، واستجابة دعاء الداعين[2] .

معنى التوسُّل لغةً : يُقال : وَسَلَ فلانٌ يَسِلُ إلى الله بالعمل وَسْلاً : رَغِبَ وتقرَّبَ. ووَسَّلَ فلانٌ إلى الله ، وتوسَّل وسيلةً وتوسيلاً : أي عَمِلَ عملاً تقرَّب به إليه. وأنا متوسِّل إليه بكذا، وواسِلٌ، ووسَلْت إليه، وتوسَّلْت إلى الله بالعمل : تقرَّبْتُ[3] .

معنى التوسُّل شرعاً : يُعَرَّف التوسُّل شرعاً بأنَّه : التقرُّب إلى الله ﷻ بطاعته ، وعبادته ، واتِّباع رسوله ﷺ ، وبكل عملٍ يُحبّه ويرضاه[4] . أو : عبادة يُراد بها التوصُّل إلى رضوان الله والجنَّة[5] .

من أدلة التوسل الشرعيّ :

١- قول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة:٣٥]؛ أي تقرَّبوا إلى الله بطاعته ، والعمل بما يُرضيه[6] .

٢- قول الله ﷻ : ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الاسراء:٥٧] ، والوسيلة : هي القُربة[7] .

---

(١) انظر ص ١٣٣-١٣٤ من هذا الكتاب .

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ الحنفي ٢٩٤/١-٢٩٦ .

(٣) انظر : أساس البلاغة للزمخشري ص ٦٧٥ . والقاموس المحيط للفيروزآبادي ص ١٣٧٨. ولسان العرب لابن منظور ٧٢٤/١١. والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١٨٥/٥. والمعجم الوسيط ص ١٠٣٢ .

(٤) انظر التوصُّل إلى حقيقة التوسل لمحمد نسيب الرفاعي ص ١٢ .

(٥) انظر مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ ابن عثيمين ٢٧٩/٥ .

(٦) انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥٩/٦ . وتفسير ابن كثير ٥٥/٢ .

(٧) انظر : تفسير ابن كثير ٥٥/٢ . وأضواء البيان للشنقيطي ٨٦/٢ .

أقسام التوسُّل : التوسُّل ينقسم إلى قسمين : توسّل شرعيّ ، وتوسل بدعي .
فالتوسُّل الشرعيّ : هو ما كان ثابتاً بالشرع ؛ بأن يدلّ عليه دليل من الكتاب أو السنة .
والتوسُّل البدعي : هو ما لم يدلّ على جوازه دليلٌ ، أو وُجِد الدليل ، ولكنه لم يثبت ، ووُجِدَ من الأدلّة الثابتة ما يُناقضه[1] .

أنواع التوسُّل الشرعي وأدلته

التوسُّل المشروع هو كلّ توسّل دلّ على جوازه نصّ من الكتاب أو السنَّة . والمراد به هنا : اتخاذ وسيلة لإجابة الدعاء ؛ بأن يجعل الداعي في دعائه ما يكون سبباً في قبوله[2] .
وهذا التوسُّل لا يُعلم إلا من طريق الشرع . وهو أنواع ، منها[3] :

١- التوسُّل بالله ﷻ؛ بذاته المقدَّسة، أو بأسمائه الحسنى، أو صفاته العلى، أو أفعاله. ودليل ذلك قوله ﷻ : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠]، وقوله ﷺ في دعائه:".. أسألك بكلّ اسمٍ هو لك، سَمَّيتَ به نفسك، أو علّمته أحداً من خلقك ، أو أنزلته في كتابك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ..."[4] .

٢- التوسُّل بالأعمال الصالحة. ودليل ذلك من كتاب الله، قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٢٧]، ومن السنَّة : قصّة النفر الثلاثة الذين توسَّلوا بأعمالهم الصالحة ؛ من برّ الوالدين، وترك الفواحش، وأداء الحقوق ، فاستجاب الله ﷻ لهم[5] .

---

(١) انظر شرح نواقض التوحيد لحسن بن علي العواجي ص ٤١ .

(٢) انظر التوسل حكمه وأقسامه لابن عثيمين والألباني ص ١٣ .

(٣) انظر شرح نواقض التوحيد للعواجي ص ٤٢-٤٣ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣٩١/١ ، وقال أحمد شاكر في تحقيقه للمسند رقم ٣٧١٢ : إسناده صحيح . وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة رقم ١٩٩) .

(٥) أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين . (صحيح البخاري ، كتاب الأجارة ، باب من استأجر أجيراً فترك أجره. وصحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة) .

٣- التوسُّل بدعاء الغير. ودليل ذلك قوله ﷻ حكاية عن أبناء يعقوب عليه السلام : ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾ [يوسف:٩٧]، ومن السنَّة دعاؤه ﷺ لعُكَّاشة بن محْصَن رضي الله عنه أن يجعله الله من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنَّة بغير حساب -لَّما سأله ذلك-[١] .

والأدلة على أنواع التوسُّل المشروع من الكتاب والسنَّة كثيرة جداً، وما ذكرته قليلٌ من كثير .

التوسُّل البدعيّ

سبق الحديث عن أنواع التوسُّل المشروع ، وذكرنا منها : التوسُّل بدعاء الغير ، ومثَّلنا له بصنيع الصحابة رضي الله عنهم ، وتوسّلهم بدعاء النبيّ ﷺ .

وهـــذا النوع هو الذي أُسيء فهمه ؛ فظنّ المخالفون للكتاب والسنَّة أنّ المراد التوسُّل بشخصه ﷺ . مع أنَّ الصحابة رضي الله عنهم إنَّما كانوا يتوسَّلون بدعائه - عليه الصلاة والسلام - حال حياته ؛ كما فعل ذاك الأعرابيّ الذي دخل عليه وهو يخطب ، فسأله الدعاء[٢] ؛ وكذلك الصحابي الذي سأله أن يدعو الله أن يجعله مِمَّن يدخلون الجنَّة بغير حساب[٣]، وغير ذلك .

وهذا التوسُّل إنَّما يكون في حياته ﷺ، أمَّا بعد موته، فلا يجوز. من أجل هذا لَّما أجدب الناس في عهد عمر رضي الله عنه لم يطلبوا من النبيّ ﷺ أن يستسقي لهم ، بل استسقى عمر رضي الله عنه بالعبَّاس رضي الله عنه عمِّ رسول الله ﷺ، وكان مِمَّا قاله : "اللهمّ إنَّا كنَّا نَتَوَسَّل إليك بنبيِّنا فتسقِيَنا ، وإنَّا نتوسَّل إليك بعمِّ نبيِّنا فاسقِنا"[٤] . فسقاهم الله ﷻ .

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين . (صحيح البخاري ، كتاب الطب ، باب من اكتوى أو كوى غيره . وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الاستسقاء ، باب الاستسقاء في خطبة الجمعة . وصحيح مسلم ، كتاب صلاة الاستسقاء ، باب الدعاء في الاستسقاء .

(٣) تقدَّم تخريجه في ح (١) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الاستسقاء ، باب سؤال النَّاس الإمامَ الاستسقاءَ إذا قحطوا .

وهذا توسُّل من الصحابة ﷺ بدعاء العبَّاس ﷺ، لا بذاته حال حياته، وهو شبيهٌ بتوسُّلهم بدعاء نبيِّهم ﷺ في حياته . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "وأمَّا التوسُّل بالنبيّ ﷺ والتوجُّه به في كلام الصحابة ﷺ ، فيُريدون به التوسُّل بدعائه وشفاعته"[١] .

والتوسُّل بدعائه ﷺ مقيَّد بقيدين : أحدهما : أن يكون التوسُّل حال حياته ﷺ . وهذا يوضِّحه توسُّل عمر ﷺ بالعباس ﷺ بعد موت النبيّ ﷺ . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : "وأمَّا التوسُّل بدعائه وشفاعته –كما قال عمر– ، فإنَّه توسُّل بدعائه لا بذاته . ولهذا عَدَلوا عن التوسُّــل بــه ﷺ إلى التوسل بعمه العباس . ولو كان التوسل بذاته ، لكان هذا أولى من التوسل بالعباس ، فلمَّا عدلوا عن التوسل به ﷺ إلى التوسل بالعباس ، عُلِمَ أنّ ما كان يُفعل في حياته قد تعذَّر بموته ، بخلاف التوسُّل الذي هو الإيمان به والطاعة له، فإنَّه مشروع دائماً"[٢] .

هذا عن القيد الأول . أمَّا الثاني: فهو خاصّ بالمتوسَّل به، وهو النبيّ ﷺ حال حياته، فلا بُدّ أن يقوم بعملٍ ما . وهذا يؤكِّد أنّ التوسّل ليس بذاته ، وإنَّما هو بدعائه وتضرّعه إلى الله. ويوضِّح ذلك فعل النبيّ ﷺ عندما توسَّل الأعرابي بدعائه وهو على المنبر: رفع يديه، وقال : "اللهمّ أغثنا ، اللهمّ أغثنا"[٣] .

فالتوسُّل المشروع: ما كان بدعائه ﷺ حال حياته، لا كما فهم من خالف قوله الكتاب والسنَّة: أنَّه توسُّل بالشخص أو الذات أو الجاه ، لا بالدعاء ، فأحدثوا عبادة لم ترد في النصوص الشرعيَّة ، فسُمِّيَ ما أحدثوه بدعة، وأُطلق على التوسُّل الذي أحدثوه: "التوسُّل البدعيّ" .

وقد تمسَّــك هــؤلاء بأدلَّة مَنْ تأمَّلها وَجَدَ أنَّها حجة عليهم ، لا لهم . ومن هذه : حديث استسقاء عمر بالعبَّاس ، وقد تقدَّم أنَّه نصّ في أنَّ التوسُّل بدعاء الشخص ، يكون حال حياته ، لا بعد مماته ، بدليل عدول الصحابة ﷺ ، وهم أفضل الأمَّة عن التوسل به ﷺ بعد موته إلى التوسل بعمه العباس ﷺ[٤] .

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية ص ٨٠-٨١ .

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية ص ٨٢ .

(٣) تقدَّم تخريجه ص ١٥٤ ، ح (٢) من هذا الكتاب .

(٤) انظر ما تقدَّم في هذه الصفحة والتي قبلها . وانظر كتاب التوسل حكمه وأقسامه ص ٤٥-٥٧ .

ومنها حديث الأعمى الذي سأل رسولَ الله ﷺ أن يدعو الله له أن يُعافيَه، فعلَّمه رسول الله ﷺ دعاء يدعو به بعد أن يتوضأ ويصلّي ركعتين -كوسيلة بين يدي الدعاء-[1] . وهذا الحديث ذكره العلماء في معجزات النبيّ ﷺ ، ودلائل نبوته، ودعائه المستجاب ، وما أظهره الله ببركة دعائه من الخوارق؛ فإنّه ﷺ بدعائه لهذا الأعمى، ردّ الله ﷻ عليه بصره، لا بتوسل الأعمى بذاته ﷺ وجاهه . ولو كان السرّ في دعاء الأعمى وحده وتوسّله بذات النبيّ ﷺ وجاهه دون دعائه، لكان كلّ من دعا بهذا الدعاء من العميان مخلصاً، يُعافى من وقته أو بعد حين .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "وكذلك لو كان كلّ أعمى توسَّل به ولم يدع له الرسول ﷺ بمنزلة ذلك الأعمى، لكان عميان الصحابة، أو بعضهم يفعلون مثل ما فعل الأعمى. فعدولهم عن هذا إلى هذا -مع أنّهم السابقون الأوّلون؛ المهاجرون والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، فإنّهم أعلم منّا بالله ورسوله ﷺ ، وما يُشرع من الدعاء وما ينفع ، وما لم يُشرع ولا ينفع وما يكون أنفع من غيره ، وهم في وقت ضرورة ومخمصة وجدب يطلبون تفريج الكربات ، وتيسير العسير ، وإنزال الغيث بكل طريق ممكن - دليلٌ على أنّ المشروع ما سلكوه دون ما تركوه"[2] .

واستدلال المخالفين بحديث الأعمى على جواز التوسّل بالذات أو الجاه مردود لما يلي:

١- إنّ الأعمى إنّما جاء طالباً الدعاء . فالمسألة من بدايتها توسّل بدعاء النبيّ ﷺ .

٢- إنّ رسول الله ﷺ وعده بالدعاء، وهو ﷺ لا يخلف وعده أبداً. وقد دعا له كما وعده .

٣- إنّ رسول الله ﷺ علّم الأعمى دعاء يدعو به ، وفيه قوله : "اللهمّ فشفّعْهُ فيَّ ، وشفّعْني فيه". والشفاعة هي الدعاء. "فشفّعْهُ فيَّ" : أي شفّع نبيَّك ﷺ فيَّ، أي اقبل دعاءه لي بأن تردّ عليّ بصري . "وشفّعْني فيه" ؛ أي اقبل دعائي في أن تقبل دعاء النبيّ ﷺ لي[3] .

وثمّة أدلّة أخرى استدلوا بها، كلّها في مصافّ الموضوعات، التي لا تنهض بها الحجّة[4] .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٣٨/٤ . والترمذي في جامعه ، كتاب الدعوات ، باب ١١٩ . وقال : حسن صحيح غريب . والحاكم في المستدرك ٥١٩/١ ، وقال : صحيح الإسناد . ووافقه الذهبي .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٢٦/١ .

(٣) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ٢٨٧/٢-٣٨٧ . والتوصل إلى حقيقة التوسل للرفاعي ص ٢٢٩-٢٣٢ . والتوسل حكمه وأقسامه ص ٥٩-٦٦ .

(٤) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٤٢/١-٣٦٨ . وكذلك : ما جمعه علي بن حسين أبو لوز من شبهاتهم في كتاب : التوسل حكمه وأقسامه ص ٧٩-١٠٣ .

المطلب الثاني

اتخاذ القبور مساجد، والبناء عليها، والصلاة إليها

من الوسائل المفضية إلى الشرك

تمهيـد: ذكرنا فيما مضى أنّ رسولنا ﷺ كان حريصاً على حماية جناب التوحيد[(١)] .

ومن مظاهر حرصه ﷺ، تلك الأحاديث الكثيرة التي قالها ﷺ يُحذّر أمّته عن سلوك الطرق التي تُفضي إلى الشرك؛ من اتّخاذ القبور مساجد، أو البناء عليها، أو الصلاة إليها .

ويُمكن تصنيف هذه الأحاديث وفق الموضوعات التالية :

أولاً– أحاديث تنهى عن اتخاذ القبور مساجد ، أو البناء عليها : ومنها :

١– مـــا جاء في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أنّ أم سلمة رضي الله عنها ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسةً رأتها بأرض الحبشة ، وما فيها من الصّوَر، فقال ﷺ : "أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح ، أو العبد الصالح ، بنَوا على قبره مسجداً وصوَّروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله"[(٢)] . ويُلاحظ الوعيد في هذا الحديث في قوله ﷺ : "أولئك شرار الخلق عند الله" ، وهذا الوعيد يتناول من اتخذ قبور الأنبياء مساجد، ومعنى اتخاذها مساجد: أي بناء المساجد عليها[(٣)]. ومعلومٌ أنّ الفتنة بالقبور كالفتنة بالأصنام ، أو أشدّ . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "وهذه العلّة التي لأجـــلها نهى الشارع ﷺ عن اتخاذ المساجد على القبور ، هي التي أوقعت كثيراً من الأمم ، إمّا في الشرك الأكبر ، أو فيما دونه من الشرك ... فإنّ الشرك بقبر الرجل الـــذي يُعتقد صلاحُه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو حجر . ولهذا تجد أهل الشرك يتضرّعون عندها ويخشعون ويخضعون ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله ولا وقت السحر، ومنهم من يسجد لها، وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء ما لا يرجونه في المساجد ..."[(٤)] . فنهى ﷺ عن بناء المساجد عليها حسماً لمادّة الشرك ، وسدًّا للطرق المفضية إليه .

---

(١) انظر ص ١٥١ من هذا الكتاب .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب : هل تُنبَش قبور مشركي الجاهلية ويُتخذ مكانها مساجد ؟ وصحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور .

(٣) انظر فتح الباري لابن حجر ١/٥٢٤ .

(٤) نقل ذلك عنه الشيخ عبد الرحمن بن حسن في كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ٣١٢ .

٢- مـــا روتـــه أمّ المؤمنين عائشة ، وابن عباس ﷺ قالا : لَمَّا نُزِلَ برسول الله ﷺ طَفِقَ يطرح خميصة له على وجهه ، فإذا اغتمَّ بها كشفها عن وجهه ، فقال وهو كذلك : "لعنةُ اللهِ على اليهودِ والنَّصارى ، اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجدَ" يُحذِّر ما صنعوا . قالت عائشة رضي الله عنها : ولولا ذلك لأُبرزَ قبره، غير أنّه خشي أن يُتَّخذ مسجداً[1] ؛ أي لولا نهيه ﷺ عن اتخاذ المساجد على القبور لكُشف قبر النبيّ ﷺ، ولم يتخذ عليه الحائل. فلعن -عليه الصلاة والسلام- في هذا الحديث من كان قبلنا ، وأنكر عليهم . وإنكاره صنيعهم هذا يخرّج على وجهين: "أحدهما: أنّهم يسجدون لقبور الأنبياء تعظيماً لهم. والـــثاني : أنّهم يُجوّزون الصلاة في مدافن الأنبياء والسجود في مقابرهم ، والتوجه إليها حالة الصلاة نظراً منهم بذلك إلى عبادة الله، والمبالغة في تعظيم الأنبياء . والأول هو الشرك الجليّ ، والثاني الخفي ، فلذلك استحقوا اللعن"[2] .

٣- مـــا رواه جندب بن عبد الله ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: "ألا وإنَّ من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، إنِّـــي أنهاكم عن ذلك"[3] . ولهذا النهي منه ﷺ "بالغ المسلمون في سدّ الذريعة في قبر الرسول ﷺ ، فأعلوا حيطان تُربته ، وسدُّوا المداخل إليها ، وجعلوها محدقةً بقبره ﷺ ، ثمّ خـــافوا أن يُتَّخذ موضع قبره قبلة إذا كان مستقبل المصلّين، فتتصوَّر الصلاة إليه بصورة العبادة ، فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليّين ، وحرّفوهما حتى التقيا على زاوية مثلث من جهة الشمال ، حتى لا يتمكن أحد من استقبال قبره"[4] .

٤- مـــا رواه جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال : نهى رسول الله ﷺ أن يُجصَّص القبر ، وأن يُقعد عليه ، وأن يُبنى عليه"[5] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب ٥٥ . وصحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور .

(٢) تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله ص ٣٢٧ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور .

(٤) المفهم شرح صحيح مسلم للقرطبي ٩٣٢/٢ .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه .

ويُلاحظ النهي عن البناء على القبور في هذه الأحاديث ، واللعن على ذلك . "فهذا التحذير منه ﷺ ، واللعن عن مشابهة أهل الكتاب في بناء المساجد على قبر الرجل الصالح صريحٌ في النهي عن المشابهة في هذا ، ودليلٌ على الحذر من جنس أعمالهم ؛ حيث لا يؤمَن في سائر أعمالهم أن تكون من هذا الجنس . ثمّ من المعلوم ما قد ابتُلِيَ به كثيرٌ من هذه الأمَّة ؛ من بناء المساجد على القبور، واتخاذ القبور مساجد بلا بناء. وكلا الأمرين محرَّمٌ ، ملعونٌ فاعله بالمستفيض من السنَّة"[١] .

٥- ما رواه أبو الهيَّاج الأسدي ، قال : قال لي عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: "أن لا تدعَ تمثالاً إلا طمستَه، ولا قبراً مُشْرِفاً إلا سوَّيْتَهُ"[٢]؛ ففي قوله : "أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته" : الأمر بتغيير صور ذوات الأرواح[٣] . وقوله : "ولا قبراً مُشْرِفاً إلا سوّيته" : أي لا يرفع القبر على الأرض رفعاً كثيراً ، ولا يُسنَّم ، بل يُرفع نحو شبرٍ ، ويُسطَّح[٥] .

قال العلامة محمَّد بن علي الشوكاني رحمه الله: "اعلم أنَّه اتفق الناس سابقهم ولاحقهم ، وأوّلهم وآخرهم ، من لدن الصحابة رضي الله عنهم إلى هذا الوقت : أنَّ رفع القبور والبناء عليها بدعة من البدع التي ثبت النهي عنها، واشتدّ وعيد رسول الله ﷺ لفاعلها "[٤] .

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله : "والتحقيق الذي لا شكّ فيه : أنّه لا يجوز البناء على القبور ، ولا تجصيصها"[٥] ... واستدلّ بالحديثين السابقين .

ثانياً : أحاديث تنهى عن الصلاة إلى القبور ، أو اتخاذها عيداً : ومنها :

الأحاديث التي تقدَّمت بالنهي عن اتخاذ القبور مساجد ، دليلٌ واضحٌ في النهي عن الصلاة إليها؛ لأنَّ من قصد القبور للصلاة عندها، أو إليها، فقد اتخذها مساجدَ وأعياداً، وارتكب ما نهى الله ورسوله عنه ، ووقع في وسيلة من وسائل الشرك الأكبر[٦] .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ٢٩٥/١ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه .

(٣) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ٣٦/٧ .

(٤) شرح الصدور بتحريم رفع القبور للشوكاني ص ١٧ .

(٥) أضواء البيان للشنقيطي ١٧٧/٣-١٧٨ .

(٦) انظر الإرشاد إلى توحيد رب العباد للشيخ عبد الرحمن بن حماد آل عمر ص ٩٧ .

وقد دلّت أحاديث كثيرة على تحريم الصلاة إلى القبور، أو اتخاذها عيداً، ومن ذلك :

١- ما رواه أبو مرثد الغنوي ﷺ عن النبيّ ﷺ أنّه قال : "لا تُصَلُّوا إلى القبور ، ولا تجلسوا إليها"[١] ؛ ففيه "تصريحٌ بالنهي عن الصلاة إلى قبر . قال الشافعيّ رحمه الله : وأكره أن يُعظَّم مخلوقٌ حتى يُجعل قبره مسجداً مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده من النّاس"[٢] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله معلّقاً على هذا الحديث : "فلا يجوز أن يُصلّى إلى شيء من القبور؛ لا قبور الأنبياء ولا غيرهم، لهذا الحديث الصحيح . ولا خلاف بين المسلمين أنه لا يشرع أن يقصد الصلاة إلى القبر ، بل هذا من البدع المحدثة ، وكذلك قصد شيء من القبور لا سيما قبور الأنبياء والصالحين عند الدعاء . وإذا لم يجز قصد استقباله عند الدعاء لله تعالى ، فدعاء الميت نفسه أولى أن لا يجوز ، كما أنه لا يجوز أن يُصلي مستقبله ، فلأن لا يجوز الصلاة له بطريق الأولى"[٣] .

٢- ما رواه أبو هريرة ﷺ عن النبيّ ﷺ أنه قال : "لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ، ولا تجعلوا قبري عيداً ، وصلُّوا عليّ ، فإنّ صلاتَكم تبلغني حيث كنتم"[٤] .

فإذا كان هذا في حقّ قبره ﷺ الذي هو أفضل قبرٍ على وجه الأرض ، فكيف بقبر غيره من البشر . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله معلّقاً على هذا الحديث : "ووجه الدلالة : أنّ قبر رسول الله ﷺ أفضل قبرٍ على وجه الأرض . وقد نهى عن اتخاذه عيداً. فقبر غيره أولى بالنهي كائناً من كان . ثمّ إنه قرن ذلك بقوله ﷺ : (ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً) : أي لا تعطّلوها عن الصلاة فيها والدعاء والقراءة ، فتكون بمنزلة القبور . فأمر بتحرّي العبادة في البيوت ، ونهى عن تحرّيها عند القبور"[٥] .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٣٨/٧ .

(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية ص ٢٩٤-٢٩٥ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣٦٧/٢ . وأبو داود في السنن ، كتاب المناسك ، باب زيارة القبور . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٣٨٣/١ .

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ٦٥٧/٢ .

وقد ذكر الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله أنّ من أعظم المحدثات وأسباب الشرك بالقبور : الصلاة عندها ، واتخاذها مساجد ، وبناء المساجد عليها . وقد تواترت النصوص عن النبيّ ﷺ بالنهي عن ذلك والتغليظ فيه[1] .

ولصحّة هذه النصوص وتواترها عن النبيّ ﷺ ، وتنوّع الوعيد الوارد فيها ، أجمع أهل العلم من أصحاب النبيّ ﷺ ومن بعدهم من سلف هذه الأمّة وجميع من سار على نهجهم على تحريم اتخاذ المساجد على القبور، أو البناء عليها، أو الصلاة إليها .

"ومن غربة الإسلام أنّ هذا الذي لعن رسول الله ﷺ فاعليه تحذيراً لأمّته أن يفعلوه معه ﷺ ومع الصالحين من أمّته، قد فعله الخلق الكثير من متأخّري هذه الأمّة، واعتقدوه قربة من القربات ، وهو من أعظم السيئات والمنكرات ، وما شعروا أنّ ذلك محادّة لله ورسوله ﷺ"[2] .

ملاحظة : لا يجوز الطواف بالقبور ، ويُعتبر شركاً ؛ لأنّ الطواف بالكعبة عبادة لله ﷻ ؛ كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾[الحج:٢٩]؛ ولا يجوز صرف هذه العبادة لغير الله تعالى . والطواف بالقبور يُعتبر تعظيماً وعبادة لصاحب القبر ، وفيه مضاهاة للطواف بالكعبة . والله ﷻ إنّما شرع حجّ بيته، والطواف به ، ولم يشرع الطواف عند غيره . فالطواف ببيته ﷻ توحيد وعبادة ونفيٌ للشرك ؛ لأنّ المعبود بحقّ أمرنا أن نصرفه إليه في ذلك المكان . قال ﷻ : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾[الحج:٢٦] [3] .

(١) انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ٣١٣ .

(٢) انظر المرجع نفسه ص ٣١٥ .

(٣) انظر الأسئلة والأجوبة في العقيدة للشيخ صالح الأطرم ص ٥٠ .

المطلب الثالث

الغلوّ في الأنبياء والصالحين ، والتبرّك بآثارهم

من الوسائل المفضية إلى الشرك

تمهيـــد: أمَّة محمَّد ﷺ هي الأمَّة الوسط ، وهي الأمَّة المجانبة للغلوّ والإجحاف ، فلا إفراط عندها ولا تفريط. وقد نُهيت هذه الأمَّة عن الغلوّ على لسان رسولها ﷺ، في قوله: "إيَّاكم والغلوّ في الدِّين ، فإنَّما أهلكَ من كان قبلكم الغلوّ في الدين"[1] .

والنهي عن الغلوّ نهيٌ عن الشرك ؛ لأنَّ الغلوّ مطيَّة الشرك بالله ﷻ ، والشرك بالله أعظم ذنبٍ عُصيَ اللهُ ﷻ به .

لذلك يجب على أبناء هذه الأمَّة الحذر منه، لئلا يهلكوا كما هلك من كان قبلهم، فيخسروا دنياهم ، ويُوبقوا أُخراهم .

ومن مظاهر الغلوّ الذي نُهينا عنه : الغلوّ في الأنبياء والصالحين ؛ فإنَّ الشياطين ما احتالت البشريَّة عن فطرتها التي فطرها الله عليها، إلا بالغلوّ في رجال صالحين، حتى قال قائلها: ﴿لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[نوح:٢٣] .

وبيان هذا المظهر من مظاهر الغلوّ الذي نُهينا عنه يُمكن في المسائل التالية :

المسألة الأولى : المبالغة في مدح الأشخاص :

المخلوق له منـــزلة لا يتعدَّاها . فإن جاوز النَّاس فيها حدَّها ، فقد غَلَوْا فيه . وإنَّما حدثت عبادة الأصنام بسبب الغلوّ في المخلوق ، وإنزاله فوق منـــزلته ، "حتى جُعِلَ فيهـــا حـــظٌّ من الإلهيَّة ، وشبَّهٌ بالله تعالى . وهذا هو التشبيه الذي أبطله الله ﷻ ، وبعث رسله بإنكاره ، والردّ على أهله"[2] .

---

(١) أخرجه النسائي في السنن ، كتاب مناسك الحج ، باب التقاط الحصى . وابن ماجه في السنن ، كتاب المناسك ، باب قدر حصى الرمي . وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٢/١٧٦-١٧٧ .

(٢) الدين الخالص لصديق حسن خان ٢/٤٤٥ .

ورسولنا ﷺ هو سيِّد ولد آدم ، وأفضل الأنبياء والمرسلين ، وأوَّل شافعٍ وأول مشفع قد حذَّرنا من الغلوّ فيه ، والإسراف في مدحه ، حتى قال ﷺ : "لا تُطْرُونِي[1] كما أطــرت النَّصارى ابن مريمَ ، فإنَّما أنا عبده ، فقولـــوا : عبد الله ورســـوله"[2] .

وحين جاءه ناسٌ فقالوا له : يا خيرَنا وابنَ خيرِنا ، وسيِّدَنا وابنَ سيِّدنا ، قال : "يا أيُّها النَّاس ! قولوا بقولكم ، ولا يستهوينَّكم الشيطان ، وأنا محمَّد عبد الله ورسوله ما أُحبّ أن ترفعوني فوق منــزلتي التي أنزلني الله ﷻ"[3] .

فـــإذا كان هذا النهيُ في حقِّه ﷺ : أن لا يُزاد في مدحه ، فغيره أولى أن لا يُزاد في مدحهم .

وليســـت المبالغة في مدحه ﷺ دليلاً على محبَّته ، فإنَّ المحبَّة إنَّما تُعلم بالاتِّباع ، ولو كان هؤلاء المسرفين في المدح صادقين في حبِّه ﷺ ، لامتنعوا عن الغلوّ فيه ؛ لأنَّه نهى عن ذلك، وأمرنا أن ننتهيَ عمَّا نهانا عنه. يقول ﷺ: "فإذا نهيتُكم عن شيءٍ فاجتنبوه ، وإذا أمرتُكم بشيء فَأْتُوا منه ما استطعتم"[4] .

ونحن نحبّه ﷺ ، وهو أحبّ إلينا من أنفسنا ، وآبائنا ، وأبنائنا ، وأهلينا ، وأموالنا .

ونعــــلم أنَّه لا طريق إلى الله إلا بمتابعته ﷺ ، وفعل ما أمر ، والانتهاء عمَّا نهى عنه وزجر . فلا نفعل ما نهانا عنه من الغلوّ فيه ، ومجاوزة الحدّ في شخصه الكريم .

المسألة الثانية : تصوير الأنبياء والصالحين ، واتخاذ تماثيل لهم :

لقد كان سبب وقوع أوَّل شركٍ في بني آدم ، هو الغلوّ في الأشخاص وتقديسهم ، واتخاذ تماثيل لهم ؛ فقد روى البخاري في صحيحه، عن ابن عباس –رضي الله عنهما –

---

(١) الإطراء : المدح والزيادة في الثناء . (المعجم الوسيط لجماعة من المؤلفين ص ٥٥٦) .

(٢) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى : ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ﴾ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٥٣/٣ ، ٢٤١ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام ، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ .

قـــال : "صـــارت الأوثان التي كانت في قوم نوحٍ في العرب بعد ، أمّا وَدٌّ فكانت لكـــلْب بدومة الجندل ، وأمّا سُواعٌ فكانت لِهُذَيل ، وأمّا يغوثُ فكانت لمراد ، ثمّ لبني غُطيف بالجرف عند سبأ ، وأمّا يعوق فكانت لهمْدان ، وأمّا نَسْرٌ فكانت لحِمْيَر لآل ذي الكَلاع ؛ أسماء رجالٍ صالحين من قوم نوح ، فلَمّا هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهـــم أن انْصِبُوا إلى مجالسهم التي كانوا يجْلِسُون أنصاباً ، وسمُّوها بأسمائهم ، ففعلوا . فلم تُعبد ، حتى إذا هلك أولئك وتَنَسَّخَ العلمُ عُبِدَت"[١] .

فـــ"أوّل ما حدثت الأصنام على عهد نوحٍ ﷺ ، وكانت الأبناء تبرّ الآباء ، فمات رجلٌ منهم، فجزع عليه، فجعل لا يصبر عنه؛ فاتخذ مثالاً على صورته، فكلما اشتاق إليه نظره . ثمّ مات ففُعِلَ به كما فَعَلَ ، حتى تتابعوا على ذلك . فمات الآباء ، فقال الأبناء : ما اتخذ آباؤنا هذه إلا أنها كانت آلهتهم . فعبدوها"[٢] .

فكـــان تســـاهلهم في تصوير هؤلاء الصالحين ، وتعليق صورهم في مجالسهم ، من أسباب عبادة ذريّتهم لهذه التماثيل من دون الله ﷻ . يقول الإمام القرطبي رحمه الله : "إنّما فعل ذلـــك أوائلهم ليأتنسوا برؤية تلك الصور ، ويتذكّروا بها أحوالهم الصالحة ، فيجتهدون كاجتهادهم ، ويعبدون الله تعالى عند قبورهم . فمضت لهم بذلك أزمان . ثم إنه خلف مـــن بعدهم خَلفٌ جهلوا أغراضهم ، ووسوس لهم الشيطان أنّ آباءهم وأجدادهم كانوا يعبدون هذه الصور ويُعظّمونها . فعبدوها . فحذّر النبيّ ﷺ من مثل ذلك ، وشدّد النكير والوعيد على فعل ذلك ، وسدّ الذرائع المؤدّية إلى ذلك"[٣] .

وقد دلّت الأحاديث الكثيرة على تحريم التصوير، خشية أن يؤدّي تعليقها ، والافتتان بها إلى عبادتها من دون الله ﷻ ، ومن هذه الأحاديث :

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب ﴿ وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ﴾ .

(٢) فتح الباري لابن حجر ٦٦٩/٨ .

(٣) المفهـــم شـــرح صحيـــح مسلم للقرطبي ٩٣١/٢-٩٣٢ . وانظر : الجـــامع لأحكـــام القرآن له ١٩٨/١٨-١٩٩ . والمجموع الثمين للشيخ ابن عثيمين ٢٤٩/٢ .

١- ما تقدَّم عن أبي الهيَّاج الأسدي، من قول عليّ بن أبي طالب ﷺ له : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ:"أن لا تدعَ تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مُشرِفاً إلا سوَّيته"(١) .

٢- قوله ﷺ : "إنَّ أشدَّ النَّاس عذاباً يوم القيامة المصوّرون"(٢). وفيه حرمة تصوير الحيوان.
قال النووي : "قال العلماء : تصوير صورة الحيوان حرامٌ شديد التحريم ، وهو من الكبائر ؛ لأنَّه متوعّد عليه بهذا الوعيد الشديد ، وسواء صنعه لِما يُمتهن أم لغيره ، فصنعه حرام"(٣) .

٣- وجاء رجلٌ إلى عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما- ، فقال : يا أبا عبَّاس ! إنِّي إنسانٌ إنَّما معيشتي من صَنعةِ يدي، وإني أصنع هذه التصاوير. فقال ابن عبَّاس: لا أُحدِّثك إلا ما سمعتُ من رسول الله ﷺ ، سمعته يقول : "مَنْ صوَّر صورةً فإنَّ الله مُعَذِّبُهُ حتى يَنْفُخَ فيها الروح ، وليس بنافخٍ فيها أبداً" فَرَبَا الرجلُ رَبوةً شديدةً واصْفرَّ وجهه . فقال ابن عباس : ويحك إن أبيتَ إلا أن تصنعَ ، فعليك بهذا الشجر ؛ كلِّ شيءٍ ليس فيه روح(٤) .

٤- وقد دخل أبو هريرة ﷺ إلى دار مروان بن الحكم ، فرأى فيها تصاويرَ . فقال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : "قال الله ﷻ : ومَن أظلم مِمَّن ذهب يَخْلُقُ خَلْقاً كخَلْقِي ؟ فلْيَخْلُقوا ذَرَّةً ، أو لِيَخْلُقُوا حَبَّةً ، أو لِيَخْلُقُوا شَعِيرةً"(٥) .

---

(١) تقدَّم تخريجه ص ١٥٩ من هذا الكتاب .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب اللباس ، باب عذاب المصوِّرين يوم القيامة . وصحيح مسلم ، كتاب اللباس والزينة ، باب تحريم تصوير صورة الحيوان ، وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه .

(٣) نقله عنه ابن حجر في فتح الباري ٣٨٤/١٠ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، باب بيع التصاوير التي ليس فيها روحٌ ، وما يُكره من ذلك . وصحيح مسلم ، كتاب اللباس والزينة ، باب تحريم تصوير صورة الحيوان ..

(٥) صحيح البخاري ، كتاب اللباس ، باب نَقْضُ الصُّوَر . وصحيح مسلم ، كتاب اللباس والزينة ، باب تحريم تصوير صورة الحيوان . واللفظ لمسلم .

المسألة الثالثة : التبرُّك بآثار الأنبياء والصالحين :

التبرُّك : طلبُ البركة . والبركةُ : كثرةُ الخير ، وزيادته ، واستمراره[١] .

والشـــيء الذي يُتَبَرَّك به ، قد يكون فيه بركة دينيَّة ، وقد يكون فيه بركة دنيويَّة ، وقد يكون فيه بركة دينيَّة ودنيويَّة معاً .

فمثال الأول : المساجد الثلاثة : المسجد الحرام ، ومسجد رسول الله ﷺ ، والمسجد الأقصى ، لما فيها من الأجر العظيم لمن صلَّى فيها ، وغير ذلك .

ومثال الثاني : الماء واللبن ، لما فيهما من المنافع الدنيوية الكثيرة .

ومـــثال الثالث : القرآن ؛ ففيه منافع دينيَّة ودنيويَّة كثيرة . ويكفي أنَّ من تمسَّك به أفلح في الدنيا والآخرة ، وهو شفاء للقلوب والأبدان[٢] .

والتبرُّك المقصود في هذه المسألة ، هو التبرُّك بالأشخاص ، وهو ينقسم إلى قسمين :

١- تبرُّك بذواتهم . ٢- وتبرُّك بآثارهم .

وكلا النوعين يكون شركاً إذا اعتقد المتبرِّك أنَّ المتبرَّك به يهب البركة بنفسه؛ فيُبارِك في الأشياء استقلالاً ، أو يُطلب منه الخير والنَّماء فيما لا يقدر عليه إلا الله .

وإنَّما قلنا بأنَّه شركٌ لأنَّ الله موجِد البركة وواهبُها، والعباد ســببٌ . يقول ﷺ حين تفجَّر الماء من بين أصابعه : "البركةُ من الله"[٣] . ويقول -عليه الصلاة والسلام- مخاطباً مولاه ﷻ : "والخيرُ كلُّه في يديك"[٤] .

أمَّا إذا لم يعتقد المتبرِّك في المتبرَّك به أنَّه واهب البركة ، بل نسب ذلك إلى الله ﷻ ، فالأمر فيه تفصيل؛ لأنَّ المتبرَّك به قد يكون رسول الله ﷺ، أو يكون غيره من الأولياء والصالحين .

أولاً : المتبرَّك به هو رسول الله ﷺ :

إن كان المتبرَّك به هو رســـول الله ﷺ ، فلا شـــكَّ أنَّ رسولنا ﷺ مبارَكٌ في ذاته وآثاره ، كما كان مباركاً في أفعاله[٥] .

---

(١) انظر : معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢٣٠/١ . وتهذيب اللغة للأزهري ٢٣١/١٠ .

(٢) انظر : التبرُّك : أنواعه وأحكامه للدكتور ناصر بن عبد الرحمن الجديع ص ٤٣ . ومذكرة العقيدة الإسلاميَّة للدكتور عبد الله بن جبرين ص ٩٣ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الأشربة ، باب شُرب البرَكة ، والماء المبارك .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه .

(٥) انظر التبرك : أنواعه وأحكامه للدكتور ناصر الجديع ص ٢٤٣ .

ولقد تبرَّك صحابته ﷺ بذاته ﷺ ، وبآثاره الحسـيَّة المنفصلة منه ﷺ في حياتـه ، وأقرَّهم ﷺ على ذلك، ولم يُنكر عليهم. ثمّ إنَّهم ﷺ تبرَّكوا ومن أتى بعدهم من سلف هذه الأمَّة الصالح بآثاره ﷺ بعد وفاتـه ، مِمَّا يدلّ على مشروعيَّة هذا التبرُّك[١] .

فقد تبرَّكت أمّ المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- بيده الشريفة، فكانت تقرأ عليه بالمعوّذات حين اشتدّ وجعه ، وتمسح عليه بيده نفسـه ، رجاء بركتهـا -كما قالت-[٢] .

وكان الصحابة ﷺ يمسحون بيديه ﷺ ، ويضعونها على وجوههم رجاء بركتها[٣] .

وكانوا يتبرَّكون بشـعره ﷺ ، وقـد أقرَّهم على ذلك ، بل إنَّه وزَّعـه عليهم[٤] .

وكانوا يتبرَّكون بعرقه[٥] وبريقه[٦] ﷺ، وبنخامته فيدلكون بها وجوههم وجلودهم[٧] .

وكتب السنَّة مليئة بتبرُّك أولئك الأخيار بسيِّد المصطفين الأطهار ﷺ في حياته، وبعد وفاته[٨].

ولقـد كانت أعظم بركة نالوها : اتباعه ﷺ ، والاقتداء به ، والسير على منهاجه .

يقـول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "كما كان أهل المدينة لَمَّا قدِمَ عليهم النبيّ ﷺ في بركته لما آمنوا به وأطاعوه. فببركة ذلك حصل لهم سـعادة الدنيا والآخرة . بل كلّ مؤمنٍ آمن بالرسول ﷺ وأطاعه حصل له من بركة الرسول ﷺ بسبب إيمانه وطاعته من خير الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله"[٩] .

---

(١) انظر المرجع نفسه ص ٢٤٤ .

(٢) تقدّم تخريج حديثها في ص ١٣٨ ، ح (٤) من هذا الكتاب .

(٣) انظر صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب صفة النبيّ ﷺ ،، وصحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب قرب النبيّ عليه الصلاة والسلام من الناس وتبركهم به .

(٤) انظر صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب بيان أن السنة يوم النحر : أن يرمي ثم ينحر ثم يحلق .

(٥) انظر صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب طيب عرق النبي ﷺ والتبرك به .

(٦) انظر صحيح البخاري ، كتاب العقيقـة ، باب تسـمية المولود غداة يولد لمن لم يعق عنه وتحنيكه ،، وصحيح مسلم ، كتاب الآداب ، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته .

(٧) انظر صحيح البخاري ، كتاب الشروط ، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحروب .

(٨) انظر تفصيل ذلك في كتاب : التبرك : أحكامه وأنواعه للدكتور ناصر الجديع ص ٢٤٣-٢٦٠ .

(٩) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١١٣/١١ .

ثانياً : المتبرَّك به غير رسول الله ﷺ ؛ من الأولياء والصالحين :

لم يَرِد دليلٌ صحيحٌ يُجيز التبرُّك بغير النبيّ ﷺ. وهذا يجعل التبرُّك بأجساد الصالحين وآثارهم يدخل في دائرة التبرُّك البدعي. "لذلك لم يَرِد عن أحد من أصحاب النبيّ ﷺ، ولا عن أحدٍ من التابعين أنّهم تبرّكوا بأحد من الصالحين ؛ فلم يتبرّكوا بأفضل هذه الأمَّة بعد نبيِّها ، وهو أبو بكر الصدِّيق ﷺ ، ولا بغيره من العشرة المبشَّرين بالجنَّة ، ولا بأحدٍ من أهل البيت، ولا غيرهم. ولو كان خيراً لسبقونا إليه ؛ لحرصهم الشديد على فعلِ جميع أنواع البرّ والخير"[١] .

وقـــد أجمعوا كلُّهم ﷺ على ترك التبرُّك بجسد أو آثار أحدٍ غير رسول الله ﷺ[٢] . فدلّ ذلك على عدم مشروعيَّة هذا التبرُّك .

ولا يجوز أن يُقاس على رسول الله ﷺ أحدٌ من البشر لوجوه[٣] ، منها :

١- عدم المقاربة، فضلاً عن المساواة للنبيّ ﷺ في الفضل والبركة ؛ فليس أحدٌ من الأولياء أو الصالحين يُقاس برسول الله ﷺ في فضله أو بركته . .

٢- عدم تحقُّق الصلاح ؛ فإنّه لا يتحقّق إلا بصلاح القلب . وهذا أمرٌ لا يُمكن الاطّلاع عـــليه إلا بنصّ ؛ كالصحابة الذين أثنى الله عليهم ورسوله ، أو أئمة التابعين ، ومن اشتهر بصلاحٍ ودينٍ، كالأئمة الأربعة ونحوهم من الذين تشهد لهم الأئمة بالصلاح . أمَّا غيرهم ، فغاية الأمر أن نظنّ أنّهم صالحون ، فنرجو لهم .

٣- لو ظنَنّا صلاح شخصٍ ، فلا نأمن أن يُختم له بخاتمة سوء . والأعمال بالخواتيم . فلا يكون أهلاً للتبرُّك بآثاره .

٤- أنّ الصـــحابة ﷺ لم يكونوا يفعلون ذلك مع غير رسولنا ﷺ لا في حياته ، ولا بعد موته . ولو كان خيراً لسبقونا إليه .

إذاً : ليس لأحد أن يتبرَّك بجسد أو آثار أحد كائناً من كان ، لإجماع الصحابة على ترك التبرُّك بأجساد أو آثار غيره ﷺ من الأولياء والصالحين .

---

(١) مذكرة في العقيدة الإسلامية للدكتور عبد الله بن جبرين ص ٩٥ .

(٢) ممَّن نقل إجماعهم على ذلك : الإمام الشاطبي في الاعتصام ٢/٨-٩. والعلامة صديق حسن خان في الدين الخالص ٢/٢٤٩-٢٥٠ ، والشيخ سليمان بن عبدالله في تيسير العزيز الحميد ص ١٨٦ . والشيخ عبد الرحمن بن حسن في فتح المجيد ص ١٨٨ ، وغيرهم .

(٣) انظرها في تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص ١٨٦ .

المطلب الرابع

الأعياد والاحتفالات البدعيّة

من الوسائل المفضية إلى الشرك

تمهيد: شرَعَ الله لأمّة محمّد ﷺ عيدَيْن سنويَّيْن، وعيداً أسبوعيًّا، "ففي الدنيا للمؤمنين ثلاثة أعياد : عيدٌ يتكرَّر كلّ أسبوع، وعيدان يأتيان في كلّ عامٍ مرَّة مرَّة، من غير تكرُّر في السنة"[١] ، وهما عيد الفطر وعيد الأضحى .

فلا يجوز إحداث أعيـــاد أو احتفـــالات أُخرى . بل كلُّ ما أُحدِث يدخل تحت مسمَّى البدعة التي نهى عنها رسول الله ﷺ بقوله : "وشرُّ الأمور محدَثاتُها ، وكلّ بدعة ضلالةٌ"[٢] .

يقول الحافظ ابن رجب رحمه الله : "وأصل هذا أنّه لا يُشرع أن يتخذ المسلمون عيداً ، إلا ما جاءت الشريعة باتّخاذه عيداً ، وهو يوم الفطر ، ويوم الأضحى وأيّام التشـــريق ، وهي أعياد العام ، ويوم الجمعة ، وهو عيد الأسبوع . وما عدا ذلك فاتّخاذه عيداً وموسماً بدعة لا أصل له في الشريعة"[٣] .

وقد أحدث النّاس أعياداً لم يشرعها الله ﷻ ، ولا رسوله ﷺ ، فابتدعوا في دين الله، وزادوا فيه ونقصوا، وعارضوا بصنيعهم قول الله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: من الآية٣] .

وقد قسَّم الدكتور عبد الله بن جبرين ما أحدثه النّاس من الأعياد والاحتفالات إلى ثلاثة أنواع[٤] :

---

(١) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف لابن رجب الحنبلي ص ٤٨٠ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة .

(٣) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف لابن رجب الحنبلي ص ٢٢٨ .

(٤) انظر مذكرة العقيدة الإسلاميّة للدكتور عبد الله بن جبرين ص ١٦١-١٦٩ .

النوع الأوّل : أيّام لم تُعظِّمها الشريعة أصلاً، و لم يحدث فيها حادث له شـــأن. ومن أمثلة هذا النوع : ما أُحدِث في شهر رجب من عبادات ؛ صلاةٍ ، أو صيامٍ ، أو زكاة ، أو غـــير ذلك . يقول الحافظ ابن رجب : "فأمَّا الصلاةُ فلم يصحّ في شهر رجب صلاةٌ مخصوصـــةٌ تختصّ به ، والأحاديث المرويّة في فضل صلاة الرغائب في أوّل ليلة جمعة من شهر رجب كذبٌ، وباطلٌ لا تصحّ . وهذه الصلاة بدعة عند جمهور العلماء"[١]. "وأمَّـــا الصيام فلم يصحّ في فضل صوم رجب بخصوصه شيء عن النبيّ ﷺ ولا عن أصحابه ﷺ"[١] . "وأمَّا الزكاة فقد اعتاد أهلُ هذه البلاد إخراج الزكاة في شهر رجب، ولا أصل له في السُّنَّة، ولا عُرِف عن أحدٍ من السلف"[٢] .

النوع الثاني : أيام وليالي جاء في الشـــرع ما يدلّ على فضلها . فهذه يتقيَّد المسلم بالعبادات المشـــروعة فيها ، ولا يُحدِث عبادات ليس لها أصلٌ في الشـــرع . ومن أمثلة هذا النوع ما أُحدِث في ليلة النصف من شعبان من صلاة الألفيَّة ، وغير ذلك . وهذه الصلاة المحدَثة –كما ذكر العلامة ابن القيم– وُضِعَت في الإسلام بعد أربعمائة سنة من هجرة رسول الله ﷺ[٣] .

النوع الثالث : أيام وليالي حدثت فيها حوادث مهمَّة ، ولكن لم يأت في الشرع ما يدلّ على فضلها ، أو على مشروعيَّة التعبُّد لله أو الاحتفال فيها . ومن أمثلة هذا النوع :

١- حادثة الإسراء والمعراج :

فالإسراء والمعراج حادثتان ثابتتان في كتاب الله ﷻ، وفي سنَّة رسول الله ﷺ، ولكن لم يـــرد في تحديد وقتهما حديث صحيح ولا ضعيف . بل ليس هناك ما يُعتمد عليه في تحديد الشهر الذي حدثتا فيه. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " لم يقم دليلٌ معلومٌ لا على شهرها، ولا على عشرها، ولا على عينها، بل النقول في ذلك منقطعة مختلفة، ليس فيها ما يُقطع به"[٤] .

---

(١) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف لابن رجب الحنبلي ص ٢٢٨ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٣١ .

(٣) انظر المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن القيم ص ٩٩ .

(٤) نقله عنه تلميذه ابن القيم في كتابه : زاد المعاد ٥٧/١ . وانظر فتح الباري لابن حجر ٢٠٣/٧ ، فقد ذكر اختلاف النَّاس الكبير في تحديد وقتها .

ولو ثبت أنَّ هذه الحادثة وقعت في ليلة بعينها، فلا يجوز تخصيصها، أو تفضيلها على غيرها من الليالي بشـــيء من العبادات ، لعدم ورود الشـــرع بشـــيء من ذلك . ومن فعل شيئاً من ذلك فقد ابتدع في دين الله ما ليس منه. يقول الشيخ علي محفوظ رحمـــه الله عن ابتداع أصحاب هذا العصر احتفالات ما أنزل الله بها من سلطان : "ومنها ليلة المعراج التي شرَّف الله تعالى هذه الأمَّة بما شرع لهم فيها . وقد تفنَّن أهل هذا الزمان بما يأتونه في هذه الليلة من المنكرات، وأحدثوا فيها من أنواع البدع ضروباً كثيرة ؛ كالاجتماع في المساجد ، وإيقاد الشموع والمصابيح فيها وعلى المنارات ، مع الإسراف في ذلك ، واجتماعهم للذكر والقراءة ، وتلاوة قصَّة المعراج"(١) .

٢- حادثة المولد النبويّ :

لم يســـتطع العلمـــاء تحديد ليلة بعينها وُلِدَ فيها رسولنا ﷺ ، بل ولا شهرٍ بعينه ، وبينهم في ذلك خلافٌ مشهورٌ . فمنهم من قال إنَّه وُلِد في رجب ، ومنهم من قال في رمضان، ومنهم من قال في ربيع الأوَّل. حتَّى من قالوا إنَّه ﷺ وُلِدَ في ربيع الأول اختلفوا في تحديد يوم مولده : أهو الثاني ، أو الثامن ، أو العاشر ، أو الثاني عشر ، أو السابع عشر ، أو الثامن عشر ، أو الثاني والعشرين(٢) .

وأتـــى العبيديُّون في القرن الرابع الهجري ، فجزموا أنَّ مولده ﷺ كان في شهر ربيع الأول ؛ في الثاني عشر منه ، وأحدثوا الاحتفـــال فيه(٣) ، فخالفوا ما عليه المسلمون طيلة أربعة قرون . على الرغم من عدم وجود ما يُرجِّح قولهم .

والذي أجمع عليه العلماء : أنَّ الأمَّة الإسلاميَّة أُصيبت في هذا الشهر بأعظم مُصاب، وهو وفاته ﷺ، والذي عليه جمهورهم أيضاً: أنَّها كانت في الثاني عشر من هذا الشهر(٤) .

---

(١) الإبداع في مضارّ الابتداع لعلي محفوظ ص ١٤١ .

(٢) انظر في ذلك : الطبقات الكبرى لابن سعد ١/١٠٠-١٠١ . والسيرة النبوية لابن هشام ١/١٥٨ . وتاريخ الإسلام للذهبي -قسم السيرة ص ٢٥-٢٦- . والبداية والنهاية لابن كثير ٣/٣٧٣-٣٨٠ .

(٣) انظر المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي ١/٤٢٣-٤٣٣ .

(٤) انظر في ذلك : الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/٢٧٢-٢٧٥ . وتاريخ الإســـلام للذهبي -قسم السيرة ص ٥٦٨-٥٧١- . وفتح الباري لابن حجر ٨/١٢٩ . ولطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف لابن رجب الحنبلي ص ٢١٢ .

فمن احتفل بمولده ﷺ في شهر ربيع الأول، وفي الثاني عشر منه، فإنَّما يحتفل بمصاب الأمَّة؛ لِما تقدَّم من إجماع العلماء على أنَّ وفاته ﷺ كانت يوم الاثنين، في شهر ربيع الأوَّل ، وقول جمهورهم أنَّها في الثاني عشر منه. وليس من محبته أن نقيم احتفالاً يوم وفاته .

ولــو فُرِضَ أنَّ مولده ﷺ كان في هذا الشهر ، وفي الثاني عشر منه ، لَما جاز لأحد أن يحتفل بهذه المناسبة ؛ لعدم ورود دليلٍ شرعيّ يُجيز ذلك ؛ ولأنَّ الصحابة ﷺ لم يفعلوه ، مع أنَّهم أشدّ اتباعاً له ﷺ ، وأشدّ حبًّا مِمَّن أتى بعدهم . وكذلك لم يفعله أهــل القرون الثلاثة المفضَّلة . فلو كان خيراً لسبقونا إليه . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في شأن اتخاذ مولد النبيّ ﷺ عيداً : "فإنَّ هذا لم يفعله السلف، مع قيام المقتضى لــه ، وعــدم المانع فيه لو كان خيراً . ولو كان هذا خيراً محضاً أو راجحاً ، لكان السلف ﷺ أحقّ به منَّا ؛ فإنَّهم كانوا أشدّ محبّة لرسول الله ﷺ وتعظيماً له منَّا ، وهم على الخير أحرص . وإنَّما كمال محبّته وتعظيمه في متابعته ، وطاعته ، واتباع أمره ، وإحياء سنَّته باطناً وظاهراً، ونشر ما بُعث به، والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان. فإنَّ هذه طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان"[١] .

"ولا أدلّ على عدم احتفال السلف الصالح بالمولد النبويّ من اختلافهم في تعيين تاريخ ولادته ﷺ ، فلو كان يُشرع فيها شيء من العبادات –على سبيل الافتراض– لعيَّنها الصحابة واهتمّوا بها ، ولكانت معلومة مشهورة"[٢] .

"وبالجملة فإنَّه ينبغي للمسلم الذي يُحبّ الله تعالى ، ويحبّ نبيّه ﷺ أكثر مِمَّا يُحبّ نفســه وولده ، أن يسير على خطى ومنهج الحبيب محمَّد بن عبد الله ﷺ –فداه أبي وأمّي– ، وأن يُكثر من قراءة وحفظ الكتاب الذي أُنزل عليه ، ومن حِفْظِ وتدارس سنّته وسيرته في كلّ أيام وليالي العام ، وأن يُكثر من الصلاة والسلام عليه في جميع الأوقات ، وبالأخصّ في كلّ يوم جمعة وليلتها من كلّ أسبوع "[٣] .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ٦١٥/٢ .

(٢) التبرك : أنواعه وأحكامه للجديع ص ٣٦٣ .

(٣) مذكرة العقيدة الإسلامية للدكتور ابن جبرين ص ١٦٨ .

الفصل الثاني

الكفر ، وأنواعه

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : معنى الكفر .

المبحث الثاني : أنواع الكفر الأكبر .

المبحث الثالث : أنواع الكفر الأصغر .



المبحث الأول

معنى الكفر

معنى الكفر لغةً :

الكفر في اللغة : الجحود . وأصله من الكَفْرِ ، وهو السَّتْرُ والتغطية . يُقال : كَفَرَ الشيءَ كَفْراً : سَتَرَهُ وغطَّاه . ويُقال : كَفَرَ الزارعُ البذورَ بالتراب ، غطَّاها وستَرَها ، فهو كافر. وكَفَرَ الترابُ ما تحته : غطَّاه. وكَفَرَ الليلُ الأشياءَ بظلامه، غطَّاها وسَتَرَها، فهو كافر . وتَكَفَّرَ بالشيء : تَغَطَّى به وتَسَتَّر . وكَفَرَ نعمةَ اللهِ ، وكَفَرَ بها كُفُوراً وكُفْراناً : جَحَدَها وسَتَرَها[١] .

معنى الكفر في الشرع :

الكفر ضدّ الإيمان ، ويُعَرَّف شرعاً بأنّه : جحدُ ما لا يتمّ الإسلام بدونه . أو جحدُ ما لا يتمّ كمال الإسلام بدونه[٢] .

والصلة بين المعنيّين : أنَّ جاحد الحقّ كأنّه ساترٌ له، مغطّيه ، وجاحد نعم الله : كأنّه ساترٌ لها ، مُغطّيها[٣] .

ملاحظة هامّة :

التكفير من الأحكام الشرعيَّة –التي يُطلقها الشارع– ، فلا يجوز لأحد إطلاقه بمجرّد الهوى ، أو بقياسٍ عقليٍّ ، أو نحو ذلك ، بل هو حقٌّ لله ورسوله ﷺ ، فلا يُطلق هذا الوصف على أحدٍ إلا بعد استحقاقه له . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : "فإنّ الإيجاب والتحريم والثواب والعقاب والتكفير والتفسيق هو إلى الله ورسوله ، ليس لأحد في هذا حكمٌ، وإنَّما على النَّاس إيجاب ما أوجبه الله ورسوله، وتحريم ما حرَّمه الله ورسولُه"[٤] .

---

(١) انظر : أساس البلاغة للزمخشري ص ٥٤٧ . ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس ٥/٩ . والقاموس المحيط للفيروزآبادي ص ٦٠٥-٦٠٦. ولسان العرب لابن منظور ٥/١٤٤ . ومفردات غريب القرآن للأصفهاني ص ٤٣٤ . والمعجم الوسيط لجماعة من المؤلفين ص ٧٩١-٧٩٢ .

(٢) انظر: أعلام السنة المنشورة لحافظ الحكمي ص ١٤٦. و المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للبريكان ص١٨١.

(٣) انظر القاموس المحيط للفيروزآبادي ص ٦٠٥ .

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٥/٥٤٥ .

المبحث الثاني

أنواع الكـفــر الأكـبـر

تمهيد : الكفـــر نوعان : كفرٌ أكبر ، وكفرٌ أصغر . فالكفر الأكبر اعتقاديٌ ، يُخرج من الإيمان بالكليَّة . والكفر الأصغر عمليٌ ، يُنافي كمال الإيمان ، ولا يُنافي مطلقه ، فهو لا يُخرج من الإيمان بالكليَّة ، بل يُنقص من كماله[١] .

والحديـــث في هذا المبحث منصبٌ على الكفر الأكبر ، وهو الاعتقاديّ ، الذي يُنافي الإيمان ، ويُضـــادّه من كلّ وجه، ويُخرج صاحبه عن الدين والملّة، ويُوجب له الخلود في النّار، كما قال ﷻ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة:٦] .

وإنّما قُلنا عن هذا النوع إنّه اعتقاديّ ، لأنّ مقرَّه القلب .

وقُلنا إنّه يُنافي الإيمان ويُضادّه، لأنّنا عرَّفنا الإيمان بأنّه قولٌ وعملٌ؛ "قول القلب وعمله، وقول اللسان ، وعمل الجوارح" ، فإذا زالت هذه الأربعة ، زال الإيمان بالكليَّة ، وإذا زال تصديق القلب ، لم تنفع البقيَّة[١] . والكافر جاحدٌ غير مصدِّق كما بيَّنّا ذلك آنفاً .

والكفر الأكبر أنواع متعدّدة، مَنْ لَقِيَ الله بنوعٍ منها، لم يُغفر له، وقد ذكر بعضها العلامة ابن القيم رحمه الله بقوله: "وأمَّا الكفر الأكبر، فخمسة أنواع: كفر تكذيب، وكفر استكبار وإباء مع التصديق ، وكفر إعراض ، وكفر شكّ ، وكفر نفاق"[٢] .

ومن أنواع الكفر الأكبر أيضاً : كفر البُغض ، والكفر بدعوى علم الغيب .

وسأقتصر على ذكر بعض أنواع الكفر الأكبر –بإذن الله– في المطالب التالية :

---

(١) انظر أعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ الحكمي ص ١٤٧ .

(٢) مدارج السالكين لابن القيم ٣٦٦/١ .

المطلب الأول

من أنواع الكفر الأكبر : كفر الجحود

أولاً : تعـريفه : هو أن يعرف الإنسانُ الحقَّ بقلبِه ، لكنَّه لا يُقرّ به ولا يعترف به بلسـانه ، وبالتالي لا ينقاد بجوارحه ، فهو جاحدٌ له ظاهراً ، مع معرفته باطناً (١) .

ثانياً : من الأمثلة عليه ، مع الأدلّة :

١- كُفرُ فرعون وقومه؛ حيث جحدوا الله ﷻ بألسنتهم، مع معرفتهم له بقلوبهم. كما قال ﷻ عنهم : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [النمل:١٤] ، وعلّلوا جحودهم بقولهم -كما حكى الله عنهم- : ﴿ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴾ [المؤمنون:٤٧] .

٢- كفرُ اليهود؛ حيث جحدوا نبوّة رسولنا ﷺ، وكتموا أمره، وكتموا صفاته الموجودة في كتبهم، على الرغم من معرفتهم له كمعرفتهم لأبنائهم، يقول ﷻ عنهم: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٤٦]، ويقول ﷻ: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: من الآية٨٩] .

ثالثاً : نوعا كفر الجحود : قسَّم العلامة ابن القيم رحمه الله كفر الجحود إلى نوعين : جحود مطلق عامّ، وجحود مقيَّد خاصّ. "فالمطلق: أن يجحد جملةً: ما أنزل الله، وإرساله الرسول. والخاص المقيَّد: أن يجحد فرضاً من فروض الإسلام ، أو تحريم محرَّم من محرَّماته ، أو صفةً وصف الله بها نفسه، أو خبراً أخبر الله به ؛ عمداً، أو تقديماً لقول من خالفه عليه، لغرضٍ من الأغراض"(٢) .

رابعاً : أمرٌ يجدر التنبيه إليه : من جحَد شيئاً ممَّا تقدَّم ذكره -في أمثلة الجحود الخاص المقيَّد- "جهلاً ، أو تأويلاً يُعذر فيه صاحبه ، فلا يكفر صاحبُه به ؛ كحديث الذي جحدَ قُدرة الله عليه، وأمر أهله أن يحرقوه ويذروه في الريح. ومع هذا فقد غفر الله له، ورحمه لجهله؛ إذ كان ذلك الذي فعله مبلغ علمه، و لم يجحد قدرة الله على إعادته عناداً أو تكذيباً"(٢) .

---

(١) انظر : أعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ الحكمي ص ١٤٨ . ومدخل لدراسة العقيدة الإسلاميَّة لعثمان جمعة ضميريَّة ص ٣٣٧ .

(٢) مدارج السالكين لابن القيم ٣٦٧/١ . والحديث في صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، ح ٧٥٠٨ .

المطلب الثاني

من أنواع الكفر الأكبر : كفر الإباء والاستكبار

أولاً : تعريفه : هو أن يعرفَ الإنسانُ الحقَّ بقلبِهِ ، ويعترف به بلســـانه ، ولكنَّه يأبى أن يقبله أو يدينَ به ؛ إمَّا أشراً وبطراً ، وإمَّا احتقاراً له ولأهله ، أو لسببٍ آخر[١] .

ثانياً : من الأمثلة عليه ، مع الأدلَّة :

١- كفر إبليس؛ فإنَّه لم يجحد أمر الله ﷻ، ولا قابله بالإنكار ، وإنَّما تلقَّاه بالإباء والاستكبار[٢] ؛ كما قال ﷻ : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٣٤] .

٢- كُفْرُ مَنْ عَرَفَ صدق الرسول ﷺ، وأنَّه جاء بالحقّ من عند الله ﷻ ؛ عَرَفَ ، وأقــرَّ بذلـــك ، ولم يشكَّ في صدقه ، لكنَّه لم ينقد إليه إباء واستكباراً ، أو أخذته الحميَّة وتعظيم الآباء أن يرغب عن ملّتهم، أو يشهد عليهم بالكفر[٢] .

وخيرُ من يُمثِّل هذه الحال : أبو طالب عمّ رسول الله ﷺ ، الذي عرف صدق ابن أخيه ، واعترف بذلك قائلاً :

ولقد علمتُ بأنَّ دينَ محمَّدٍ ... من خيرِ أديان البريَّة دينـــاً

لولا الملامة أو حذار مسبَّةٍ ... لوجدتني سمحاً بذاك مبيناً[٣]

لكنَّ هذه المعرفة والإقرار لم ينفعاه ؛ لأنَّه أبى أن ينقاد ويقول : "لا إله إلا الله محمَّد رسول الله"، خشية أن يُقال : ترك دين آبائه وأجداده . وقد سأل العبَّاس ﷺ رسولَ الله ﷺ عن حال أبي طالب في الآخرة ، فأجابه:"هو في ضحضاحٍ من نار ، ولولا أنا لكان في الدَّرْك الأسفلِ من النَّارِ"[٤] ؛ فهو خالدٌ في النَّار ، لكنّ عذابه أهون من غيره .

---

(١) انظر : أعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ الحكمي ص ١٤٩ . ومدخل لدراسة العقيدة الإسلاميَّة لعثمان جمعة ضميريَّة ص ٣٣٨ .

(٢) انظر مدارج السالكين لابن القيم ٣٦٦/١ . .

(٣) انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ٤٦١/٢ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب ، والتخفيف عنه بسببه .

المطلب الثالث

من أنواع الكفر الأكبر : الكفر بدعوى علم الغيب

أولاً : تعريفه : هو اعتقاد أنَّ أحداً غير الله تعالى يعلم الغيب . وهو كفرٌ لمعارضته لقوله ﷻ :

﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل:٦٥] ،

وقوله ﷻ : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام:٥٩] .

ثانياً : من الأمثلة عليه : الأمثلة على هذا النوع كثيرة، ويُمكن بيان بعضها في المسائل التالية .

المسألة الأولى : السحر :

أولاً : تعريفه : السحر في اللغة: ما خَفِيَ ولَطُفَ سببُه[1]. وفي الاصطلاح: عزائم ورُقًى وعُقَد وكلام يُتَكلَّم به، أو يُكتب، أو يُعمل شيءٌ يؤثِّر في القلوب والأبدان والعقول ؛ فيُمرض، ويقتل ، ويُفرِّق بين المرء وزوجه[2] .

ثانياً : قسما السحر : السحر قسمان[2] :

قســـمٌ : خيـــالات تُرهب بظاهرها ، وتؤثِّر في القلوب ، بيد أنَّه لا حقيقة لها ؛ كسحرة فرعون . قال تعالى عنه : ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ [طـه: من الآية٦٦] .

وقســـمٌ : لـــه حقيقة ؛ كالذي حَدَث لرسول الله ﷺ[3] ، حين سحره اليهودي لبيد بن أعصـــم ؛ فعن عائشة –رضي الله عنها– أنَّ النبيَّ ﷺ سُحِرَ حتى كان يُخيَّل إليه أنَّه يفعل الشيء، وما يفعلُهُ ، حتَّى أتاه مَلَكان ، فقعد أحدُهما عند رجليه ﷺ ، والآخر عند رأسه، فأخبراه بصنيع اليهوديّ ، وأنَّه سحره في مُشْط ومُشَاطَة ؛ جعله في وعاء طلع النخل ، ودفنه في بئر ذي أَرْوان ، فأخرجه رسول الله ﷺ[4] .

---

(١) انظر : الصحاح للجوهري ٦٧٨/٥ . والقاموس المحيط للفيروزآبادي ص ٥١٩ .

(٢) انظر المغني لابن قدامة ١٥٠/٨ .

(٣) انظر المجموع الثمين للشيخ ابن عثيمين ١٣٤/٢ .

(٤) انظر الحديث بطوله في صحيح البخاري ، كتاب الطب ، باب السحر ، وباب: هل يُستخرج السحر، وفي صحيح مسلم ، كتاب السلام ، باب السحر .

ملاحظة : هذا الذي وقع لرسول الله ﷺ ليس فيه انتقاصاً لشخصه ، بل هو كالأمراض التي كانت تعتريه ﷺ وإصابته به كإصابته بالسمّ ، لا فرق بينهما . (انظر : زاد المعاد لابن القيم ١٢٤/٤) .

ثالثاً : حكم السحر ، مع الدليل : السحر محرَّمٌ بالكتاب والسنَّة والإجماع .

وهو من أكبر الكبائر ، ومن السبع الموبقات .

ودليل ذلك من كتاب الله : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾[البقرة:١٠٢] . "فدلَّت هذه الآية الكريمة على أنَّ السحرَ كفرٌ ، وأنَّ السحرة يُفرِّقون بين المرء وزوجه، كما دلَّت على أنَّ السحرَ ليس بمؤثِّر لذاته نفعاً ولا ضرًّا، وإنَّما يؤثِّـــر بإذن الله الكوني والقدري ؛ لأنَّ الله ﷻ هو الذي خلق الخير والشرّ . كما دلَّت الآيـــة الكريمة على أنَّ الذين يتعلَّمون السحر إنَّما يتعلَّمون ما يضرّهم ولا ينفعهم ، وأنَّه ليس لهم عند الله من خلاقٍ –أي من حظٍّ ونصيب– . وهذا وعيدٌ عظيمٌ يدلُّ على شدّة خسارتهم في الدنيا والآخرة ، وأنَّهم باعوا أنفسهم بأبخس الأثمان"[١] .

ودليل حرمة السحر من السنَّة : قوله ﷺ :"اجتنبوا الموبقات: الشرك بالله، والسحر"[٢] .

فالسحر من الموبقات . يقول الإمام النووي رحمه الله عن السحر : "عمل السحر حرام ، وهو من الكبائر بالإجماع، وقد عدَّه النبيّ ﷺ من السبع الموبقات . ومنه ما يكون كفراً ، ومـــنه ما لا يكون كفراً ، بل معصية كبيرة . فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر ، فهو كفرٌ ، وإلا فلا . وأمَّا تعلّمه وتعليمه فحرام"[٣] . فالسحر قد يكون كفراً إذا كان فيه تعظيم غير الله؛ من الجنّ والشياطين والكواكب وغيرهم، وإذا كان فيه ادّعاء علم الغيب . و"أكثر العلماء على أنَّ الساحر كافرٌ يجب قتله"[٤] ، وحدّه –كما في الحديث– : "ضربة بالسيف"[٥] . وسئل الإمام أحمد عن الساحر، فقال : "إذا عُرِفَ بذلك، فأقرّ ، يُقتَل"[٦] .

---

(١) رسالة في حكم السحر والكهانة للشيخ ابن باز ص ٧ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الطب ، باب الشرك والسحر من الموبقات .

(٣) نقله عنه ابن حجر في فتح الباري ٢٢٤/١٠ . وانظر كلام الحافظ ابن حجر عن حكم السحر وتعلمه في الموضع نفسه . وانظر : تفسير ابن كثير ٢٥٨/١ . وأضواء البيان للشنقيطي ٤٥٦/٤ .

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٨٤/٢٩ .

(٥) أخرجه مالك في الموطأ ٨٧١/٢. والحاكم في المستدرك ٣٦٠/٤ مرفوعاً، ولا يصح رفعه. بل هو موقوف.

(٦) انظر مسائل الإمام أحمد ، برواية ولده عبد الله ص ٢٤٧ . وأحكام أهل الملل للخلال ص ٢٠٧ .

رابعاً : علاج السحر : يحصل العلاج بأن يُقرأ على المسحور : سورة الإخلاص ، والمعوذتين ، وآية الكرسي، والآيات التي ذُكِرَ فيها السحر، وخاصَّة التي في سورة يونس، في قوله ﷻ: ﴿ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾[يونس: ٨١]، شريطة أن يصدر ذلك عن إخلاصٍ ، وصدقٍ ، وتوكُّلٍ ، وإيمانٍ جازمٍ بأنَّ النَّافع والضارّ هو الله ﷻ وحده . ولو أضاف سبع ورقات من السدر الأخضر ، ودقهنّ ، ووضعهنّ في ماء تُقرأ فيه تلك الآيات، ويحسو منها المسحور ثلاث حسوات، ويغتسل بالباقي، لكان ذلك أفضل[١] .

المسألة الثانية : الكهانة

أولاً : تعريف الكاهن : الكاهن هو الذي يدَّعي أنَّه يعلم الغيب . وهو لفظٌ "يُطلق على العرَّاف ، والرَّمَّال ، والذي يضرب بالحصى ، والمنجِّم"[٢] ؛ فكلّ من أخبر عن المغيَّبات في المستقبل ، فهو كاهن ، وكلّ من ادّعى معرفة علم شيء من المغيّبات ، فهو إمَّا داخل في اسم الكاهن ، أو مشارك له في المعنى ، فيُلحَق به[٣] .

فائدة : سئل الإمام أحمد رحمه الله : الكاهنُ شرٌّ أو الساحر ؟ قال : "كلٌّ شَرٌّ"[٤] .

ثانياً : حكم الكهانة ، مع الدليل : الكهانة محرَّمة بالكتاب ، والسنَّة ، والإجماع .

يقول الله ﷻ مخاطباً رسوله ﷺ: ﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ [الطور:٢٩]. ووجه الدلالة من هذه الآية على تحريم الكهانة : أنَّ الله ﷻ نفى الكهانة عن نبيِّه ﷺ ؛ لأنَّ الكهَّان يدّعون علم الغيب . ومجرَّد ادعاء علم الغيب كفرٌ بواحٌ ، فاعتبر الله ﷻ السلامة من الكهانة نعمة . ومفهوم ذلك أن الكهانة تتنافى مع نعمة الإسلام[٥] .

---

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر ١٠/٢٣٣-٢٣٤ . وأضواء البيان للشنقيطي ٤/٤٦٤ . ورسالة في حكم السحر والكهانة للشيخ ابن باز ص ٨-١٣ . والمجموع الثمين للشيخ ابن عثيمين ١/١٥٥ .

(٢) فتح الباري لابن حجر ١٠/٢١٦ .

(٣) انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن ص ٤١٤ .

(٤) انظر أحكام أهل الملل للخلال ص ٢٠٨ .

(٥) انظر أضواء البيان للشنقيطي ٧/٤٥٦ .

ومن السنَّة قوله ﷺ : "ليسَ منَّا مَنْ تَطَيَّرَ أو تُطيِّرَ له ، أو تكهَّنَ أو تُكُهِّنَ له ، أو سَحَرَ أو سُـــحِرَ له . ومن أتى كاهناً فصدَّقه بما يقول ، فقد كفر بما أُنزلَ على محمَّد ﷺ"(١) ؛ ففي قوله ﷺ : "أو تَكَهَّنَ أو تُكُهِّنَ لـــه" : إشارة إلى أنَّ من تلقَّى الكهانة عمَّن يتعاطاها ، فقد برئ منه رسول الله ﷺ. ففيه وعيدٌ وتحذيرٌ من مجرَّد إتيان الكهَّان والعرَّافين ونحوهم ممَّن يدّعون معرفة الغيب –ولو لم يُصدِّقهم- . ويشهد لهذا المعنى قوله ﷺ : "من أتى عرَّافاً فسأله عن شيء، لم تُقْبَل له صلاةُ أربعين ليلة"(٢). هذا إذا سأله و لم يُصدِّقه. أمَّا إذا سأله، وصدَّقه ، فـــالوعيد أشدّ –والعياذ بالله تعالى-، يقول ﷺ: "مَنْ أتى كاهناً فصدَّقه بما يقول ، أو أتى امرأة حائضاً ، أو أتى امرأة في دُبُرِهـــا ، فقـــد بَرِئَ ممَّا أُنزلَ الله على محمَّـــد ﷺ"(٣) .
قـــال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله معلِّقاً على هذا الحديث : "ظاهر الحديث أنَّه يكفر متى اعتقد صدقه بأي وجه كان"(٤) .
فإذا كان هذا حال من أتى الكاهن ، فما هو حال الكاهن نفسه ؟!

المسألة الثالثة : التنجيم

أولاً : **تعريفه** : التنجيم –كما يزعم أهله- : هو الاستدلال على الحوادث الأرضيَّة قبل حدوثها بالنظر في الأحوال الفلكيَّة(٥) ؛ فيُخبر أهل هذه الصناعة عمَّا سيقع في العالَم مستقبلاً، ويزعمون أنَّهم استفادوا ذلك من النظر في سير الكواكب في مجاريها ، واجتماعها واقترالها ، زاعمين أنَّ لها تأثيراً في العالَم السّفلي(٦) .

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١١٧/٥ ، وقال : "ورجاله رجال الصحيح خلا إسحاق بن الربيع وهو ثقة" . وقال المنذري في الترغيب والترهيب ٣٣/٤ : "رواه البزار بإسناد جيِّد" .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب السلام ، باب تحريم الكهانة ، وإتيان الكهان .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الطب ، باب في الكاهن . والترمذي في جامعه ، كتاب الطهارة ، باب ما جاء كراهية إتيان الحائض. وابن ماجه في سننه، كتاب الطهارة، باب النهي عن إتيان الحائض. والحديث صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٧٣٩/٢ ، وفي صحيح سنن الترمذي ٤٤/١ .

(٤) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن ص ٤١١ .

(٥) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٩٢/٣٥ .

(٦) انظر التنجيم والمنجمون وحكمهم في الإسلام للدكتور عبد المجيد المشعبي ص ٣١-٣٣ .

ثانياً حكم التنجيم، مع الدليل: قبل الحديث عن حكم التنجيم، تجدر الإشارة إلى أنّ التنجيم نوعان:

أحدهما : مباح ، وهو ما يُعرف بعلم الحساب ، أو علم التسيير ؛ كمعرفة وقت الكسوف، والخسوف، والرصد، وهبوب الرياح، واتجاهاتها ، مع الاعتقاد الجازم أنّ كلّ شيء يجري في هذا الكون بقضاء الله وقدره . وعند الإخبار بشيء من ذلك يُقيّد الكلام بمشيئة الله ، وبعبارة التوقّع . فهذا قال العلماء بجوازه . ولا يدخل تحت هذه المسألة[1] .

أمّا النوع الثاني : وهو الاستدلال بالأحوال الفلكيّة على الحوادث الأرضيّة ؛ فيدّعي المنجّم أنّه من خلال النظر في النجوم يمكن أن يعرف ما سيقع في الأرض؛ من نصر قومٍ، أو هزيمة آخرين، أو موت أو حياة ، أو قيام أو زوال ، أو خسارة لرجل ، وربح لآخر . فهذا النوع هو المراد بهذه المسألة، وهو محرَّم ، وصاحبه يُعتبر كافراً كُفراً بواحاً إذا اعتقد أنّ للنجوم تأثيراً ذاتيًّا في الحوادث الأرضيّة .

ومن الأدلّة على تحريم التنجيم : أنّ الله ﷻ إنّما خلق النجوم زينةً للسماء ، ورجوماً للشياطين، وعلامات يُهتدى بها. لم يخلقها سبحانه للاستدلال بها على ما يجري على الأرض. يقول الله ﷻ : ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [الملك:٥]، ويقول ﷻ : ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:٩٧] .

وقد دلّت السنّة على تحريم التنجيم، فمن ذلك: قول رسول الله ﷺ : "من اقْتَبَسَ شُعبةً من النُّجُومِ ، فقد اقتبس شعبة من السحر ، زاد ما زاد"[2] . وقوله ﷺ : "إنّ أخوفَ ما أخاف على أُمّتي في آخر زمانها : النجوم ، وتكذيب بالقدر ، وحيف السلطان"[3] .

---

(١) انظر : فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن ص٤٤٨. والمجموع الثمين للشيخ ابن عثيمين٢/١٤١-١٤٢. والتنجيم والمنجمون وحكمهم في الإسلام للدكتورعبد المجيد المشعبي ص١٦٠-١٦٢ ، ٣٠٥-٣٢٠ .

(٢) أخرجه أبو داود في السنن ، كتاب الطب ، باب في النجوم . وابن ماجه في السنن ، كتاب الأدب ، باب تعلّم النجوم . وقد صححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم ٧٩٣ ، وفي صحيح سنن أبي داود ٧٣٩/٢ ، وفي صحيح سنن ابن ماجه ٣٠٥/٢ .

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٠٣/٧ ، وقال : "فيه ليث بن أبي سليم ، وهو ليِّن ، وبقية رجاله وثّقوا" . وقال الألباني : "الحديث له شواهد كثيرة يرتقي بها إلى درجة الصحة في نقدي". (السلسلة الصحيحة ١١٩/٣ ، رقم ١١٢٧) .

المبحث الثالث

أنواع الكـفــر الأصـغـر

تمهيد : الكفر الأصغر أحد نوعَي الكفر . ومن الفروق بينه وبين الكفر الأكبر[١] :

١- الكفر الأكبر يُحبِط العمل؛ كما قال تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾ [ابراهيم:١٨] . والأصغر لا يُحبط العمل ، وإن كان يُنقصه .

٢- الكفر الأكبر كفر اعتقاديّ ، والكفر الأصغر كفر عمليّ .

٣- الكفر الأكبر يُخرِج من ملّة الإسلام، وأمَّا الأصغر فلا يُخرج، وصاحبه مؤمن ناقص الإيمان.

٤- الكفر الأكبر إذا مات العبد عليه لم يُغفر له . والكفر الأصغر إن مات العبد عليه فهو تحت المشيئة، إن شاء الله غفر له، وإن شاء عذّبه . ولا يُنافي ذلك إيجابه للوعيد ؛ لأنّنا نقول إنّ استحقاقه للوعيد لا يمنع العفو عنه .

٥- الكفر الأكبر يُوجب الخلود في النّار؛ كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾[البينة:٦] ، والكفر الأصغر لا يُوجب الخلود في النّار إن دخلها صاحبه .

أولاً : **تعـــريف الكفر الأصغر** : هو كلّ معصية أطلق عليها الشارع اسم الكفر ، مع بقاء اسم الإيمـــان عـــلى عاملها[٢] . فهو معصية عمليّة لا تُخرج عن أصل الإيمان ، وإنّما تُوجب لصاحبها الوعيد بالنّار ، دون الخلود فيها . وسمّيت كفراً لأنّها من خصال الكفر[٣] .

ثانياً : **من أشهر أنواع الكفر الأصغر** : للكفر الأصغر أنواع متعدّدة ضابطها ما تقدّم في التعريف: كلّ معصية أطلق الشارع عليها اسم الكفر ، مع بقاء اسم الإيمان على عاملها .

وبيان بعض هذه الأنواع يُمكن في المطالب التالية :

---

(١) انظر المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للدكتور إبراهيم البريكان ص ١٨٢-١٨٣ .

(٢) انظر أعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ الحكمي ص ١٤٩ .

(٣) انظر : مدارج السالكين لابن القيم ١/٣٦٤ .فتح الباري لابن حجر ١/٨٣-٨٥ .

المطلب الأول

من أنواع الكفر الأصغر : كفر النعمة

أولاً : المراد به : نسبة النعم التي أنعم الله ﷻ بها علينا إلى غير المنعم ﷻ ، أو استعمالها في غير مرضات الله؛ كالإسراف، والتبذير، وشراء المحرَّمات، أو إعطاء النعم لمن نهانا ربُّنا ﷻ عن إعطائهم ؛ كالسفهاء من الصبيان وغيرهم . قال تعالى : ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾ [النساء:٥] .

ثانياً : الأدلّة عليه : من الأدلّة على كفر النعمة :

١- قول الله ﷻ: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل:١١٢] .

٢- قول الله ﷻ : ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [النحل:٨٣] ؛ فهؤلاء عرفوا نعم الله ﷻ ، وعرفوا أنّ الله هو المنعم عليهم بها ، ولكنّهم جحدوها ، وزعموا أنّهم ورثوها كابراً عن كابر[١] .

٣- قصّة الثلاثة : الأبرص، والأقرع، والأعمى، الذين أنعم الله عليهم بإصلاح حالهم وبالمال ، فجحد اثنان منهم نعمة الله، وقالا : إنّما ورثنا هذا المال كابراً عن كابر. واعترف الأعمى بنعم الله ، وقال : "قد كنتُ أعمى ، فردّ الله إليّ بصري .." . فقال له المَلَكُ : "أَمْسِكْ مالَك ، فإنّما ابْتُليتُم ، فقد رضي الله عنك ، وسَخطَ على صاحبَيك"[٢] .

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ معلّقاً على هذا الحديث : "وهذا حديث عظيم ، وفيه معتَبَر ؛ فإنّ الأوّلَين جحدا نعمة الله، فما أقرَّا لله بنعمة ، ولا نسبا النعمة إلى المنعم بها ، ولا أدَّيا حقّ الله، فحلّ عليهما السخط. وأمّا الأعمى فاعترف بنعمة الله ، ونسبها إلى من أنعم عليه بها ، وأدّى حقّ الله فيها ، فاستحقّ الرضا من الله بقيامه بشكر النعمة لَمّا أتى بأركان الشكر الثلاثة التي لا يقوم الشكر إلا بها ، وهي الإقرار بالنعمة ، ونسبتها إلى المنعم ، وبذلها فيما يجب"[٣] .

---

(١) انظر : جامع البيان للطبري ٦٢٩/٧. والقول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين ٢٠١/٢-٢٠٢. وفتح المجيد لعبد الرحمن بن حسن ص ٥٩٢-٥٩٤ .

(٢) الحديث بطوله أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب حديث أبرص وأعمى وأقرع . ومسلم في صحيحه ، كتاب الزهد والرقائق ، باب رقم ١٠ .

(٣) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص ٦٣٦ .

المطلب الثاني

من أنواع الكفر الأصغر : الطعن في الأنساب والنياحة على الميت

أولاً : المراد بهما : عَيْبُ النســـب ، والطعـــن فيه ، ورفع الصوت بندب الميت ، وتعداد فضائله .

وهما من أنواع الكفر العمليّ ، لِما فيهما من مشابهة صنيع الكفّار في الجاهليّة قبل الإسلام[١] .

ثانياً : من الأدلّة عليهما :

١- قول رســـول الله ﷺ : "اثنتان في النّاس هما بهم كفرٌ : الطعنُ في النَّسب ، والنياحة على الميت"[٢]؛ فهاتان الخصلتان بالنّاس كفرٌ ؛ لأنهما من أعمال الجاهلية، وهما قائمتان بالناس، ولا يسلم منهما إلا من سلّمه الله ﷻ[٣] . يقول الإمام النووي في معنى قوله ﷺ : "هما بهم كفرٌ" : "فيه أقوال أصحّها أنّ معناه : هما من أعمال الكفّار وأخلاق الجاهليّة"[٤] . فلهذا عدّهما العلماء من جنس الكفر العمليّ .

٢- قول رســـول الله ﷺ : "ليس مِنّا من ضَرَبَ الخـــدودَ ، وشـــقَّ الجيوبَ ، ودعا بدَعْوَى الجاهـــليَّة"[٥] . وقد ذكر رسول الله ﷺ هذه الأصناف الثلاثة ؛ لأنّها غالباً ما يفعلها النّاس عند نزول المصائب ، وهي من التسخُّط المنهي عنه ، وفيها إظهار عدم الرضا بقدر الله ، أو الصـــبر على قضائه . ودعوى الجاهليّة هي : النياحة ، وندبة الميت ، والدعاء بالويل وشبهه[٦] . فهذه من أعمال الكفّار في الجاهليّة قبل الإسلام . من أجل هذا عدّها العلماء من جنس الكفر العمليّ .

---

(١) انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص ٥٢٠ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة .

(٣) انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص ٥٢٠ .

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ٥٧/٢ .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب ليس منّا من شق الجيوب . وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب تحريم ضرب الخدود .

(٦) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ١١٠/٢ .

المطلب الثالث

من أنواع الكفر الأصغر : قتال المسلم

أولاً : المراد به : يُراد به : قتال المسلم للمسلم بغير وجه حقّ ، وهو نوعٌ من أنواع الكفر العملي ، المنافي لكمال الإيمان .

ثانياً : من الأدلّة عليه :

١- قول رسول الله ﷺ : "سبابُ المسلمِ فُسُوقٌ ، وقتالُه كُفْرٌ"[(١)] ؛ فأطلق ﷺ على قتال المسلم اسم : "الكفر" ، تنبيهاً على عظَمِ حقِّ المسلم ، وبيان حكم من قاتله بغير حقّ . وهذا كفرٌ عمليّ لأنّه شبيه بفعل الكفّار ؛ فهو كفر أُخوَّة الإسلام، لا كفر الجحود[(٢)] .

٢- قول رسول الله ﷺ : "لا ترجعوا بعدي كُفّاراً يضرِبُ بعضُكم رقابَ بعضٍ"[(٣)] .

فأطلق ﷺ في هذين الحديثين على قتال المسلمين بعضهم بعضاً اسم "كُفر" ، وسمَّى من يفعل ذلك "كُفّاراً". وليس المراد بالكفر ها هنا الكفر الأكبر المخرج من الملّة؛ لأنّ الله ﷻ أبقى على المتقاتلين من المؤمنين اسم "الإيمان" ، فقال ﷻ : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات:٩]، ثمّ سمّاهم مؤمنين، فقال : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[الحجرات:١٠] ، فأثبت لهم الإيمان ، وأُخوَّة الإيمان، و لم ينف عنهم شيئاً من ذلك[(٤)] . فعُلِم أنّ الكفر هنا كفرٌ عمليّ لا يُخرج صاحبه من دائرة الإسلام ، وهو من جنس الكفر الأصغر[(٥)] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر . وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان قول النبيّ ﷺ : "سباب المسلم فسوق وقتاله كفر" .

(٢) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ٢/٥٤ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر . وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان قول النبيّ ﷺ : "سباب المسلم فسوق وقتاله كفر" .

(٤) انظر أعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ الحكمي ص ١٥٠ .

(٥) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ٢/٥٥ .

الفصل الثالث

النفاق ، وأنواعه

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول
معنى النفاق

معنى النفاق لغةً :

النفاق في اللغة : من "نَفَقَ" ، وهي تدلّ على الإخفاء وعدم الإظهار . ومنه سُمِّيَ السَّرَب في الأرض الذي له مخلص إلى مكان نَفَقاً . وقيل لأحد جحرَي اليربوع : النَّافقاء والنُّفَقَة ؛ لأنّه يكتمه ويُظهر غيره ؛ فإذا أُتيَ من جهة القاصعاء ، ضرب النافقاء برأسه ، فانتفق . يُقال : نافق اليربوع ، إذا أخذ في نافقائه(١) .

معنى النفاق في الشرع :

النفاق شرعاً : هو أن يُظهر المرء ما يُوافق الحقَّ ، ويُبطن ما يُخالفه . فمن أظهر أمام النَّاس ما يدلّ على الحقّ ، وكان حقيقة أمره أنّه على باطل من الاعتقاد ، أو الفعل ، فهو المنافق ، واعتقاده ، أو فعله هو النفاق(٢) .

الصلة بين المعنيَين :

يُلاحظ أنَّ المنافق قد سَتَرَ اعتقاده ، أو عمله، وأخفاه، وأضمره، فمَثَله كمثل الضبّ ؛ يدخل من جحر ظاهر ، ثمّ إذا شعر بالخطر خرج من باب آخر تتعذّر رؤيته . وكذلك يفعل المنافق : يدخل في الإسلام من باب ظاهر ؛ فينطق الشهادتين، ويُصلّي مع النَّاس، مع أنّه يكتم خلاف الإسلام ، ويتربَّص بالمسلمين الدوائر ، وينتظر ظهور الكفر ، حتى يتخلّى عمَّا أظهره ، كما قال الله عن المنافقين : ﴿ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النساء:١٤١] .

نوعا النفاق : النفاق نوعان : نفاق أكبر "اعتقادي" ، ونفاق أصغر "عمليّ" .

---

(١) انظر : أساس البلاغة للزمخشري ص ٦٤٨-٦٤٩ . ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس ٥/٤٥٤-٤٥٥ . والقاموس المحيط للفيروزآبادي ص ١١٩٥-١١٩٦ . ولسان العرب لابن منظور ١٠/٣٥٨-٣٥٩ . والمعجم الوسيط لجماعة من المؤلفين ص ٩٤٢ .

(٢) انظر : المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للبريكان ص١٩٠. والمعجم الوسيط ص ٩٤٢ .

المبحث الثاني

النفاق الأكبر "الاعتقادي"

أولاً : تعريف النفاق الأكبر : هو أن يُظهرَ الرجلُ للمســلمين إيمانــه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهو في الباطن منسلخٌ من ذلك كلّه، مكذّب به[١] . فهو قد أظهر الانقياد والتصديق ظاهراً ، لكنَّه أبى ذلك باطناً[٢] .

ثانياً : حكم النفاق الأكبر : النفاق الأكبر نفاق اعتقاديٌ محلّه القلب ، وصاحبه كافر ، خالدٌ مخلّدٌ في النّار ، بل في الدَّرْك الأسفل منها إن لم يَتُب[٣] ، كما قال ﷻ : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [النساء:١٤٥] .

"وقــد هَتَكَ الله سبحانه أستار المنافقين ، وكشف أسرارهم في القرآن ، وجلّى لعباده أمورَهــم ليكونــوا منها ومن أهلها على حذر ... فإنَّ بليَّة الإسلام بهم شديدة جدًّا ؛ لأنّهم منسوبون إليه ، وإلى نصرته وموالاته ، وهم أعداؤه في الحقيقة"[٤] .

ثالثاً : صفات المنافقين نفاقاً أكبر : قد كشف الله في كتابه أسرار المنافقين ، وهتك أستارهم ، في آيات كثيرة ، نزلت تُخبر عن أوصافهم ، وأهدافهم ، ووسائلهم الدنيئة لهدم الدين ، أو إضعاف المسلمين .

والنفاق الأكبر "الاعتقادي" قد جمع أهله خصالاً كثيرة، وصفات عديدة، سأقتصر على ذكر بعضها، كي لا يقع شيءٌ منها في قلب المؤمن، فيخسر الدنيا والآخرة . فمنها :

١- تكذيب الرسول ﷺ باطناً لا ظاهراً. ودليل هذه الصفة قول الله ﷻ: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾[المنافقون:١]؛ أي كاذبون فيما أظهروا من شهادتهم، وحَلِفهم بألسنتهم. فمن قال شيئاً، واعتقد خلافه، فهو كاذب[٥] .

---

(١) انظر : مدارج السالكين لابن القيم ٣٧٦/١-٣٧٧ . والقاموس المحيط للفيروزآبادي ١١٩٦ .

(٢) انظر أعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ الحكمي ص ١٤٩ .

(٣) انظر مدارج السالكين لابن القيم ٣٧٦/١ .

(٤) انظر المرجع نفسه ٣٧٧/١ .

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨٠/١٨ :

٢- موالاة الكافرين ، وإعانتهم في حربهم ضدّ المسلمين . ودليل هذه الصفة قول الله ﷻ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [الحشر:١١] ؛ فهؤلاء المنافقون أطمعوا إخوانهم من أهل الكتاب في نُصرتهم، وموالاتهم على المؤمنين ، وأقسموا أنّهم لن يُطيعوا في عدم نُصرتهم أحداً يعذلهم أو يُخوّفهم، وأنّهم سينصرونهم ويُعينوهم على المسلمين إن قاتلوهم[(١)] .

٣- تّبييتُ الشرّ للمسلمين، وتدبير المكائد لهم. ودليل هذه الصفة قول الله ﷻ: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾[النساء:١٠٨]؛ فمخافة الخلق عند هؤلاء المنافقين أعظم من مخافة الله ﷻ، لذلك تجدهم يحرصون بالوسائل المباحة والمحرّمة على تجنّب الفضيحة عند النّاس ، وهم مع ذلك قد بارزوا الله بالعظائم ، و لم يُبالوا بنظره واطّلاعه عليهم ، خصوصاً في حال تبييتهم ما لا يُرضيه من القول[(٢)] .

٤- المسرَّة بانخفاض دين المسلمين، وكراهية انتصاره. ودليل هذه الصفة قول الله ﷻ : ﴿ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ [التوبة:٤٨] ؛ فقد طلب هؤلاء المنافقون الشرّ من البداية، واحتالوا في تشتيت أمر المسلمين وإبطال دينهم، حتى أظهر الله دينه، وأعزّ جندَه، والمنافقون كارهون لذلك[(٣)]. ومن الأدلة أيضاً قوله ﷻ: ﴿ إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴾[التوبة:٥٠]؛ فقد أخبر ﷻ أنّ المنافقين إن أصاب رسولَ الله ﷺ ومن معه نصرٌ وغنيمة ساءهم ذلك، وإن أصابهم قتل وهزيمة، قالوا: عَمِلْنا بالحزم فلم نخرج معكم، ثمّ ينقلبون وهم فرحون بمصابكم وسلامتهم[(٤)].

---

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن سعدي ٣٣٨/٧ .

(٢) انظر المرجع نفسه ١٥٤/٢ .

(٣) انظر زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٤٤٨/٣ .

(٤) انظر المصدر نفسه ٤٥٠/٣ .

المبحث الثالث

النفاق الأصغر "العملي"

أولاً : تعريف النفاق الأصغر : هو تَرْكُ المحافظةِ على أمور الدّين سرًّا ، ومراعاها عَلَناً[١] .

ثانياً : حكم النفاق الأصغر : النفاق الأصغر نفاق عمليّ ؛ فصاحبه يدّعي الإيمان بالله ﷻ ، والطاعــة لله ولرســوله ﷺ، ولكنّه يعمــل أعمالاً عدَّها رســول الله ﷺ من النفاق . وصاحب هذا النوع لا يخرج عن ملّة الإسلام في الدنيا، وهو في الآخرة مستحقّ للوعيد، لكنّه لا يُخلّد في النّار إن دخلها .

ثالثاً : صفات المنافقين نفاقاً أصغر : ذكر رسول الله ﷺ في أحاديث عديدة علامات ظاهرة ، من اتّصف بها فقد شابه المنافقين في أعمالهم . وإنّما بيّنها رسول الله ﷺ وأخبر عنها كي نحذر مــن هذه الصفات الذميمة ؛ لأنها من علامات النفاق ، ويُخشى أن يكون هذا النفاق العمليّ مؤدّياً إلى نفاق في الاعتقاد –والعياذ بالله تعالى–[٢] .

ومن هذه العلامات :

١- الكَذِبُ في الحديث . فيُحدّث النّاس بحديث يُصدّقونه فيه ، وهو كاذب .

٢- إخلاف الوعد . فيَعِد بوعدٍ ، ومن نيّته أن لا يفيَ به ، أو يَعِد ثمّ يبدو له أن يُخلفه من غير عذرٍ في الخلف[٣] .

٣- خيانة الأمانة . فإذا ائتمن أمانةً ، لم يؤدّها .

٤- الغــدر . فإذا عاهد غَدَرَ ، و لم يفِ بعهده .

٥- الفجور في الخصومة . فيخرج عن الحقّ عمداً، حتى يُصيِّر الحق باطلاً والباطل حقًّا[٤] .

---

(١) انظر مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية لعثمان جمعة ضميريّة ص ٣٤٨ .

(٢) انظر شرح رياض الصالحين للصديقي ٥٧٨/٤ .

(٣) انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب ٤٨٢/٢ .

(٤) انظر المصدر نفسه ٤٨٦/٢ .

وهـذه العلامات الخمس جمعها رسول الله ﷺ في قوله: "أربعٌ مَنْ كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كان فيه خَصْلَةٌ منهنّ كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا اؤْتُمِنَ خانَ ، وإذا حدَّثَ كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فَجَرَ"[١] ، وفي قوله ﷺ : "آيةُ المنافق ثلاث : إذا حدَّث كَذَبَ ، وإذا وَعَدَ أخلفَ ، وإذا اؤْتُمِنَ خانَ"[١] .

تنبيه : النفاق الأصغر "العمليّ" مقدّمة للنفاق الأكبر "الاعتقادي" ، فمن اتّصف بصفات النفاق العملي، فقد أشبه المنافقين "اعتقاداً" في أعمالهم، ولكنه ليس على كفرهم أو اعتقادهم . وإن كان يُخشى عليه من النفاق الاعتقاديّ . فالواجب على المؤمن أن يتجنَّب هذه الصفات ؛ لأنَّ الإيمان ينهى عنها . وعلينا أن نعلم أنَّ هذه الصفات إذا اجتمعت في شخص، وغلبت على أعماله، و لم يكن له ما ينهاه عن شيء منها، فهو المنافق الخالص[٢] –والعياذ بالله– .

نسأل الله أن يُجنِّب المسلمين هذا الداء العضال ، إنه جواد كريم .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب علامة المنافق . وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان خصال المنافق .

(٢) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ٤٧/٢ .

الباب الثالث

عقيدة الولاء والبراء

ويشتمل على خمسة فصول :

الفصل الأول : نصوص الولاء والبراء في الكتاب والسنَّة .

الفصل الثاني : مفهوم الولاء والبراء ، ومنزلته في الدين .

الفصل الثالث : لمن يكون الولاء ؟

الفصل الرابع : مِمَّن يكون البراء ؟

الفصل الخامس : حكم الولاء والبراء .



الفصل الأول

نصوص الولاء والبراء في القرآن والسنّة

القرآن الكريم والسنَّة النبويَّة مليئان بالأدلة التي تأمر بموالاة المؤمنين ، وتنهى عن موالاة الكفّار، وتحثّ على البراءة منهم. ونظراً لكثرة هذه النصوص، سأقتصر على ذكر بعضها:

أولاً : من نصوص الولاء والبراء في القرآن الكريم :

١- قول الله ﷻ : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[البقرة:١٢٠]؛ فهذه فيها "النهي العظيم عن اتباع أهواء اليهود والنصارى والتشبُّه بهم فيما يختصّ به دينهم"[١] .

٢- قول الله ﷻ : ﴿ لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران:٢٨] ؛ فنهى ﷻ المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء وأصدقاء وأصحاباً من دون المؤمنين، يُعينوهم على المؤمنين، ويدلّوهم على عوراتهم ، وأخبر ﷻ أنَّ من فعل ذلك فقد بَرئَ من الله ، وبرئَ الله منه بارتداده عن دينه ، ودخوله في الكفر[٢] .

٣- قول الله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة:٥١] ؛ فأخبر ﷻ أنَّ من يُعاضد اليهود والنصارى ويُناصرهم على المسلمين ، فحكمه كحكمهم في الكفر والجزاء[٣] .

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للشيخ ابن سعدي ١٣٣/١ .

(٢) انظر جامع البيان لابن جرير الطبري ٢٢٧/٣ .

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤١/٦ .

٤- قــول الله ﷻ : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال:٧٣] ؛ فقطع الله الولاية بين الكفار والمؤمنين ؛ فجعل المؤمنين بعضهم أولياء بعض، والكفار بعضهم أولياء بعض ، يتناصرون بدينهم ، ويتعاملون باعتقادهم[١] .

٥- قــول الله ﷻ : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [المجادلة:٢٢] ؛ فأخبر ﷻ أنَّك لا تجد مَن يؤمن بالله واليوم الآخر إيماناً حقيقيًّا ثم تصدر منه موادّة لمن حادّ الله ورسوله، ولو كان أقرب قريب[٢] .

٦- قول الله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [الممتحنة:١] ؛ فنهى ﷻ عن موالاة الكفّار ، أو إلقاء المودَّة إليهم ، وأخبر أنَّ ذلــك مناف للإيمان ، ومخالفٌ لملة إبراهيم الخليل ﷺ ، ومناقض للعقل الذي يُوجب الحذر كلّ الحذر من العدو[٣] .

٧- قول الله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾ [الممتحنة:١٣]؛ فنهى ﷻ عن موالاة وموادّة ومناصرة الكفّار ، وأخبر ﷻ أنّ هؤلاء الكفّار قد حُرموا من خير الآخرة، فليس لهم منها نصيب، ثمّ حذّر عبادَه المؤمنين أن يتولوهم ، فيوافقوهم على شرهم وشركهم ، فيُحرَموا خير الآخرة كما حرموا[٤] .

---

(١) انظر المرجع نفسه ٨/٣٧-٣٨ .

(٢) انظر كتاب الإيمان : أركانه ، حقيقته ، نواقضه للدكتور محمد نعيم ياسين ص ١٨٦ .

(٣) انظر تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٧/٣٤٨-٣٤٩ .

(٤) انظر المرجع نفسه ٧/٣٦٣-٣٦٤ .

ثانياً : من نصوص الولاء والبراء في السنَّة النبويَّة :

١- قول رسول الله ﷺ : "لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام ، فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطرُّوه إلى أضيقه"[١] .

٢- قول رسول الله ﷺ لأحد الصحابة : "أُبايعك على أن تعبدَ الله ، وتُقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة، وتناصح المسلمين، وتُفارق المشركين"[٢].

٣- قول رسول الله ﷺ : "كلّ مسلم على مسلم محرَّمٌ ، أخوان نصيران ، لا يقبل الله ﷻ من مشرك بعد ما أسلم عملاً ، أو يُفارق المشركين إلى المسلمين"[٣] .

٤- قول رسول الله ﷺ : "الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يُخالِل"[٤] .

٥- قول رسول الله ﷺ : "لا تُصاحِب إلا مؤمناً ، ولا يأكل طعامَك إلا تقيّ"[٥] .

٦- قول رسول الله ﷺ لرأس المنافقين عبد الله بن أبيّ : "قد كنتُ أنهاك عن حبّ يهود"[٦] .

٧- قول رسول الله ﷺ : "المرء مع من أحبّ"[٧] .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب السلام ، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام ، وكيف يُردّ عليهم .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣٦٥/٤ . والنسائي في السنن ، كتاب البيعة ، باب البيعة على فراق المشرك . وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم ٦٣٦ ، وفي صحيح سنن النسائي ٨٧٥/٣ .

(٣) أخرجه النسائي في السنن ، والحاكم في المستدرك ٦٠٠/٤ ، وصححه ، ووافقه الذهبي . وحسّنه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم ٣٦٩ .

(٤) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الأدب ، باب من يؤمر أن يُجالس . والترمذي في الجامع الصحيح ، أبواب الزهد ، باب رقم ٣٢، وقال : حديث حسن . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٩١٧/٣ ، وفي صحيح سنن الترمذي ٢٨٠/٢ ، وفي السلسلة الصحيحة رقم ٩٢٧ .

(٥) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح ، أبواب الزهد ، باب ما جاء في صحبة المؤمن . وأبو داود في السنن ، كتاب الأدب ، باب من يؤمر أن يجالس . وحسّنه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٢٨٥/٢ . وصحيح سنن أبي داود ٩١٧/٣ . وصحيح الجامع رقم ٧٣٤١ .

(٦) أخرجه أبو داود في السنن ، كتاب الجنائز ، باب في العيادة . وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود ٥٩٨/٢ : ضعيف الإسناد ، لكنّ قصة القميص صحيحة .

(٧) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب علامة الحب في الله . وصحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب المرء مع من أحبّ .

الفصل الثاني

مفهوم الولاء والبراء ، ومنـزلته في الدين

بعدما أوردنا في الفصل السابق عدداً من النصوص الشرعيَّة التي تحثّ على موالاة المؤمنين، والبراءة من المشركين والكافرين ، وتنهى عن موالاة المشركين والكافرين ومحبّتهم ، أو البراءة من المؤمنين ومعاداتهم ، لزم أن نتعرَّف على معنى الولاء والبراء، كي يكون المسلم على بيِّنة من أمره ، ومعرفةٍ واضحة لِما طُلِبَ منه فعله ، أو تركه .

وهذا يستدعي أن نتعرَّف على معنى الولاء والبراء في اللغة ، وفي الشرع .

المبحث الأول

معنى الولاء والبراء في اللغة والشرع

أولاً : معنى الولاء لغةً : الولاء مصدر من والى يوالي ولاءً وموالاة ، بمعنى : أحبَّ ، وقرَّبَ ، وأدنى ، وحـابى . والمولى : الحليف ، وهو من انضمّ إليك فعزّ بعزِّك، وامتنع بمَنَعَتِكَ . وتـولاّك الله : أي نصرك . والوليّ ضدّ العدو ، وهو : المحبّ ، والصديق ، والنَّصير ، والتابع[1] . فالولاء على هذا يعني في اللغة : الحبّ ، والدنوّ ، والقرب ، والنُّصرة .

ثانياً : معنى البراء لغةً : البراء مصدر من بَرِئ يبرأ براء وبراءة، بمعنى : أبغض، وتباعد، وتخلّص . يُقال : بارأتُ الرجلَ ، إذا فارقتُهُ ، وبارأتُ المرأةَ، إذا صالحتها على الفراق . وبَرِئْتُ من كذا ، إذا تخلّصت منه، وتنـزَّهت، وتباعدت عنه ، وبَرِئَ المريضُ بَرْءاً وبُرْءاً ، إذا شفي وتخلّص ممَّا به . وبَرِئَ فلانٌ من فلان ، إذا تباعد وتخلّى عنه[2] . فالبراء لغة يأتي بمعنى التخلّص ، والتنـزُّه ، والتباعد ، والتباغض ، والتجافي ، والمفارقة .

---

(١) انظر : أساس البلاغة للزمخشري ص ٦٨٩ . والقاموس المحيط للفيروزآبادي ص ١٧٣٢ . ولسان العرب لابن منظور ٤٠٦/١٥-٤١٤ . والمعجم الوسيط لجماعة من المؤلفين ص ١٠٥٧ .

(٢) انظر : أساس البلاغة للزمخشري ص ٣٤ . والقاموس المحيط للفيروز آبادي ص ٤٢ . ولسان العرب لابن منظور ٣١/١-٣٤ . والمعجم الوسيط لجماعة من المؤلفين ص ٤٦ .

ثالثاً : معنى الولاء شرعاً : الــولاء في الشرع : هو النُّصرة ، والمحبَّة ، والإكرام ، والاحترام ، والكون مع المحبوبين ظاهراً وباطناً[١] ؛ فهو يعني التقرُّب وإظهار الودّ بالأقوال والأفعال والنوايا لمن يتخذه الإنسان وليًّا . "فإن كان هذا التقرُّب وإظهار الودّ بالأقوال والأفعال والنوايا مقصوداً به الله ورسولَه والمؤمنين، فهي الموالاة الشرعيَّة الواجبة على كل مسلم . وإن كان المقصود بالتقرُّب وإظهار الودّ بالأقوال والأفعال والنوايا هم الكفَّار على اختلاف أجناســهم ، فهي موالاة كفر وردّة عن الإسلام إذا صــدرت مِمَّن يدّعي الإســلام . أمَّا الكفار ومن في حكمهم من المرتدين والمنافقين ، فبعضهم أولياء بعض ، فلا يُستغرب منهم ذلك"[٢] .

رابعــاً : معنى البراء شرعاً : البراء في الشرع : هو البُعد ، والخلاص ، والعداوة بعد الأعذار والإنذار[٣] ؛ فهو يعني بُغض أعداء الله تعالى، ومعاداتهم، ومجافاتهم، والتبرّي منهم[٤] ، والتخلُّص من قبائحهم وباطلهم، والتنحّي عن التشبُّه بهم[٥] .

المبحث الثاني

منـزلة الولاء والبراء في الدين الإسلامي

لعقيدة الولاء والبراء منــزلة عظيمة في الشرع ، تتلخَّص فيما يأتي[٦] :

١ – إنّ عقيدة الولاء والبراء يُردّدها المسلم يومياً مرات كثيرة، كلّما ردَّد كلمة الإخلاص : "لا إلــه إلا الله" ؛ لأنَّها تعني البراء من كل ما يُعبَد من دون الله . وهذه الكلمة مزَّقت كلّ رابطة ، وأهدرت كلّ وشيجة ، إلا وشيجة العقيدة .

---

(١) انظر الولاء والبراء في الإسلام لمحمد بن سعيد بن سالم القحطاني ص ٩٢ .

(٢) كتاب الإيمان : أركانه ، حقيقته ، نواقضه للدكتور محمد نعيم ياسين ص ١٨٨ .

(٣) انظر الولاء والبراء في الإسلام لمحمد بن سعيد بن سالم القحطاني ص ٩٢ .

(٤) انظر حقيقة الولاء والبراء في معتقد أهل السنة والجماعة لسيد سعيد عبد الغني ص ٣٣ .

(٥) انظر مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية لعثمان جمعة ضميرية ص ٣٦٧ .

(٦) انظر : الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلاميَّة لمحماس بن عبد الله الجلعود ص ١٨٧-٣٣٠ . والمدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للدكتور إبراهيم البريكان ص ٢٢٥-٢٢٧ .

٢- إنَّ الحبّ في الله والبغض في الله شرطٌ من شروط صحّة "لا إله إلا الله"؛ لأنَّ من شروطها: حبَّها ، وحبَّ ما دلّت عليه ، وحبَّ من نطق بها ، ودعا إليها ، وبُغض ما يُضادّها[١] .

٣- إنَّ عقيدة الولاء والبراء هي أوثق عُرى الإيمان . يقول رسول الله ﷺ : "أوثقُ عُرى الإيمان : الموالاة في الله ، والمعاداة في الله ، والحبُّ في الله ، والبُغض في الله"[٢] .

٤- إنَّ تحقيق عقيدة الولاء والبراء من مكمّلات الإيمان . يقول رسول الله ﷺ : "مَنْ أحبَّ لله ، وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله ، فقد استكملَ الإيمان"[٣] .

٥- إنَّ تحقيق عقيدة الولاء والبراء تحقيقاً تامًّا سبب لنيل ولاية الله ﷻ . يقول حبر هذه الأمَّة عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- :."من أحبَّ في الله ، وأبغض في الله ، ووالى في الله ، وعادى في الله ، فإنّما تُنال ولاية الله بذلك"[٤] .

٦- إنّها سببٌ لذوق القلب حلاوة الإيمان. يقول رسول الله ﷺ : "ثلاثٌ من كنَّ فيه وَجَدَ بهنّ حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مِمَّا سواهما، وأن يُحبّ المرء لا يُحبّه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذَف في النّار"[٥] .

٧- إنّ الاتّصاف بصفة الحبّ في الله، سببٌ لنيل الأجر العظيم ؛ فالمتحابُّون في الله يُظلّهم الله في ظلّه. يقول ﷺ : "إنّ الله يقول يوم القيامة : أين المتحابُّون بجلالي ، اليوم أظلّهم في ظلّي يوم لا ظلّ إلا ظلّي"[٦] . والتحابّ في الله سببٌ لنيل محبّة الله ﷻ[٦] .

---

(١) انظر ما تقدّم في هذا الكتاب ص ٧٤-٧٥ .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير عن ابن عباس . وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٤٩٧/١ ، رقم ٢٥٣٩ ، وفي السلسلة الصحيحة رقم ١٧٢٨ .

(٣) أخرجه أبو داود في السنن ، كتاب السنّة ، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٣/ ٨٨٦ ، وصحيح الجامع الصغير ١٠٣٤/٢ ، رقم ٥٩٦٥ ، وفي السلسلة الصحيحة رقم ٣٨٠ .

(٤) أخرجه الأصبهاني في حلية الأولياء ٣١٢/١ .

(٥) تقدّم تخريجه ص ٧٥ من هذا الكتاب .

(٦) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب في فضل الحبّ في الله .

الفصل الثالث

لمن يكون الولاء ؟

إنّ المسلم وهو ينشد مرضاة الله ﷻ ، يجب عليه معرفة من الذين يجب عليه ولاؤهم وموالاتهم ، ومن هم الذين يجب أن يصرف لهم الحبّ ، ويتوجَّه إليهم بالمحبَّة ، حتى ينال رضى الله تعالى[1] .

ولقد بيَّن الله ﷻ لنا في كتابه لمن يُصرف الولاء ، فقال ﷻ : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [المائدة:٥٥-٥٦] ؛ فمن تولَّى الله ﷻ ورسوله ﷺ، كان تمام ذلك تولِّي من تولاَّه ، "وهم المؤمنون الذين قاموا بالإيمان ظاهراً وباطناً، وأخلصوا للمعبود بإقامتهم الصلاة بشروطها وفروضها ومكمّلاتها ، وأحسنوا للخلق، وبذلوا الزكاة من أموالهم لمستحقيها منهم ، وهم خاضعون لله ذليلون . ومن حقَّق هذه الولاية فإنَّه من الحزب المضافين إلى الله إضافة عبوديَّة وولاية ، وحزبه الغالبون الذين لهم العاقبة في الدنيا والآخرة"[2] .

فعُلِمَ من هاتين الآيتين أنَّ التوجُّه بالولاء يكون : لله –لدينه ﷻ ، ولكتابه– ، ولرسوله –لسنَّته ، ولهديه وطريقته ﷺ– ، ولعامَّة المؤمنين .

١- أمَّا موالاة الله ﷻ ، فهذه يُطلب فيها أشدّها وأكملها ، كما قال ﷻ : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ [البقرة:١٦٥] .

٢- أمَّا موالاة الرسول ﷺ، فهذه يُطلب فيها تقديم محبَّته ﷺ على كلّ غالٍ وثمين؛ من ولد، ووالد، وأهلٍ ، وعشيرة ، وأموالٍ ، وغير ذلك ، يقول الله ﷻ : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ

---

(١) انظر حقيقة الولاء والبراء في معتقد أهل السنَّة والجماعة لسيد سعيد عبد الغني ص ٦٤٥ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ ابن سعدي ٢/٣١٠-٣١١ .

﴿ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة:٢٤]. فهذه الآية فيها وجوب محبّته ﷺ، وأنّ محبّة الله ورسوله مقدّمة على كل محبوب[١] .

ومحبّته ﷺ سبب لتكميل الإيمان الواجب ، كما قال رسول الله ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من ولده ووالده والنّاس أجمعين"[٢] . وسبب لوجود حلاوة الإيمان في القلب ، كما في الحديث : "أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه ممّا سواهما"[٣] .

٣- وأمّا عامّة المؤمنين ، فليست موالاتهم بدرجة واحدة ، بل هي على درجات .

فالمؤمنون الخُلّص من الأنبياء ، والصديقين ، والشهداء والصالحين ، تجب محبّتهم ، وفي مقدّمتهم سيد ولد آدم ﷺ ، "فإنّه تجب محبّته أعظم من محبّة النفس والولد والولد والناس أجمعين ، ثمّ زوجاته أمهات المؤمنين ، وأهل بيته الطيّبين ، وصحابته الكرام ، خصوصاً الخلفاء الراشدين ، وبقية العشرة ، والمهاجرين ، والأنصار ، وأهل بدر ، وأهل بيعة الرضوان ، ثمّ بقيّة الصحابة ﷺ أجمعين ، ثمّ التابعون ، والقرون المفضّلة ، وسلف هذه الأمّة ، وأئمتها ؛ كالأئمة الأربعة"[٤] .

أمّا المؤمنون الذين خلطوا عملاً صالحاً، وآخر سيّئاً، فهؤلاء يُحبّون من وجه، ويُبغضون من وجه، فيجتمع فيهم المحبّة والعداوة، "وهم عصاة المؤمنين : يُحبّون لما فيهم من الإيمان ، ويُبغضون لما فيهم من المعصية التي هي دون الكفر والشرك . ومحبّتهم تقتضي مناصحتهم والإنكار عليهم ؛ فلا يجوز السكوت على معاصيهم ، بل يُنكَر عليهم ، ويؤمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، وتُقام عليهم الحدود والتعزيرات؛ حتى يكفُّوا عن معاصيهم ، ويتوبوا من سيئاتهم . لكن لا يُبغضون بُغضاً خالصاً ويُتبرأ منهم ، كما تقوله الخوارج في مرتكب الكبيرة التي هي دون الشرك، ولا يُحبون ويوالون حبًّا وموالاة خالصين كما تقوله المرجئة ، بل يُعتدل في شأنهم على ما ذكرنا ، كما هو مذهب أهل السنّة والجماعة"[٥] .

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩٥/٨ .

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب محبّة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس.

(٣) تقدّم تخريجه في ص ٧٥ .

(٤) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للدكتور صالح الفوزان ص ٣١٧ .

(٥) المرجع نفسه ص ٣١٨-٣١٩ .

الفصل الرابع

ممَّن يكون البراء ؟

لا بُـدّ أن يعرف كلّ مسلم مَنْ هم الذين يجب البراء منهم ؛ فيصرف إليهم معاني البراء التي سبق ذكرها ، وذلك حتى يُحقق الولاء تحقيقاً تامًّا ؛ إذ لا ولاء إلا ببراء .

ومن قرأ نصوص الولاء والبراء في الكتاب والسنَّة ، والتي سبق ذكر بعضها في الفصل الأول[١]، واطّلع على تفاسيرها ، تبيَّن له أنّ الذين يجب البراءة منهم هم : كلّ من كفر بالله ﷻ، وبدينه، وبرسوله ﷺ، أو بأحدهم، أو حارب كتابَ الله ﷻ، وشرعه الحنيف ، أو بيَّت لدين الله الشرّ، وأضمر للمسلمين العداوة؛ من الكافرين، والمشركين، والمنافقين، والملحدين ، وأشباههم ممَّن يُحادُّون الله ورسوله ﷺ ، كما قال تعالى : ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[المجادلة:٢٢]. فدلّت الآية الكريمة على عدم محبَّة ومودّة كلّ من حادَّ الله تعالى ورسوله ﷺ ، بل وأوجبت بُغض هؤلاء ، وإظهار العداوة والبغضاء لهم، موالاةً لله تعالى، ولرسوله ﷺ، وبراءة من الكافرين، ومن كفرهم[٢] .

يقـول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله معلّقاً على هذه الآية : "فأخبر ﷻ أنّك لا تجد مؤمناً يُوادّ المحادّين لله ورسوله ، فإنّ نفس الإيمان يُنافي موادّته ، كما ينفي أحد الضدّين الآخـر . فإذا وُجدَ الإيمان انتفى ضدّه ؛ وهو موالاة أعداء الله ، فإذا كان الرجل يُوالي أعداء الله بقلبه ، كان ذلك دليلاً على أنّ قلبه ليس فيه الإيمان الواجب"[٣] .

فهؤلاء الكفّار ، والمشركون ، والمنافقون والمرتدون ، والملحدون على اختلاف أجناسهم ممَّن "يُبغض ، ويُعادى ، بُغضاً ومعاداة خالصين ، لا محبَّة ولا موالاة معهما"[٤] .

---

(١) تقدّم ذكرها في ١٩٩-٢٠١ من هذا الكتاب .

(٢) انظر حقيقة الولاء والبراء في معتقد أهل السنة والجماعة لسيد سعيد عبد الغني ص ٦٤٩ .

(٣) كتاب الإيمان لابن تيمية ص ١٧ .

(٤) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للدكتور الفوزان ص ٣١٨ .

الفصل الخامس

حكم الولاء والبراء

قد أخبرنا مولانا ﷻ أنّ المؤمنين بعضهم أولياء بعض ، فقال : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[التوبة:٧١]، وأخبرنا ﷻ أنّ الكافرين بعضهم أولياء بعض ، فقال: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾[الأنفال:٧٣] ، فقطع ﷻ بذلك الموالاة بين المؤمنين والكافرين ، وبيّن أنّ الكفّار بعضهم أولياء بعض ، كما أنّ المؤمنين بعضهم أولياء بعض .

ومـــوالاة المؤمنين تستلزم معاداة الكافرين . ومعاداقم واجبة ، كما أنّ موالاة المؤمنين واجبة؛ فمن قال أُحبّ المؤمنين، لكنّي لا أُعادي الكافرين، أو أُعاديهم ولا أُكفّرهم، فلم يُوال المسلمين حقًّا؛ لأنّ من شرط موالاة الله ورسوله والمؤمنين بُغضُ أعدائهم، ومحبّة أوليائهم .

فمعاداة الكفّار –إذاً– واجبة على كلّ مسلم ، وموالاقم محرّمة على المسلمين :

يقول الشيخ حمد بن علي بن محمد بن عتيق رحمه الله : "فأمّا معاداة الكفّار والمشركين ، فاعلم أنّ الله ﷻ **أوجب ذلك** ، وأكّد إيجابه ، **وحرّم موالاقم** ، وشدّد فيها ، حتى إنه ليس في كتاب الله حكمٌ فيه من الأدلّة أكثرَ ولا أبينَ من هذا الحكم، بعد وجوب التوحيد ، وتحريم ضدّه"[١]. ويقول الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ رحمه الله : "يجب أن تعلم : أنّ الله **افترض** على المؤمنين عداوة الكفّار والمنافقين"،"وقطع الموالاة بين المؤمنين وبينهم، وأخبر أنّ من تولّاهم فهو منهم"[٢] . ويقول العلامة ابن القيم رحمه الله[٣] :

أتحبُّ أعداء الحبيب وتدّعي ... حبًّا له ما ذاك في الإمكان
وكذا تُعادي جاهداً أحبابَه ... أين المحبّة يا أخا الشيطان
شرطُ المحبّة أن تُوافقَ مـــن تُحـــــبُّ على محبّته بلا نُقصـــان
فإذا ادّعيتَ له المحبّة مع خـــلافِـــك ما يُحبّ فأنت ذو بُهتان
لو كان حبّهم لأجل الله ما ... عادَوا أحبّته على الإيمان

---

(١) سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك للشيخ حمد بن عتيق ص ٣١ .

(٢) أوثق عُرى الإيمان للشيخ سليمان بن عبد الله ص ٢٦-٢٧ .

(٣) انظر النونيّة لابن القيم –بشرح الهراس– ١٢٥/٢ .

والمؤمن له أعداء يُبغضهم في الله ، وأولياء يُحبّهم في الله ؛ لأنّ الأرض لا تخلو من أعداء الله وأعداء الإسلام والمسلمين؛ فما خلَت منهم زمن الرسل والأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- ، فكيف بأوقات الفتنة في آخر الزمان . يقول ﷻ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام:١١٢] ، ويقول ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾[الفرقان:٣١] .

تنبيه : لا تعني البراءة من الكفّار والمشركين أن نُسيء إلى أهل الذمّة الذين يعيشون في كنف الدولة الإسلاميَّة ، وتحت حمايتها ، بل لهم من المسلمين حسن المعاملة ، والتسامح معهم، وعدم إكراههم على الدخول في دين الإسلام ، ووصلهم بقسط من المال على وجه البرّ والصلة، كما قال مولانا ﷻ: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾[الممتحنة:٨]، فهذا إحسان وبرّ ظاهريّ يُندب إليه ، شريطة أن لا يصل إلى المودّة الباطنيَّة التي نُهينا عنها ؛ من محبّتهم، ونصرهم، وإعانتهم على المسلمين . والمسلم المؤمن بالله ربًّا وبمحمَّد ﷺ رسولاً ، يستطيع أن يجمع بين ما أُمر به ، وما نُهيَ عنه ؛ "فإنّ برّهم والإحسان إليهم مأمورٌ به . وودّهم وتولّيهم منهيٌّ عنه . فهما قاعدتان : إحداهما محرَّمة ، والأخرى مأمورٌ بها"[١] . يقول الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله : "إنّ الله لا ينهى المؤمنين عن برّ من لم يُقاتلهم ... وأمّا موالاتهم ومحبّتهم وإكرامهم ، فلم يُرخّص الله تعالى في ذلك"[٢] .

نسأل الله أن يعصمنا بالتقوى ، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، إنه قريب مجيب . وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمَّد ، وعلى آله وأصحابه أفضل صلاة وأتمّ تسليم ، والحمد لله ربّ العالمين .

تم بحمد الله

---

(١) مدخل لدراسة العقيدة الإسلاميّة لعثمان جمعة ضميريّة ص ٣٧٤ .

(٢) أوثق عرى الإيمان للشيخ سليمان بن عبد الله ص ٦٤-٦٥ .

فهرس المصادر والمراجع

١- آداب البحث والمناظرة للشيخ محمد الأمين الشنقيطي . أشرف على طبعه : الشيخ عطية محمد سالم . طُبِعَ بمطابع شركة المدينة للطباعة والنشر ، ١٣٨٨هـ ، المدينة-السعودية .

٢- آراء الخوارج الكلامية للدكتور عمار طالبي . طبع المكتبة المصرية الحديثة ، الإسكندرية- مصر .

٣- أحكام أهل الملل لأحمد بن محمد الخلال . طبع دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م ، بيروت-لبنان .

٤- أحكام الرقى والتمائم للدكتور فهد السحيمي . نشر مكتبة أضواء السلف ، ط١ ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م ، الرياض-السعودية .

٥- أساس البلاغة للزمخشري . طبعة دار الفكر ، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م ، بيروت-لبنان .

٦- أصول الدين عند الأئمة الأربعة للدكتور ناصر القفاري . دار الوطن للنشر ، ط١ ، ١٤١٤هـ ، الرياض-السعودية .

٧- أضواء البيان للشيخ محمد الأمين الشنقيطي . طبع دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م ، بيروت-لبنان .

٨- أعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ الحكمي . نشر مكتبة السوادي ، ط٢ ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م ، جدة -السعودية .

٩- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان للعلامة ابن قيم الجوزية . طبع دار المعرفة ، بيروت-لبنان .

١٠- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام ابن تيمية . طبع على نفقة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود .

١١- إلجام العوام عن علم الكلام لأبي حامد الغزالي . نشر مكتبة الجندي ، القاهرة-مصر .

١٢- أوثق عُرى الإيمان للشيخ سليمان بن عبدالله آل الشيخ. نشر دار طيبة، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م، الرياض-السعودية .

١٣- إيثار الحق على الخلق للعلامة ابن المرتضى . طبع دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان .

١٤- الإبداع في مضارّ الابتداع لعلي محفوظ . نشر دار الباز ، مكة المكرمة- السعودية .

١٥- الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ، ط١ ، ١٣٨٧هـ .

١٦- الإخلاص والشرك الأصغر لعبد العزيز العبد اللطيف . نشر دار الوطن ، ط١ ، ١٤١٢هـ ، الرياض- السعودية .

١٧- الإرشاد إلى توحيد ربّ العباد للشيخ عبدالرحمن بن حماد آل عمر . نشر دار العاصمة ، ط٣ ، ١٤١٢هـ ، الرياض-السعودية .

١٨- الإرشـــاد إلى صحيح الإعتقاد للدكتور صالح الفوزان . نشر دار ابن الجوزي ، ط١ ، ١٤١٥هــ-١٩٩٤م ، الدمام - السعودية .
١٩- الأسئلة والأجوبة الأصولية للشيخ السلمان . نشر دار الإشعاع ، ط٨ ، ١٤٠٢هــ ، الرياض .
٢٠- الأسئلة والأجوبة في العقيدة للشيخ صالح الأطرم . نشر دار الوطن ، ط١ ، ١٤١٣هــ ، الرياض .
٢١- الإصـــابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر العسقلاني . طبع دار الفكر ، ١٣٩٨هــ-١٩٧٨م ، بيروت-لبنان .
٢٢- الاعتصام للشاطبي . طبعة دار المعرفة ، ١٤٠٢هــ ، بيروت-لبنان .
٢٣- الإقناع لطالب الانتفاع لموسى المقدسي . طبع عالم الكتب ، بيروت-لبنان .
٢٤- الأمـــر بالمعـــروف والـــنهي عن المنكر لشيخ الإسلام ابن تيمية . طبع دار الكتاب الجديد ، ط١ ، ١٣٩٦هــ ، بيروت- لبنان .
٢٥- الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية . طبع دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٠٣هــ ، بيروت- لبنان .
٢٦- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي . طبع المكتبة العلمية ، بيروت-لبنان .
٢٧- بعض أنواع الشرك الأصغر للدكتور عواد المعتق . نشر مكتبة الرشد ، ط١ ، ١٤٢٠هــ-١٩٩٩م الرياض- السعودية .
٢٨- بيـــان الشـــرك ووسائله عند علماء الحنابلة لمحمد بن عبدالرحمن الخميس . نشر دار الوطن ، ط١ ، ١٤١٤هــ ، الرياض- السعودية .
٢٩- البداية والنهاية للحافظ ابن كثير . دار نهر النيل للطباعة ، القاهرة- مصر .
٣٠- الـــبدع والـــنهي عنها لمحمد بن وضاح القرطبي . نشر دار الصفا ، ط١ ، ١٤١١هــ-١٩٩٠م ، القاهرة - مصر .
٣١- تاج العروس للزبيدي . مطبعة الخيرية الجمالية ، ط١ ، ١٣٠٦هــ ، القاهرة- مصر .
٣٢- تاريخ الإسلام للحافظ الذهبي . طبع دار الكتاب العربي ، ط١ ، ١٤١٠هــ ، بيروت-لبنان .
٣٣- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي . تصوير دار الكتاب العربي ، بيروت- لبنان .
٣٤- تجـــريد الـــتوحيد المفيـــد للمقريزي . دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤١٧هــ ، مكة المكرمة- السعودية .
٣٥- تطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران ، للشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي . نشر وزارة الأوقاف بقطر .
٣٦- تفسير البغوي = معالم التنزيل .
٣٧- تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية . طبع دار الريان ، ط١ ، ١٤٠٨هــ-١٩٨٧ ، القاهرة-مصر .
٣٨- تفسير ابن كثير . دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة - مصر .

٣٩- تهذيب اللغة للأزهري . المؤسسة المصرية العامة للتأليف ، ١٣٨٤هـ ، القاهرة .
٤٠- توحيد الربوبية لمحمد إبراهيم الحمد . نشر دار ابن خزيمة ، ط١ ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م ، الرياض .
٤١- توحيد الألوهية لمحمد إبراهيم الحمد . نشر دار ابن خزيمة ، ط١ ، ١٤١٤هـ ، الرياض .
٤٢- تيسير الإله بشرح شروط لا إله إلا الله لعبيد الجابري . نشر مكتبة الغرباء ، ط١ ، ١٤١٤هـ ، المدينة المنورة- السعودية .
٤٣- تيسير ذي الجلال والإكرام بشرح نواقض الإسلام لسعد بن محمد القحطاني . نشر دار إشبيليا ،ط١ ١٤١٩هـ-١٩٩٨م ، الرياض- السعودية .
٤٤- تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبدالوهاب ، ط٣ ، ١٣٩٧ ، بيروت .
٤٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن سعدي . المؤسسة السعودية الرياض .
٤٦- التبرك أنواعه وأحكامه لناصر بن عبدالرحمن الجديع . نشر مكتبة الرشد ، ١٤١١هـ ، الرياض .
٤٧- التعريفات للجرجاني . دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٠٣هـ ، بيروت- لبنان .
٤٨- التمائم في ميزان العقيدة للعلياني . نشر دار الوطن ، ط١ ، ١٤١١هـ ، الرياض-السعودية .
٤٩- التنجيم والمنجمون وحكمهم في الإسلام للدكتور عبد المجيد المشعبي . نشر مكتبة الصديق ، ط١ ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م ، الطائف- السعودية .
٥٠- كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب . نشر مركز شئون الدعوة بالجامعة الإسلامية، ط٥ ، ١٤٠٤هـ ، المدينة المنورة- السعودية .
٥١- التوسل حكمه وأقسامه ، من كلام الشيخين : الألباني ، وابن عثيمين . نشر دار ابن خزيمة ، ط١ ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م ، الرياض - السعودية .
٥٢- التوصل إلى حقيقة التوسل لمحمد نسيب الرفاعي . مؤسسة الدعوة السلفية ، ط٢ ، حلب- سوريا .
٥٣- الثمرات الزكية في العقائد السلفية لأحمد فريد . نشر مكتبة التوعية الإسلامية ، ط١ ١٤٠٩هـ ، الجيزة- مصر .
٥٤- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري . نشر دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٢هـ بيروت - لبنان .
٥٥- جامع العلوم والحكم للحافظ ابن رجب الحنبلي . طبع مؤسسة الرسالة ، ط٥ ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م ، بيروت- لبنان .
٥٦- الجامع الصحيح المعروف بسنن الترمذي . طبع مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط٢ ، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م ، القاهرة- مصر .
٥٧- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي . طبع دار الكتب العلمية ، ط٥ ، ١٤١٧هـ ، بيروت-لبنان .
٥٨- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي للعلامة ابن قيم الجوزية . نشر مكتبة دار التراث، ط٣ ١٤١٠هـ ، المدينة المنورة- السعودية .

٥٩- الجواب المفيد في بيان أقسام التوحيد للشيخ ابن عثيمين . نشر دار طويق ، ط١ ، ١٤١٤هـ ، الرياض- السعودية .
٦٠- حقيقة الولاء والبراء لسيد سعيد عبد الغني . طبع دار ابن حزم ، ط١ ، ١٤١٩هـ ، بيروت .
٦١- حياة الحيوان الكبرى للدميري . دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان .
٦٢- الحديث النبوي للدكتور محمد لطفي الصباغ . نشر المكتب الإسلامي ، ط٤ ، ١٤٠٢هـ ، بيروت- لبنان .
٦٣- الحذر بمعرفة أنّ من هزأ بالدين كفر . لجمال الدين باشا . نشر دار طيبة ، ط١ ، ١٤١٧هـ ، الرياض- السعودية .
٦٤- درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية . طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط١ ، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م ، الرياض- السعودية .
٦٥- دعوة التوحيد للشيخ محمد خليل الهراس . مكتبة ابن تيمية .
٦٦- الدرر السنية في الأجوبة النجدية لعدد من العلماء ، ط٥ ، ١٤١٣هـ .
٦٧- الدر المنثور للسيوطي . طبع دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١١هـ ، بيروت- لبنان .
٦٨- الدر النضيد في تخريج كتاب التوحيد لصالح بن عبد الله العصيمي . نشر دار ابن خزيمة ، ط١ ، ١٤١٣هـ ، الرياض- السعودية .
٦٩- الدين الخالص للعلامة صديق حسن خان . نشر مكتبة دار التراث ، القاهرة - مصر .
٧٠- رسالة تحكيم القوانين للشيخ محمد بن إبراهيم . نشر دار الوطن ، ط٣ ، ١٤١١هـ ، الرياض .
٧١- رسالة في حكم السحر والكهانة للشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز . نشر دار الثقافة ، ط١ ، ١٤١٥هـ ، مكة المكرمة- السعودية .
٧٢- روضة الطالبين للنووي . طبع دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م ، بيروت .
٧٣- الرسالة التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية . شركة العبيكان للطباعة والنشر ، ط١ ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م ، الرياض- السعودية .
٧٤- الرسالة المدنية لشيخ الإسلام ابن تيمية . نشر دار طيبة ، ط١ ، ١٤٠٨هـ ، الرياض .
٧٥- الرقى على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة للعلياني . نشر دار الوطن ، ط١ ، ١٤١١هـ ، الرياض .
٧٦- الروضة الندية شرح الدرر البهية للعلامة صديق حسن خان .
٧٧- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي . طبع المكتب الإسلامي ، ط٤ ، ١٤٠٧هـ ، بيروت .
٧٨- زاد المعاد في هدي خير العباد للعلامة ابن قيم الجوزية . طبع مؤسسة الرسالة ، ط١٥، ١٤٠٧هـ ، بيروت - لبنان .
٧٩- سبيل النجاة والفكاك لمحمد بن علي بن عتيق . نشر دار طيبة ، ط١ ، ١٤٠٩هـ ، الرياض .

٨٠- سنن أبي داود . طبع دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٣٨٨هـ ، بيروت – لبنان .
٨١- سنن ابن ماجه . طبع دار الفكر ، بيروت – لبنان .
٨٢- سنن النسائي . نشر مكتب المطبوعات الإسلامية ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ ، حلب – سوريا .
٨٣- السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني . نشر المكتب الإسلامي ، ط٤ ، ١٤٠٥هـ ، بيروت .
٨٤- السنة لابن أبي عاصم . نشر المكتب الإسلامي ، ط١ ، ١٤٠٠هـ ، بيروت .
٨٥- السنن الكبرى للبيهقي . تصوير دار الفكر ، ط١ ، ١٤٠٥هـ ، بيروت .
٨٦- السيرة النبوية لابن هشام . شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط٢ ، ١٣٧٥هـ ، القاهرة- مصر .
٨٧- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي . نشر دار طيبة ، ط١ ، الرياض- السعودية .
٨٨- شرح رياض الصالحين لمحمد بن علان الصديقي . دار الريان للتراث ، ط١ ، ١٤٠٧هـ، القاهرة .
٨٩- شرح نواقض التوحيد لحسن العواجي . طبع مكتبة لينة ، ط١ ، ١٤١٣هـ ، مصر .
٩٠- شرح الأصول الخمسة لعبدالجبار الهمذاني . مطبعة الاستقلال الكبرى ، ط١، ١٣٨٤هـ، القاهرة.
٩١- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي . طبع مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٠٨هـ ، بيروت.
٩٢- شرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل الهراس . نشر إدارة البحوث العلمية بالمملكة العربية السعودية .
٩٣- شرح الكوكب المنير لابن النجار . نشر جامعة أم القرى . تحقيق د. محمد الزحيلي ، ونزيه حماد .
٩٤- شرح القصائد العشر . طبع دار الكتب العلمية ، بيروت .
٩٥- شرح النووي على صحيح مسلم . طبع المكتبة المصرية .
٩٦- شفاء العليل للعلامة ابن القيم . طبع دار المعرفة ، بيروت- لبنان .
٩٧- الشرح والإبانة لابن بطة العكبري . نشر المكتبة الفيصلية ، ١٤٠٤هـ ، مكة المكرمة .
٩٨- الشريعة للآجري . طبع دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٠٣هـ ، بيروت .
٩٩- الشهادتان : معناهما ، وما تستلزمه كل منهما للشيخ ابن جبرين . مطابع دار طيبة ، ط١، ١٤١٠، الرياض- السعودية .
١٠٠- الشيخ عبدالرحمن السعدي وجهوده في توضيح العقيدة لعبدالرزاق العباد . نشر مكتبة الرشد ، ط ١ ، ١٤١١هـ ، الرياض- السعودية .
١٠١- صحيح البخاري . المطبعة السلفية ، ط١ ، ١٤٠٠هـ ، القاهرة- مصر .
١٠٢- صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني . نشر المكتب الإسلامي ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ ، بيروت .
١٠٣- صحيح سنن أبي داود للألباني . نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط١ ، ١٤٠٩هـ الرياض .
١٠٤- صحيح سنن ابن ماجه للألباني ، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ط١ ، الرياض .
١٠٥- صحيح سنن النسائي للألباني ، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ط١ ، الرياض .

١٠٦- صحيح مسلم . نشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت- لبنان .

١٠٧- صون المنطق والكلام للسيوطي . طبع دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان .

١٠٨- الصارم المسلول على شاتم الرسول لشيخ الإسلام ابن تيمية. طبع عالم الكتب، ١٤٠٢هـ ، بيروت .

١٠٩- الصحاح للجوهري ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣ . طبع على نفقة السيد حسن عباس شربتلي .

١١٠- الصفدية لشيخ الإسلام ابن تيمية . نشر مكتبة ابن تيمية ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ ، القاهرة .

١١١- طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن قيم الجوزية . طبع دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٠٣هـ ، بيروت — لبنان .

١١٢- الطبقات الكبرى لابن سعد . نشر إحياء التراث الإسلامي ، ط١ ، ١٤٠٣هـ ، بيروت .

١١٣- عقيدة السلف أصحاب الحديث للإمام أبي عثمان الصابوني . نشر الدار السلفية ، ط١ ، ١٤٠٤، الكويت .

١١٤- العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية . نشر دار الأصالة ، ط٢ ، ١٤١٦هـ ، الإسماعيلية- مصر .

١١٥- العقيدة الإسلامية وتاريخها للدكتورمحمد أمان الجامي . نشر دار المنار ، ط١ ، ١٤١٤ ، الرياض.

١١٦- فتاوى العقيدة للشيخ ابن عثيمين . نشر مكتبة السنة ، ط١ ، ١٤١٢هـ ، القاهرة .

١١٧- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية . نشر دار العاصمة ، ط١ ، ١٤١١هـ ، الرياض .

١١٨- فتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني . طبع دار المعرفة ، بيروت- لبنان .

١١٩- فتح رب البرية بتلخيص الحموية للشيخ ابن عثيمين . نشر دار الوطن ، ١٤١٢هـ ، الرياض .

١٢٠- فتح القدير للشوكاني . مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط٢ ، ١٣٨٣هـ ، القاهرة .

١٢١- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن . نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء ، ط٣ ، ١٤١٣هـ ، الرياض .

١٢٢- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن . نشر موسسة قرطبة ، ط جديدة ، القاهرة- مصر .

١٢٣- الفرقان بين الحق والباطل لشيخ الإسلام ابن تيمية . نشر مكتبة دار البيان ، ط١ ، ١٤٠٥هـ ، بيروت ، دمشق .

١٢٤- الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة لعبد الرحمن عبد الخالق . نشر مكتبة ابن تيمية ، ط٣ ، ١٤٠٦هـ ، الكويت .

١٢٥- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية . طبع مكتبة لينه ، ط١ ، ١٤٠٩هـ، دمنهور- مصر .

١٢٦- قاعدة في المحبّة لشيخ الإسلام ابن تيمية . نشر مكتب التراث العربي ، القاهرة- مصر .

١٢٧- قضية التأويل ، وموقف ابن تيمية منها للدكتور السيد الجليند . نشر الهيئة العامة لشئون الطباعة ، ١٣٩٣هـ ، القاهرة — مصر .

١٢٨- القاموس المحيط للفيروزآبادي . طبع مؤسسة الرسالة ، ط٣ ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م ، بيروت .
١٢٩- القول السديد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبدالرحمن بن سعدي . نشر دار الوطن ، ط١ ، ١٤١٢هـ ، الرياض- السعودية .
١٣٠- كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي . نشر المؤسسة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .
١٣١- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة . نشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت.
١٣٢- كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة لابن رجب الحنبلي . نشر المكتبة القيمة ، القاهرة .
١٣٣- كلمات في الأخلاق الإسلامية للدكتور كمال محمد عيسى . نشر دار المجتمع ، ط٢ ، ١٤١٣، جدة- السعودية .
١٣٤- الكشاف للزمخشري . طبع دار المعرفة ، بيروت - لبنان .
١٣٥- لسان العرب لابن منظور . طبعة دار صادر ، بيروت - لبنان .
١٣٦- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف لابن رجب الحنبلي ، نشر دار ابن كثير ، ط١ ، ١٤١٣هـ، بيروت- لبنان .
١٣٧- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثريَّة للعلامة السفاريني . نشر المكتب الإسلامي ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م ، بيروت- لبنان .
١٣٨- مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة للدكتور ناصر العقل . نشر دار الوطن ، الرياض .
١٣٩- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ الهيثمي . طبع دار الكتب العلمية ، ١٤٠٨هـ ، بيروت .
١٤٠- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية. طبع بأمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز.
١٤١- مختار الصحاح للرازي ، طبع دار المعارف ، القاهرة- مصر .
١٤٢- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن قيم الجوزية . طبع دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان .
١٤٣- مدخل لدراسة العقيدة لعثمان جمعة ضميرية . نشر دار السنة ، ط٥ ، ١٤١٨هـ -١٩٩٧م ، الخبر - السعودية .
١٤٤- مذكرة العقيدة الإسلامية للدكتور عبد الله بن جبرين . مطبوعة على الآلة .
١٤٥- مذكرة في أصول الفقه للشيخ محمد الأمين الشنقيطي . طبع المكتبة السلفية ، ١٣٩١هـ ، المدينة المنورة- السعودية .
١٤٦- مسائل الإمام أحمد بن حنبل برواية ولده عبدالله . نشر المكتب الإسلامي ، ط٣ ، ١٤٠٨هـ ، بيروت- لبنان .
١٤٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل . طبع دار صادر ، بيروت- لبنان .
١٤٨- مشكاة المصابيح للتبريزي . قام بتحقيقه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني. نشر المكتب الإسلامي ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ ، بيروت- لبنان .

١٤٩- معــارج الصعود إلى تفسير سورة هود للشيخ الشنقيطي . نشر دار المجتمع ، ط١ ، ١٤٠٨هـ ، جدة- السعودية .
١٥٠- معارج القبول للشيخ حافظ الحكمي . نشر الدار البيضاء ، القاهرة- مصر .
١٥١- معالم التنــزيل للبغوي . طبع دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م ، بيروت .
١٥٢- معجم مقاييس اللغة لابن فارس . مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط٢ ، ١٣٨٩هـ ، القاهرة .
١٥٣- مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزية . طبع دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان .
١٥٤- مفهــوم أهــل السنة والجماعة عند أهل السنة والجماعة للدكتور ناصر العقل . نشر دار الوطن ، الرياض- السعودية .
١٥٥- مقالات الإسلاميين وإختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري . طبع مكتبة النهضة المصرية ، ط٢ ، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م ، القاهرة- مصر .
١٥٦- مناقب الإمام الشافعي للبيهقي . طبع دار النصر ، ط١ ، ١٣٩١هـ ، القاهرة- مصر .
١٥٧- مؤلفــات الشــيخ محمد بن عبد الوهاب -قسم العقيدة والآداب- . طبع جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض- السعودية .
١٥٨- ميزان الاعتدال للذهبي . طبع دار المعرفة ، ط١ ، ١٣٨٢هـ ، بيروت- لبنان .
١٥٩- المجموع الثمين من فتاوى فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين . نشر دار الوطن ، ١٤١١هـ ، الرياض- السعودية .
١٦٠- المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده . نشر مصطفى البابي الحلبي ، ط١ ، ١٣٧٧هـ ، القاهرة .
١٦١- المستدرك للحاكم النيسابوري . نشر مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب- سوريا .
١٦٢- المستصــفى في أصــول الفقه لأبي حامد الغزالي . طبع دار الكتب العلمية ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ ، بيروت- لبنان .
١٦٣- المصنف لعبد الرزاق الصنعاني . نشر المجلس العلمي بكراتشي -باكستان ، ط١ ، ١٣٩١هـ .
١٦٤- المعجم الكبير للطبراني . طبع وزارة الأوقاف العراقية ، ط١ ، ١٣٩٩هـ ، بغداد- العراق .
١٦٥- المعجم الوسيط ، لجماعة من المؤلفين ، الطبعة الثانية .
١٦٦- المغــني في أبــواب العــدل والتوحيد لعبد الجبار الهمذاني . طبع الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة- مصر .
١٦٧- المفردات للراغب الأصفهاني ، طبع دار المعرفة ، بيروت- لبنان .
١٦٨- المفهم شرح صحيح مسلم للقرطبي .
١٦٩- المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن قيم الجوزية . نشر دار البشائر الإسلامية ، ط٦، ١٤١٤، بيروت- لبنان .

١٧٠- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي ، طبع دار صادر ، بيروت- لبنان .
١٧١- الموالاة والمعاداة لمحماس الجلعود ، ط١ ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م ، الرياض- السعودية .
١٧٢- الموجز في تحصيل السوال وتلخيص المقال في الرد على أهل الخلاف لعبدالكافي الأباضي . طبع دار الجيل ، ط١ ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م ، بيروت- لبنان .
١٧٣- الموطأ للإمام مالك . نشر دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٦هـ ، بيروت- لبنان .
١٧٤- النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية ، طبع دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ ، بيروت-لبنان .
١٧٥- النهاية في غريب الحديث لابن الأثير . طبع المكتبة العلمية ، بيروت- لبنان .
١٧٦- وسطية أهل السنة بين الفرق للدكتور محمد با كريم . نشر دار الراية ، ط١ ، ١٤١٥هـ، الرياض- السعودية .
١٧٧- الوجوه والنظائر لألفاظ القرآن للدامغاني ، ط بيروت- لبنان .
١٧٨- الوسطية في الإسلام : تعريف وتطبيق للدكتور زيد الزيد . نشر دار العاصمة، ط١، ١٤١٢هـ ، الرياض- السعودية .
١٧٩- الوسيط في تفسير القرآن للواحدي . طبع دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٥هـ، بيروت-لبنان.
١٨٠- الوصية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية . نشر مكتبة ابن الجوزي ، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م ، الإحساء -السعودية .
١٨١- الولاء والبراء في الإسلام لمحمد بن سعيد بن سالم القحطاني . نشر دار طيبة ، ط٢ ، ١٤٠٤هـ ، الرياض- السعودية .

تمت

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات